إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس من القرآن الكريم
سورة آل عمران (الآيات من :15-92)

Analytical Study of The Purposes and Objectives of Surat Al EMRAN
The Verses from (15-92)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: **اسم الطالب: عبد الله أمين المغير**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:2014/4/8م**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجــامعــة الإسـلاميــة: غــزة
عمادة الدّراســات العليــــا
كليـَّـة أصـــول الدِّيــــــن
قسـم التَّفسير وعلــوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس من القرآن الكريم

سورة آل عمران الآيات من :15-92

Analytical study of the purposes and Objective of Surat AL EMRAN

the Verses from (15-92)

إعداد الطَّالب /

عبد الله أمين حسين المغير

إشراف فضيلة الدُّكتور /

عبد الكريم حمدي الدهشان

قُدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن

1435هـ/2014 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2014/03/22

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **عبدالله أمين حسين المغير** لنيل درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس من القرآن الكريم
سورة آل عمران الآيات من: 15-92

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 21 جمادى اولى 1435هـ، الموافق 2014/03/22م الساعة الواحدة ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عبد الكريم حمدي الدهشان	مشرفاً ورئيساً	.....
أ.د. عبد السلام حمدان اللوح	مناقشاً داخلياً	.....
د. سامي محمود أحمد	مناقشاً خارجيًا	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

- إلى والديَّ الكريمين الذَين ما ادَّخرا جهدا في تربيتي وتعليمي.
- إلى علماء الأمة وطلبة العلم والدعاة والعاملين في حقل الدعوة.
- إلى زوجتي العزيزة أم عمر.
- إلى الأسرى والمرابطين والمجاهدين القابضين على جمرة الدين والوطن.

أهدي بحثي هذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ ﷺ النبي الأمِّيِّ الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني أشكر الله العلي القدير وأحْمَدُه على ما أوْلاني من نِعَمِه، وعلى إتمام كتابة هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة، وأسأله سبحانه أن يكون هذا البحث منطلقاً لي للمُضِيِّ في طريق العلم.

والشكر بعد الله تعالى موصولٌ لوالديَّ الكريمين على ما بذلاه من جهدٍ ونُصْحٍ في تربيتي وتعليمي وتوجيهي.

وأتَلَّثُ بالشكر لفضيلة الدكتور/ عبد الكريم حمدي الدهشان على تفضُّله بالإشراف على رسالتي، وإحاطتي بالتوجيهات والنصائح، ومواصلة المتابعة والتصويب حتى خرجت هذه الرسالة إلى النور.

كما أتقدَّم بالشكر والتقدير إلى عُضْوَي لجنة المناقشة، وهما:

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح مناقشاً داخلياً.

والدكتور / سامي محمود أحمد مناقشاً خارجياً.

لتفضُّلهما بقَبول مناقشة الرسالة، وعلى ما بذلاه من جهد في تصحيح ما فيها من خطأ، وتعديل ما فيها من عِوَج.

وأشكر الجامعة الإسلامية بغزة وكلية أصول الدين وعمادة الدراسات العليا على إتاحتها الفرصة لي لإكمال دراستي العليا فيها.

وأتوجَّه بالشكر إلى كل من أفادني من لفظِه، أو أفدْتُ إشاراتٍ من لحْظه، وكل من شجَّعني أو أسدى إليَّ نُصحاً أو نبَّهني لفكرةٍ أو لخطأٍ أو أعارني كتاباً.

وأشكر الأخ حسن عبد الرحمن أبو زيد على إعارتي طابعتَه، مما قرَّب البعيد وسهَّل عملية الطباعة، فجزاه الله خيراً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله فرقاناً، وبيَّن فيه حدوده وأحكامه تبياناً، وأمر فيه بالتحاكم إليه وجعله للناس إماماً وبرهاناً، هو الحجةُ الدامغةُ، والحكمةُ البالغةُ، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم.

والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، نبيِّنا محمدٍ ﷺ، خاتمِ الأنبياء وإمامِ المرسلين، جدَّد الله تعالى به دعوة السماء، وأحيا به سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آياتِ الهداية، وأتَمَّ به مكارمَ الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد..

ما من شكٍّ أن علمَ التفسير خيرُ العلوم؛ فهو كما يقول الإمام الألوسي[1] رحمه الله:

" أعلاها قدراً، وأغلاها مهراً، وأسناها مبنى، وأسماها معنى، وأدقِّها فِكْراً، وأرقِّها سِرًّا، وأعرقها نسباً،

وأعرفها أباً، وأقومِها قيلاً، وأقواها قبيلاً، وأحلاها لساناً، وأجلاها بياناً وأوضحها سبيلاً، وأصحِّها دليلاً "[2]؛ لأنه يتعلق بكلام الله تعالى، ومن خلاله يتم التعرف على المقاصد الأساسية للقرآن الكريم وكيفية تحقيقها في حياة المسلمين، ومما لا شك فيه أنه ما من آية في القرآن العظيم إلا وتحمل في طياتها معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع، فهو كلام الله تعالى المعجز، كل آية منه تحتوي عددا من المقاصد والأهداف التي إن كشف عنها الستار كانت دواء ناجعا لمعضلة أو لأكثر.

والوصول إلى مقاصد الآيات يحتاج إلى معرفة عدد من العلوم، وهذا يتطلب كدَّ الذهن وصفاءَه حتى لا تتفلَّت الأفكار وتتشعَّب فتنأى بصاحبها عن المقصد الذي يريد، فهو علم يقوم على الاستنباط والفهم الدقيق للنص ودلالاته، ويحتاج إلى أن يعيش الباحثُ أجواءَ النص كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، وهو في المحصلة توفيق رباني يهبُه الله لمن يشاء من عباده، والله الموفِّق والمستعان، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده سنة 1217هـ ووفاته سنة 1270هـ ببغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا، (الأعلام، الزركلي، (176/7)).

(2) روح المعاني، الألوسي، (2/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنوان البحث:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس من القرآن الكريم

سورة آل عمران الآيات من : 15- 92

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

1) كونه أحد حلقات الموسوعة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين.
2) إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.
3) رغبة في التدبر والتفكر والتأمل في القرآن الكريم تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:24].
4) إبراز ما تناوله الحزب السادس من سورة آل عمران من مقاصد متنوعة تهدف في مجموعها إلى تعميق التربية الإيمانية والتوجيهات التشريعية في حياة المسلمين، وتجديد ما اندرس من مفاهيم الإسلام عند الأمة ، وذلك من خلال ربطه بواقعها المعاصر.
5) تحقيقاً للدراسة التحليلية لآيات القرآن الكريم، فنزداد بذلك خبرةً وعمقاً في التعامل بهذا المنهج.

ثانياً: أهمية الموضوع:

1) تعلُّقُه بأشرف الكتب وأعظمها وهو القرآن الكريم.
2) يقدم الحلول المناسبة للمشكلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك ببيان وإبراز الأهداف والمقاصد التي تحتويها الآيات القرآنية.
3) بيان المقاصد والأهداف التي ترمي إليها الآيات يبرز جمال القرآن الكريم وبلاغته وكمال نظمه، كما أنه يبين نظام السورة ووحدة بنائها وترابطها.
4) معرفة مقاصد الآيات وأهدافها يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

ثالثاً: أهداف البحث:

1) إظهار الموضوعات الأساسية لسورة آل عمران وشخصيتها الرئيسية، بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية المراد إرساؤها في المجتمع الإسلامي.
2) بيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم، وذلك من خلال الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد آيات الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) إثراء المكتبة الإسلامية بسلسلة علمية محكمة تتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من آيات القرآن الكريم، تقدم هذه السلسلة مقاصد القرآن الكريم بأسلوب علمي ميسر.
4) صقل الخبرة الذاتية للباحث بالدراسة التحليلية المتعمقة والدقيقة لآيات الدراسة.
5) ربط مقاصد الآيات وأهدافها بواقع المسلمين المعاصر، ومحاولة وضع الحلول المناسبة.

رابعاً: منهجية الباحث:

1) اعتمد الباحث المنهج التحليلي و الموضوعي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة لسورة آل عمران يبين من خلالها أسماء السورة، وفضلها، ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيسي، وقسَّم آيات الحزب السادس من سورة آل عمران إلى مباحث مختلفة في أربعة فصول، جاعلاً لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع آيات المبحث نفسه، وقام بتحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليلها، وقام بالاستشهاد لهذه الأهداف والمقاصد بالدراسة التحليلية بما فيها من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، وعلوم اللغة، وإعجاز القرآن، والسنة المطهرة وغيرها، كما عمل على ربط هذه المقاصد والأهداف بواقع الأمة وحالها قدر الجهد والطاقة، بما يُسهِم في حل مشاكلها وأزماتها.
2) عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة.
3) تخريج الأحاديث النبوية في البحث وعزوها إلى مصادرها الأصلية، ونقل أقوال العلماء في الحكم على الحديث، عدا أحاديث الصحيحين.
4) بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث، وذلك في حواشي الصفحات.
5) عزو الأقوال المنسوبة لأصحابها بما يحقق الأمانة العلمية، مع توثيقها حسب الأصول، وعند استخلاص المعنى العام فإنني أكتفي بالقول: (انظر) ثم أذكر المراجع التي أفدت منها.
6) الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة الواردة في البحث.
7) ذكر اسم الكتاب في الحاشية، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وأذكر مواصفات المصدر والمرجع في قائمة المصادر والمراجع.
8) عند إحالة القارئ إلى فكرة أو جزئية أو حديث قد سبق ذكره في البحث أقول: سبق الإشارة إليه أو سبق تخريجه، وأذكر رقم الصفحة.
9) عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب طريق وأسهله.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الإنترنت، وبعد سؤال الإخوة المختصين، لم أعثر على أي رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع بهذه الصورة، وقد فتح قسم التفسير وعلوم القرآن سلسلة حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كله، وقد كان نصيبي من هذه السلسلة الحزب السادس من القرآن الكريم.

سادساً: خطة البحث :

تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس تخدم البحث، وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر الآتية :

أولا: أسباب اختيار الموضوع.

ثانيــاً: أهمية الموضوع.

ثالــثاً: أهداف البحث.

رابعــاً: منهجية الباحث.

خامساً: الدارسات السابقة.

سادساً: خطــة البحــث.

التمهيد: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها،

ويشتمل على:

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها،

ويشتمل على:

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني : تعريف عام بسورة آل عمران،

ويشتمل على:

أولاً: أسماء السورة وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة.

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسة.

خامسا: موضوعات السورة وأغراضها ومقاصدها العامة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب السادس لسورة آل عمران الآيات (15 . 32)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (15 . 17)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ربط الناس بالنعيم الأخروي وتزهيدهم في متاع الدنيا.

المطلب الثاني: حث المسلمين على الاتصاف بصفات المؤمنين.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (18 . 20)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: فضيلة التوحيد ومكانته والدعوة إليه.

المطلب الثاني: التنويه على مكانة أهل العلم.

المطلب الثالث: التأكيد على أن لا دين مقبول عند الله تعالى إلا الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: تحذير المسلمين من الاختلاف الذي كان بين أهل الكتاب.

المطلب الخامس: الثبات على المبدأ والدفاع عنه وتبليغه للناس.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (21 . 22)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عاقبة الكفر وقتل الأنبياء والمصلحين.

المطلب الثاني: أهمية قول الحق وإن كان مرا.

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (23 . 25)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم.

المطلب الثاني: تحذير المسلمين من الابتداع في الدين.

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (26 . 27)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان دلائل قدرة الله تعالى في خلقه وملكه.

المطلب الثاني: الإيمان بقدرة الله تعالى.

المطلب الثالث: الإيمان بأن الرازق هو الله تعالى وحده.

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (28 . 30)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار.

المطلب الثاني: مراقبة الله تعالى في السر والعلانية.

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة وجزاء الأعمال.

المطلب الرابع: تنبيه المؤمنين إلى الخوف من الله تعالى وعقابه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (31 . 32)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محبة الله تعالى باتِّباع النبي ﷺ.

المطلب الثاني: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب السادس لسورة آل عمران الآيات (33 . 54)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (33 . 41)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حكمة الله تعالى في اصطفاء بعض عباده.

المطلب الثاني: الخيرة فيما اختاره الله تعالى.

المطلب الثالث: مظاهر عناية الله تعالى بمريم عليها السلام ومستقبلها.

المطلب الرابع: الإيمان بأن الرزق بيد الله تعالى وحده.

المطلب الخامس: عدم اليأس من رحمة الله تعالى.

المطلب السادس: التنبيه على أهمية الذكر والتسبيح.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (42 . 47)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنبيه إلى مكانة مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: التنبيه إلى أهمية العبادة ومكانتها.

المطلب الثالث: بيان معجزة خلق عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: الرد على النصارى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (48 . 54)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان أهمية العلم وأن الفضل في ذلك لله تعالى وحده.

المطلب الثاني: بيان معجزات عيسى عليه السلام والهدف من رسالته.

المطلب الثالث: نصرة الحق من صفات المؤمنين.

المطلب الرابع: أهمية الدعاء والتضرع والافتقار إلى الله تعالى.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب السادس لسورة آل عمران الآيات (55 . 74)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (55 . 58)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبشير بعلو كلمة الإسلام على أصحاب الأديان الأخرى.

المطلب الثاني: التذكير بيوم الجزاء.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (59 . 64)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرد على النصارى وبيان أصل الإنسان.

المطلب الثاني: المفاصلة حتمية بين الحق والباطل.

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة التوحيد.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (65 . 68)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذم الجدال بغير علم.

المطلب الثاني: بيان حقيقة إبراهيم عليه السلام وتنزيهه عن الشرك.

المطلب الثالث: الادِّعاء الكاذب لا يزيد الحق إلا وضوحا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (69 . 71)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان ضلال أهل الكتاب واهتداء أهل الإسلام.

المطلب الثاني: تحذير أهل الإيمان من الكفر وكتمان الحق.

المطلب الثالث: دعوة المسلمين إلى نبذ الاتصاف بصفات أهل الكتاب.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (72 . 74)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من التلاعب بالدين.

المطلب الثاني: التحذير من التعصب الأعمى.

المطلب الثالث: اختصاصُ الله تعالى بعض عباده بالفضل والخير.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب السادس لسورة آل عمران الآيات (75 . 92)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (75 . 78)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان أن الإسلام دين العدل والإنصاف.

المطلب الثاني: التحذير من القول على الله تعالى بغير علم.

المطلب الثالث: أهمية أداء الأمانة والوفاء بالعهد والتحلي بالتقوى.

المطلب الرابع: التحذير من اتخاذ الدين مطية لتحقيق مكاسب دنيوية.

المطلب الخامس: التحذير من التلبيس على الناس وفتنتهم في دينهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (79 . 80)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حث المسلمين على أن يكونوا ربانيين.

المطلب الثاني: تنزيه الأنبياء عن الشرك وعن الدعوة إلى ما ينافي التوحيد.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (81 . 84)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب نصرة النبي ﷺ والمؤمنين.

المطلب الثاني: الإنكار على من يُعرض عن دين الإسلام.

المطلب الثالث: الإيمان بجميع الكتب والرسل.

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (85 . 89)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى.

المطلب الثاني: الله تعالى يهدي إليه من يشاء ويُضِلُّ من يشاء.

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (90 . 92)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدم التمادي في الباطل.

المطلب الثاني: الحث على المسارعة في التوبة قبل بلوغ الأجل.

المطلب الثالث: فضل النفقة في سبيل الله تعالى.

المطلب الرابع: صلاح النية شرط لقبول العمل.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس:

وتشتمل على ما يأتي:

1) **فهرس الآيات القرآنية.**
2) **فهرس الأحاديث النبوية.**
3) **فهرس الأعلام المترجم لهم.**
4) **فهرس المصادر والمراجع.**
5) **فهرس الموضوعات.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة آل عمران.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها:

أولا: المقصود بالدراسة التحليلية:

مصطلح الدراسة التحليلية مركب تركيبًا وصفيًا من كلمتين هما (الدراسة)، و(التحليلية)، ويمكن تعريفهما على النحو الآتي:

1) الدراسة: مصدر (دَرَسَ)، ودرس الكتاب دَرْسا ودراسة قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه، ويقال درس العلم والفن، ودرَس العلمَ على فلان: تلقّاه على يديه، تتلمذ له.

درَس بالمعهد/ درَس في المعهد: تعلَّم فيه.[1]

2) التحليلية: (حلَّ) " له فروع كثيرة ومسائل وأصلها كلُّها عندي فَتْح الشيء، لا يشذُّ عنه شيء ... يقال حلَلْتُ العُقدةَ أحُلُّها حَلاًّ، ثم كثُر هذا في الكلام حتى قِيل لكلِّ شيء لم يبالَغْ فيه تحليلٌ ".[2]

والتَّحليلي: "عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، وردُّ الشيء إلى عناصره".[3]

ويرى الباحث أنَّه يمكن تعريف الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف النص القرآني بأنها: جهد يقوم به باحث بغرض الكشف عن بعض أسرار النص القرآني، واستنباط مقاصده ودلائله، وذلك باستخدام أدوات تحليل النص القرآني كعلوم اللغة والفقه والأصول والحديث النبوي والآثار وعلوم القرآن وغيرها.

ثانيا: متطلبات الدراسة التحليلية:

لابد لمن أراد سلوك هذا السبيل أن يكون مُلِمًّا بخصائص عِدَّة، منها:

1) التزام منهج السلف الصالح في الاعتقاد وفهم النصوص، فلا يشتطُّ به الرأي إلى مزالق بعيدة منافية لروح الشريعة.
2) التقوى فيما بينه وبين الله تعالى، مع صلاح النية وطهارة المقصد.
3) العقل الراجح، والذكاء، والقدرة على فَهْم ما قرَّره العلماء السابقون، والموازنة بين الأقوال للخروج بأرجحها، وأقواها مستندا.
4) الإلمام بالعلوم ذات الصلة بالتفسير، والتي تعين على فهم المراد، كعلوم العربية والحديث

---

(1) *انظر:* المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (279/1)، *معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار،(1/ 737).*

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (15،17/2).

(3) *معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار،(1/ 550).*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفقه والأصول والتاريخ وغيرها.

5) حسن الصياغة وعرض الأفكار والنتائج، فهذا له دور كبير في توضيح الصورة ونقلها بشكل مؤثر لتؤدي وظيفتها.

6) الربط بالواقع قدر الإمكان؛ حتى يتمكَّن المتلقِّي من الاستفادة مما عَلِم.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها:

أولا: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات:

المقاصد جمع مقصد، " (قصد) القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها على إتيانِ شيءٍ وأَمِّه ... فالأصل: قصَدته قَصْداً ومَقْصَداً". [1]

فالمقصد: "هو العمدة التي يتَّجه إليها الكلام ويرجع إليه"، ومقصد السورة إذاً: هو "مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها"، وعليه فإن علم مقاصد السور هو: " علم يُعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها ".[2]

ويرى الباحث أنَّه يمكن تعريف مقاصد السور بـ: الغايات والأغراض الجامعة للمضامين الفرعية للسورة التي تهدف إليها الآيات إما بطريق الإشارة أو التصريح، والتي يسعى الباحث بأدوات البحث للتنقيب عنها وإبرازها وربطها بالواقع ما أمكن.

ثانيا: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

1) بيان أن السورة ترتبط أجزاؤها برباط وثيق، قال البقاعي[3] رحمه الله: " السورة تكون كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحَمَ انتهاؤها ما بعدَها، وعانَق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضَّم، بِلِيْنِ تعاطُف أفنانها، وحُسْنِ تواصُل ثمارها وأغصانها ".[4]

---

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (79/5).

(2) علم مقاصد السور، د. محمد الربيعة، ص7.

(3) إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي، برهان الدين، أبو الحسن، العلامة المحدث الحافظ، ولد سنة 809 هـ تقريباً، وتوفي سنة 885هـ، (نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، ص24).

(4) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (149/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) تعين على فهم تفسير الآيات القرآنية وإمكانية تطبيقها في الواقع، فإذا فُهِم مقصد السورة الأكبر فإن ذلك مفتاح لفهم المقاصد الجزئية من مقاطع وآيات تلك السورة.

3) " تعويد حَمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة؛ حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كلّ زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية ".[1]

4) دعوة الناس إلى الإيمان برسالة الإسلام من خلال شرح مقاصد القرآن وأهدافه لهم.

5) تعميق الإيمان عند المسلمين بكتاب ربهم وبأحقِّيته في التحاكم إليه.

6) حاجة الناس كافة إلى معرفة هذه المقاصد وتلك الأهداف، التي تمثل حلا لمشكلاتهم في شتى نواحي الحياة.

7) توسيع مدارك الباحثين في أسرار القرآن الكريم.

ثالثا: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

1) الاستعانة بالله تعالى وإخلاص العمل لله وحده: إنَّ تحقيق المقصد من الخلق وهو العبادة لا يتم بدون استعانة بالله، لذلك قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]،

2) الفهم الصحيح للمقصد: "أول ما ينبغي معرفته للوصول لمقاصد السور هو الفهم الصحيح للمقصد ، فإنَّ ذلك يهدي للطريق الصحيح إليه".[2]

3) الالتزام بضوابط التفسير: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأنَّ القرآن يبين بعضه بعضاً، وأن ينظر كذلك لأقوال الرسول ﷺ لأنَّه أعرف الخلق بالله تعالى وبمعاني كلامه، ولأقوال صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

4) معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها، وخصائصها: " لا بُدَّ لمن رام الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها، وفضائلها، وخصائصها، فإن ذلك مفتاح رئيس للوصول لغرضها ".[3]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (158/3).

(2) *علم مقاصد السور، د. محمد الربيعة، (1/ 48).*

(3) *المصدر السابق، (1/ 50، 51).*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عاشور مؤكداً أهمية أسباب النزول بمعناها العام في معرفة المقصد: "ومنها – أي أسباب النزول– ما ينبِّه المفسِّر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات، فإنَّ من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام".[1]

5) الرجوع إلى الكتب والآراء الواردة عند السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقاً لتحديد مقاصدها.

6) الاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور كما سأذكرها لاحقاً بإذن الله تعالى.

7) مراعاة السياق والقرائن: إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصاً، فكيف بكلام الله سبحانه وتعالى إذ لا بد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.

8) المعايشة الروحية الحية للسورة: قال سيد قطب رحمه الله: " إنَّ هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل ".[2]

رابعا: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للإمام برهان الدين البقاعي رحمه الله.

2) قبس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني.

3) التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، حيث يتكلم عن مقاصد السورة بشكل عام في أول تفسيرها تحت اسم أغراض السورة.

4) في ظلال القرآن، للأستاذ المفكر سيد قطب رحمه الله، والمقاصد مبثوثة في ثنايا حديثه.

5) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي رحمه الله.

6) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.

7) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي.

8) التفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي.

9) تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.

10) زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة.

---

(1) *التحرير والتنوير، (47/1).*

(2) *معالم في الطريق، (18/1).*

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني
تعريف عام بسورة آل عمران

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وخطوطها الرئيسة.

المطلب الخامس: موضوعات السورة وأغراضها ومقاصدها العامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها:

الأساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء ذُكر فيها، وسورة آل عمران عُنيتْ بتفصيل شأن عيسى وأمه عليهما السلام، وعمران المذكور في السورة هو أبو مريم عليها السلام؛ لأن الاصطفاء الأول كان لآل عمران مجملٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:33]، ثم بُيِّن هذا الإجمال باصطفاء مريم أمِّ عيسى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:42]، فدلَّ ذلك على أنَّ عمران هو أبو مريم عليها السلام وليس أبو موسى وهارون عليهما السلام، ويقوِّي هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:35].[1]

قال الإمام أبو حيان[2] رحمه الله: " هذه السورة، سورة آل عمران، وتسمى: الزهراء، والأمان، والكنز، والمعينة، والمجادلة، وسورة الاستغفار، وطيبة "[3] ونقل ذلك عنه الإمام الآلوسي[4] رحمه الله.[5]

قال الإمام جمال الدين القاسمي رحمه الله: " سميت بذلك لأن اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وأمها، نزل فيه منها ما لم ينزل في غيره، إذ هو بضع وثمانون آية. وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد ﷺ وجعله متبوعا لكل محب لله ومحبوب له ".[6]

---

(1) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1981م، (22/1).

(2) محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، المالكي ثم الشافعي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد سنة 654هـ في مدينة غرناطة، ونشأ بها، ومات في ثامن عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، (280/1).

(3) البحر المحيط، (389/2).

(4) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم، ولد سنة 1217هـ ومات سنة 1270هـ، (الأعلام، الزركلي، (176/7)).

(5) روح المعاني، الألوسي، (73/3).

(6) محاسن التأويل، (253/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وتسمى الزهراء؛ لأنها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام، والأمان؛ لأن من تمسك بما فيها أمن من الغلط في شأنه. والكنز؛ لتضمنها الأسرار العيسوية، والمجادلة؛ لنزول نيّف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله ﷺ نصارى نجران. وسورة الاستغفار؛ لما فيها من قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:17]، وطيبة؛ لجمعها من أصناف الطيبين في قوله:﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:17] إلى آخره ".[1]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: " للعلماء في تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين ثلاثة أقوال، الأول: أنهما النيرتان مأخوذ من الزهر والزهرة، فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما أي من معانيهما.

وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة، وهو القول الثاني.

الثالث: سميتا بذلك لأنهما أشركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم ".[2]

وقد ورد في تسمية هذه السورة آثار، منها:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوَيْنِ...)**.[3]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها من آخر الليل "[4]، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : "من قرأ آخر سورة "آل عمران" في ليلة كتب له قيام ليلة".[5]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " من قرأ البقرة وآل عمران والنساء كتب عند الله من الحكماء ".[6]

وذكر القرطبي رحمه الله " أنها أمان من الحيات... وأنها تُحاجُّ عن قارئها في الآخرة ".[7]

---

(1) محاسن التأويل، القاسمي،(253/2).

(2) الجامع لأحكام القرآن، (9/5).

(3) مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار (481/36) حديث رقم 22157، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(4) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران، (2139/4)، حديث رقم3439.

(5) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران، (2139/4)، حديث رقم 3441.

(6) شعب الإيمان، البيهقي، فصل في فضائل السور والآيات، ذكر السبع الطول، (75/4)، حديث رقم2201.

(7) الجامع لأحكام القرآن، (7/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدد آياتها: ذكر أبو عمرو الداني رحمه الله[1] أنها " مائتا آية في جميع العدد ".[2]

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة:

1) مكان نزول السورة: نزلت سورة آل عمران بالمدينة اتفاقا.

2) زمان نزول السورة: الإجماع منعقد على أنَّ سورة آل عمران من أوائل المدنيات، والتفصيل في زمان النزول على النحو الآتي:

سورة آل عمران نزلت بعد وقعة بدر الكبرى؛ إذ فيها تذكير بانتصارهم فيها، فعلى هذا تكون قد نزلت بعد الأنفال التي فيها ذكر غزوة بدر بتفاصيلها.

فالرأي الأقرب أنها نزلت عقب غزوة أحد، أي في شوال سنة ثلاث هجرية، أما نزول صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها فهو في وفد نجران، وهذا يجيز القول بأن نزول هذا المقطع جاء متأخرا عما بعده من المقاطع. والله تعالى أعلم.[3]

3) سبب نزولها:

قال الواحدي[4]: " قال المفسرون: قدم وفد نجران، وكانوا ستين راكبا على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم، فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح، والسيد إمامهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده، فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبات وأردية في جمال رجال الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفدا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ، فقال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن

---

(1) أبو عمرو الداني الامام الحافظ، المجود المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموي، مولاهم الاندلسي، القرطبي ثم الداني، ويعرف قديما بابن الصيرفي، مصنف " التيسير " و " جامع البيان "، ولد سنة 371هـ، ومات سنة 444هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، (77/18)).

(2) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص143.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (144/3).

(4) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، وأسباب النزول، مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة 468هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، (339/18)).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى، فقال لهما النبي ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى أتى عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا، قالوا: لا، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِيَ كما يُغْذَى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويُحْدِث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا، فأنزل الله ﷻ فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها ".[1]

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها:

1) فضائل السورة:

ورد في فضائل سورة آل عمران آثار كثيرة، منها: عن أَبُي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ".[2]

2) جو نزول السورة:

" شهد العام الثاني للهجرة النبوية تحولات جوهرية في تنظيم وتطور الدولة الإسلامية الفتية، فرغم وجود عهود مع أعدائها في الداخل من أهل الكتاب إلا أنهم ظلوا يطعنون في الإسلام ويخاصمون أهله، فلم تتوقف مناكفتهم يوما بحجج الوحي، ولم تهدأ مجادلتهم ببراهين العقل، وإن لم يكف ذلك من غلهم على دولة الإسلام، ولم يخفف من حملاتهم المغرضة عليها، ولكنها إقامة الحجة في إيضاح المحجة قبل اللجوء إلى السيف ولو تعلق الأمر بألد الأعداء وأعتى الخصوم، في الوقت نفسه كانت الحرب العسكرية مع المشركين– بعد استفراغ كافة الوسائل الدعوية السلمية – قد بلغت ذروتها؛

---

(1) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص99 ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (73/3، 74).

(2) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (553/1) حديث رقم 804، الغمام: السحاب الملتف وهو الغيابة إذا كانت قريبا من الرأس وهي الظلة أيضا والمعنى: أن قرَّاءهما في ظل ثوابهما، وقوله: "تحاجان " أي: يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة. (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9/5)).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث حمي الوطيس في غزوة بدر، في هذه الظروف نزلت سورة آل عمران لتؤكد منهج الإسلام في إلزام معتنقيه بالثبات على منهجه القرآني النبوي تحصينا للعقول المسلمة من زيغ الشبهات، وتشجيعا للأنفس المؤمنة ضد إرهاب العدو، فبينت الحق ودحضت الباطل وأزالت غبش مزاعم أهل الشرك من النوعين ".[1]

المطلب الرابع: محور السورة وخطوطها الرئيسة:

1) **محور السورة:** ذكر الإمام البقاعي رحمه الله أن مقصود السورة التوحيدُ، وهو محورها في الحقيقة، فإثبات بشرية عيسى عليه السلام هو إبطال لادِّعاء ألوهيته، وفي هذا إثبات لوحدانية الله جل جلاله.[2]

والدلائل على هذا المحور كثيرة منها أن " سورة آل عمران هي السورة الوحيدة التي فُصل بين الأحرف المقطعة والحديث عن القرآن الكريم، فقد فُصل بينهما بالتأكيد على وحدانية الله تعالى وأنه حي قيوم، قال تعالى:﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران:1- 3] بينما في باقي سور المصحف الشريف التي افتتحت بالحروف المقطعة يأتي الحديث عن القرآن الكريم مباشرة بعد الأحرف المقطعة ".[3]

يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله: " لما كان أول أغراض هذه السورة الذي نزلت فيه هو قضية مجادلة نصارى نجران حين وفدوا إلى المدينة، وبيان فضل الإسلام على النصرانيَّة، لا جرم افتتحت بحروف التهجّي المرموز بها إلى تحدّي المكذّبين بهذا الكتاب، وكان الحظّ الأوفر من التكذيب بالقرآن للمشركين منهم، ثم للنصارى من العَرب ".[4]

وقد ذُكرت شهادة التوحيد في السورة خمس مرات صراحة، وهي: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:2]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6]، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:18]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران:62]، وهذا الحشد لشهادة التوحيد هو الأكثر تكرارا في القرآن الكريم.[5]

---

(1) هدايات سورة آل عمران، د. أحمد ولد محمد ذو النورين، مجلة البيان، العدد 194.

(2) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (68/2).

(3) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (407/1).

(4) التحرير والتنوير، (146/3).

(5) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (409/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) خطوط السورة الرئيسية:

أولا: بدأت السورة في تقرير الوحدانية، وسوْق الشواهد على ذلك، فقد جاء وفد نجران– وهم نصارى– إلى المدينة لمحاجة النبي ﷺ، وانتهت رحلتهم بالمباهلة، وهذا الشوط من السورة يخاطب أهل الكتاب، ويكشف حقيقتهم، وينعي عليهم عدم قَبول الحق وكفرهم بآيات الله تعالى رغم علمهم بها.

ثانيا: المشهد الثاني من السورة يبين أحداث غزوة أحد، وتضمَّنت الآيات خلال ذلك تذكير المسلمين بنصر يوم بدر، وأمَرَتْهم بالاعتصام بحبل الله ونَبْذ الفُرقة، وواسَتْهم في مُصابهم في أُحُد، وحذَّرتهم من اليأس وتسرُّب الضعف والهوان إلى قلوبهم، وبيَّنتْ فضل الشهداء ومكانتهم عند الله تعالى، وكشفت عن حقيقة الصراع بين المسلمين وأعدائهم.

ثالثا: تفرَّد الحديث في آخر السورة عن اليهود، فبيَّن أنَّ نفوسهم خالية من التقوى، وأفئدتهم عارية عن الإيمان، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:181]، ثم أشرك الحديثُ اليهود والمشركين في خطاب واحد في إشارة إلى أن جهاد الدعوة يطالهم جميعا، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:186].

والسورة في آخرها تطالب بالتفكير والتدبر في خلق السماوات والأرض، وما فيهما من عجائب وأسرار الخلق، وتشُدُّ من أزر المؤمنين، فالآيات تؤكد أن الكفار رغم استعلائهم واستكبارهم وفسادهم ذاهبون، وأعمالهم إلى بوار وزوال واضمحلال، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[آل عمران:196]، ثم أوصت الآية الأخيرة بالصبر على الجهاد والمرابطة في سبيل الله تعالى ليحظى الإنسان بدرجة الفلاح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:200].[1]

" تضمّنت هذه السّورة الكلام على جانبي العقيدة والتّشريع، أما العقيدة: فقد أثبتت الآيات وحدانية اللّه، والنّبوة، وصدق القرآن، وإبطال شبهات أهل الكتاب حول القرآن والنّبي محمد ﷺ، وإعلان كون الدّين المقبول عند اللّه هو الإسلام، ومناقشة النصارى في شأن المسيح وألوهيته والتكذيب برسالة الإسلام، واستغرقت المناقشة قرابة

---

(1) انظر: هدايات سورة آل عمران، د. أحمد ولد محمد ذو النورين، مجلة البيان، العدد 194.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نصف السورة ... بالإضافة إلى ما تضمنته هذه السّورة من تقريعاتهم، والتحذير من مكائد أهل الكتاب، وأما التّشريع: فقد أبانت الآيات بعض أحكام الشرع مثل فرضية الحج والجهاد وتحريم الرّبا وجزاء مانع الزّكاة، وبعض الدروس والعبر والعظات من غزوتي بدر وأحد، والتّنديد بمواقف أهل النّفاق ".[1]

المطلب الخامس: موضوعات السورة وأغراضها ومقاصدها العامة:

أولا: موضوعات السورة وأغراضها: " مضمون السّورة مناظرة وَفْد نجران، إلى نحو ثمانين آية من أَوّلها، وبيان المحكَم، والمتشابِه، وذمٌّ الكفَّار، وَمَذَمَّة الدنيا، وشَرَفُ العُقْبى، ومدح الصَّحابة، وشهادة التَّوحيد، والرَّد على أَهل الكتاب، وحديث ولادة مَرْيم، وحديث كَفَالة زكريا، ودعائه، وذكر ولادة عيسى، ومعجزاته، وقصى الحَوَاريّين، وخبر المباهلة، والاحتجاج على النَّصارى، ثمّ أَربعون آية في ذكر المرتدِّين، ثم ذكر خيانة علماء يهودَ، وذكر الكعبة، ووجوب الحج، واختيار هذه الأُمّة الفُضْلى، والنَّهى عن موالاة الكفار، وأَهل الكتاب، ومخالفي المِلَّةِ الإسلامية. ثم خمس وخمسون آية في قصّة حَرْب أُحُدٍ، وفى التخصيص، والشكوى من أَهل المركز، وعذر المنهزِمين، ومنع الخَوض في باطل المنافقين، وتقرير قصّة الشهداء، وتفصيل غَزْوَة بدر الصغرى، ثم رجع إلى ذكر المنافقين في خمس وعشرين آية، والطَّعن على علماء اليهود، والشكوى منهم في نقض العهد، وترك بيانهم نعتَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المذكور في التَّوراة، ثم دعواتِ الصحابة، وجدهم في حضور الغزوات، واغتنامهم درجة الشهادة. وختم السورة بآيات الصبر والمصابرة والرِّباط ".[2]

ثانيا: مقاصد السورة العامة:

المقصد الأول: تقرير الحق في قضية العالم الكبرى، وهي مسألة الألوهية وإنزال الكتب، وما يتعلق بها من أمر الوحي والرسالة، وبيان وحدة الدين عند الله تعالى، فقد ذكرت السورة وحدانية الله تعالى، وأنه ذو القدرة الباهرة والعلم المحيط والقَدَر النافذ.

وخصَّت السورة جماعة من المسرفين في شأن عيسى عليه السلام، الزاعمين ألوهيَّته أو بنوَّته لله تعالى، فذكرت الآيات أن عيسى عليه السلام خُلِق بقدرة الله ليكون معجزة للبشرية ودليلا على تفرُّد الله تعالى بالألوهية، فقد خُلِق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم.

---

(1) التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، أ.د وهبة الزحيلي، (141/3).

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، (159/1، 160).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقصد الثاني: بيان أسباب انصراف الناس عن الحق، وشرح أسباب العلة التي تستحوذ على عقول الناس وتستولي على قلوبهم، فتصرفهم عن الاستماع للحق والالتفات إليه، وبيَّنت السورة أن هذه العلة هي غرور الناس بما لهم من أموال وجاه وسلطان، فهم يتصوَّرون أن الدين الجديد جاء ليسلبهم أموالهم وسلطانهم، فاندفعوا باتجاهٍ مخالف للدعوة الغرَّاء، وظنوا أنهم في غنى عن هذه الدعوة بما في أيديهم من أموال وأولاد.[1]

(1) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، (1/23- 27).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب السادس

الآيات (15 . 32)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (15 . 17)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (18 . 20)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (21 . 22)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (23 . 25)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (26 . 27)

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (28 . 30)

المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (31 . 32)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (15 . 17)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ربط الناس بالنعيم الأخروي وتزهيدهم في متاع الدنيا.

المطلب الثاني: حث المسلمين على الاتصاف بصفات المؤمنين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: ربط الناس بالنعيم الأخروي وتزهيدهم في متاع الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:15].

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز صوراً كثيرةً من النعيم الأخروي؛ لتحقيق الارتباط بما أعدَّه للمؤمنين يوم القيامة، ففي كثير من آيات القرآن كان الحديث مشوِّقا عندما يعرض وصف الجنة وما فيها من قصور وحور، وثمار وأطيار وأنهار، كقوله ﷻ: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد:35] وفي مقابل ذلك كان التزهيد في الدنيا والاغترار بعرَضها الزائل قائما، وكان بيان حقيقة الدنيا حاضرا بوضوح وجلاء، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[فاطر:5].

أولا: سبب النزول:

" لمَّا نزلت ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ إلى آخر الآية قال عمر ﷺ: الآن يا رب حين زيَّنتها لنا، فنزلت ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ الآية كلها".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ أي الشهوات المزينة لكم﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ولم ينهمكوا في شهواتهم، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولا ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي من الأرجاس والأدناس البدنية والطبيعية مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالبا، ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ التنوين للتفخيم، أي رضوان لا يقدر قدره ".[2]

ثالثا: المناسبة:

" في هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها، وذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها، ثم جاء الإنباء بخير من ذلك هازاً للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عَقِل ".[3]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (606/2).

(2) محاسن التأويل، القاسمي، (292/2، 293).

(3) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، (1/ 410).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: اللطائف البيانية:

1) قال الإمام ابن عاشور[1] رحمه الله معقبا على هذه الآية: " وقد ألغى ما يقابل شهوات الدنيا في ذكر نعيم الآخرة؛ لأنّ لذة البنين ولذة المال هنالك مفقودة، للاستغناء عنها، وكذلك لذة الخيل والأنعام؛ إذ لا دوابّ في الجنة، فبقي ما يقابل النساء والحرث، وهو الجنّات وَالأزواج، لأنّ بهما تمام النعيم والتأنّس، وزِيدَ عليهما رضوانُ الله الذي حُرِمَه من جعل حظَّه لَذَّات الدنيا وأعرض عن الآخرة ".[2]

2) أسلوب التشويق في قوله تعالى:﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾، فالاستفهام هنا " للعرض تشويقا من نفوس المخاطبين إلى تلقِّي ما سيُقَصُّ عليهم كقوله ﷻ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف:10] "[3]، " وفي قوله: " أؤنبئكم " التفاتٌ من الغَيْبَةِ في قوله: " للناس " إلى الخطاب تشريفاً لهم "[4]، وهو ﷻ بعد ما " بيَّن شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالاً، أمر النبيَّ ﷺ بتفاصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب، والخطاب للجميع، والهمزة للتقرير: أي أأخبركم بما هو خير مما فُصِّل من تلك المستلذات المزينة لكم، وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه ".[5]

3) قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله: " في وجه النظم وجوه:

الأول: أنه تعالى لما قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:14]، بيَّن في هذه الآية أن ذلك المآب، كما أنه حَسَنٌ في نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا، فقال:﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٖ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾.

الثاني: أنه تعالى لما عدَّد نِعَمَ الدنيا، بيَّن أن منافع الآخرة خير منها.

الثالث: كأنه تعالى نبَّه على أنَّ أمرَك في الدنيا وإن كان حسناً منتظِماً إلا أن أمرك في الآخرة خير وأفضل ".[6]

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها. عين عام 1932م شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، (الأعلام، الزركلي، 174/6).

(2) التحرير والتنوير، (3/ 184).

(3) المصدر السابق (183/3).

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، (64/3).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، (15/2).

(6) التفسير الكبير، (215/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) قال الإمام أبو السعود رحمه الله: " ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ التنوين للتفخيم، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة، أي: رضوانٌ وأيُّ رضوان لا يُقادَرُ قدْرُه كائنٌ من الله ﷻ "[1]، عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول:أنا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قالوا: يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)**.[2]

5) " أظهرَ اسمَ الجلالة في قوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ دون أن يقول: ورضوانٌ منه، أي من ربّهم؛ لِمَا في اسمِ الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرضوان ".[3]

6) قوله:﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾" صدَّر سبحانه القول بلفظ الجلالة لتربية المهابة في القلوب، وإشعارها بعظمته، وإذا كان الله سبحانه وتعالى عليما بخفيِّ أحوالهم، فإنه سيجزي المحسنَ إحسانا والمسيءَ عقابا، فهذه الجملة السامية فيها وعْد ووعيد، وفيها إشعار برقابة العلي القدير، مما يجعل المؤمن التقي يشعر دائما بأن الله يراه، وإن لم يكن هو يراه ".[4]

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الدعوة في القرآن إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة كثيرةٌ، فقد استعمل القرآن الكريم أساليبَ عِدَّةً في ربط الناس بالدار الآخرة، فتارةً يُرغِّب الناس في نعيم الجنة بتقريب الصورة إلى الأذهان تشويقاً إليها، وتارةً ببيان أن الآخرة خيرٌ وأبقى كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء:77] ومرةً بترتيب الثواب على الأعمال الصالحة، وترتيب العقوبة على سيء الأعمال، وقد يكون الربط بالآخرة ببيان حقيقة الدنيا، وأنها متاع زائل، قال تعالى:﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:20].

---

(1) إرشاد العقل السليم، (2/ 16).

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار،(114/8)، حديث رقم 6459.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (3/ 184).

(4) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (3/ 1141).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) " إن نظرة الإنسان في الغالب آنيةٌ وقتية، لا ينظر إلى المستقبل البعيد، ولا يقارن بين الباقي الدائم والمنقطع المؤقت؛ لذا كان القرآن أكبر مساعد للعقل على التزام جادة التفكير السَّويِّ والاستقامة، فإن الخالد المستمر أفضل من الذي يزول بسرعة، وهكذا كانت هذه الآية مع الآية السابقة مقارِنةً مبيِّنةً ما هو الأصلح للإنسان؛ تسليةً عن الدنيا وتقويةً لنفوس تاركيها ".[1]

3) كان النبي ﷺ حريصاً على أن تكون أمتُه زاهدةً في الدنيا راغبةً في الآخرة، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال:**(ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليَمِّ فلْيَنْظر بماذا يرجع)**[2]، وقد جعل النبيُّ ﷺ الزهدَ في الدنيا سبباً لمحبة الله تعالى للعبد، ففي الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أتاه رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)**[3]، بل إنَّ الزهد في الدنيا سببٌ قويٌ لراحة النفس؛ فإن الذي يشتغل بالهَمِّ بأمر دنياه ويغفل عن أمر آخرته، يعيش حالة الضَّنَك في تفاصيل حياته ولا يجد عنها محيصا، وهذا مصداق قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:124].

4) من آثار الارتباط بالآخرة والزهد في الدنيا: أنَّه لو كان ارتباط الناس قويا بما عند الله تعالى من نعيم وعُقبى لكانت حالُهم أفضلَ وحياتُهم أطيبَ، ولكان اندفاعُهم لفِعْل الخيرات أكبرَ وأسرعَ، ولو أنَّهم زهِدوا في الدنيا ومتاعِها لما كانت المشكلات، فحُبُّ الدنيا رأس كل خطيئة، وتَرْكُ ما لا ينبغي التوسُّعُ فيه كالمباحات علامةٌ على صدق إيمان العبد وتعلُّقِه بالدار الآخرة، وقد فَهِم الصحابة الكرام ﷺ هذا المقصد ومارسوه عملياً فنالوا بذلك السَّبقَ والرِّضا.

5) ختمت الآية بقوله:﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ " للإشعار بأنه ليس كل من ادَّعى التقوى في نفسه أو بلسانه يكون متقيا، وإنما المتقي عند الله هو من يعلم الله منه التقوى، وفي هذا تنبيه للناس وإيقاظ لمحاسبة نفوسهم على التقوى لئلا يغُشَّهم العُجْب بأنفسهم فيحسبوها مُتَّقية وما هي بِمُتَّقية ".[4]

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (3/ 174).

(2) سنن الترمذي، كتاب أبواب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، (561/4) حديث رقم 2323، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، (1373/2) حديث رقم 4102، قال الألباني: صحيح.

(4) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (249/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: حث المسلمين على الاتصاف بصفات المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:16،17].

إن الارتباط بين هذا المطلب وسابقه قويٌّ وحاضر، فالمطلب السابق كان يدعو إلى التطلُّع نحو الآخرة والتعلُّق بها، فهي الدار الباقية، مما يُنشِئُ جوًّا من الارتباط والتشوُّق للآخرة، والحديث في هذا المطلب عن الإقرار بالإيمان، والدعاءِ بالمغفرة والوقاية من النار، وبعدها الصفات الخمس التي لا يبتغي بها العبد إلا وجه ربه ﷻ، فكان الارتباط وثيقاً.

أولا: المعنى الإجمالي:

" الجزاء المادي والروحي هو للمتقين اللّه حقيقة الذين يقولون: ربنا إننا آمنا بك وبرسلك وكتبك إيماناً حقيقياً صادقاً يملأ قلوبنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار. وهؤلاء المؤمنون الأتقياء صابرون على تقوى اللّه وعلى قضاء اللّه وعلى كل مكروه، وقانتون خاشعون لله متضرعون إليه، ومنفقون أموالهم في سبيل اللّه ندباً ووجوباً، ومستغفرون اللّه بالأسحار أي قبل طلوع الفجر، وفي هذا الوقت يكون الدعاء مستجاباً، ورحمة اللّه شاملة للتائبين من العصيان ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿ءَامَنَّا﴾: "(أَمِنَ) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق"[2]، والإيمان في الشرع: تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ[3]، وهو عند أهل السنة والجماعة "قول وعمل، يزيد وينقص".[4]

2) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الصبر هو " التجلُّد وحُسْنُ الاحتمال، وعن المحبوب حبسُ النفس عنه، وعلى المكروه احتمالُه دون جزع ".[5]

3) ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: الصدق: " مطابقة الحكم للواقع "[6]، ويدخل فيه الصدق مع الله تعالى، ومع الناس، ومع النفس.

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (180/1) بتصرف.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (138/1).

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص332.

(4) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ص11.

(5) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (506/1).

(6) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، ص74.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: القنوت لغة: الطَّاعة، و" سمِّي كلُّ استقامةٍ في طريقِ الدِّين قُنُوتاً "[1]، " وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها، وهو عبادة نفسية جسدية ".[2]

5) ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: " (نَفَقَ) النون والفاء والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه، ومَتَى حُصِّل الكلامُ فيهما تقارَبَا ".[3] وهذان المعنيان متحققان في صفة هؤلاء المؤمنين، إذ إنهم عند إخراجهم للمال يكونون قد أنقصوه، طلباً لذخيرته عند الله ﷻ يوم القيامة، وهم في ذلك يخفون صدقاتهم عن أعين الناس إخلاصا منهم.

6) ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ : الاستغفار لغة: " السَّتْر "[4]، وفي معنى المستغفرين بالأسحار عدة أقوال، ذكرها الإمام الطبري رحمه الله ورجَّح " قولَ من قال: هم السائلون ربَّهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غيرَ أنَّ أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء ".[5]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) في تكرار واو العطف بين الصفات جوابان، " أحدُهما: أنَّ الصفاتِ إذا تكرَّرت جازَ أن يُعْطَفَ بعضُها على بعضٍ بالواوِ، وإنْ كانَ الموصوفُ بها واحداً، ودخولُ الواوِ في مثل هذا الضرب تفخيمٌ، لأنه يُؤْذِنُ بأن كلَّ صفةٍ مستقلةٌ بالمدحِ، والجوابُ الثاني: أن هذه الصفاتِ متفرقةٌ فيهم، فبعضُهم صابرٌ، وبعضُهم صادِقٌ، فالموصوفُ بها متعدِّدٌ "، وقيل: " الواوُ المتوسطةُ بين الصفاتِ للدلالةِ على كمالهم في كلِّ واحدة منها ".[6]

2) " تقدم قولهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ على قولهم: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ لأن إيمانهم هو الوسيلة لطلب مغفرة الذنوب "[7]، فالإيمان سابق على طلب المغفرة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (25/5).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (185/3).

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (364/5).

(4) المصدر السابق، (310/4).

(5) جامع البيان، (267/6).

(6) إملاء ما منَّ به الرحمن، أبو البقاء العكبري (128/1)، الدر المصون، السمين الحلبي،(71/3).

(7) انظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د. محمود منير المسيري، ص257.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) التعبير بصيغة اسم الفاعل بدلا من التعبير بالفعل أتمُّ وأكمل؛ " قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أكملُ من قوله: الذين يصبرون ويصدقون؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يدل على أن هذا المعنى عادتُهم وخلقُهم، وأنهم لا ينفَكُّون عنها ".[1]

4) ترتيب الصفات: " ذكر سبحانه الصابرين أولاً ثم قال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ثانياً، ثم إنه تعالى نَدَبَ إلى المواظبة على هذين النوعين من الطاعة، فقال: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ فهذه الألفاظ الثلاثة للترغيب في المواظبة على جميع أنواع الطاعات، ثم بعد ذلك ذكر الطاعات المعينة، وكان أعظم الطاعات قدراً أمران أحدهما: الخدمة بالمال... فذكر هنا بقوله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ والثانية: الخدمة بالنفس... فذكره هنا بقوله ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أصول فضائل صفات المؤمنين: " وهي الصبر الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي، والصدق الذي هو ملاك الاستقامة وبثّ الثقة بين أفراد الأمة، والقنوت وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها وهو عبادة نفسية جسدية، والإنفاق وهو أصل إقامة أوْد الأمة بكفاية حاجة المحتاجين، وهو قربة مالية والمال شقيق النفس، وزاد الاستغفار بالأسحار وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل، والسحر سُدس الليل الأخيرْ؛ لأنّ العبادة فيه أشدُّ إخلاصاً، لما في ذلك الوقت من هدوء النفوس، ولدلالته على اهتمام صاحبه بأمر آخرته، فاختار له هؤلاء الصادقُون آخرَ الليل لأنّه وقت صفاء السرائر، والتجرّد عن الشواغل ".[3]

2) كانت أُوْلَى صفات هؤلاء المؤمنين إقرارُهم بالإيمان، ثم رتَّبوا طلب المغفرة على الإقرار بالإيمان، إذ إن الإيمان شرط في حصول المغفرة وقَبول الأعمال ونَوَال الأجر، ثم جاءت بعد ذلك الصفاتُ الأُخَرُ كدلالة واضحة على قوة هذا الإيمان ورسوخه في قلوب أصحابه.

3) من الأغراض التي يجب التَّنبُّه لها أنَّ هذه الصفات تأتي بالمزاولة والممارسة؛ حتى يتحقَّق الإيمان، وتستقرَّ دعائمه في القلب، ويؤتي ثماره سلوكاً إيجابيًّا في المجتمع.

---

(1) التفسير الكبير، الرازي، (219/7).

(2) المصدر السابق، (219/7).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (185/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (18 . 20)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : فضيلة التوحيد ومكانته والدعوة إليه.

المطلب الثاني: التنويه على مكانة أهل العلم.

المطلب الثالث: التأكيد على أن لا دين مقبول عند الله تعالى إلا الإسلام.

المطلب الرابع: تحذير المسلمين من الاختلاف الذي كان بين أهل الكتاب.

المطلب الخامس: الثبات على المبدأ والدفاع عنه وتبليغه للناس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: فضيلة التوحيد ومكانته والدعوة إليه:

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:18].

هذه الشهادة أعظم الشهادات، فالشاهد هو الله ﷻ، والمشهود له هو الوحدانية والتفرُّد بالألوهية والقيام بالقسط، فالتوحيد به قامت السماوات والأرض، وبه أُرسل الرسل، وبه أُنزلت الكتب، وله قامت سوق الجنة، فجُرِّدت لحمايته السيوف، وسالت في سبيل نشره الدماء، هو كلمة الحق الأولى والأخيرة، وهو سر النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، فالجنة لا يدخلها إلا الموحدون، فمِفتاحها كلمةُ التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أولا: سبب النزول:

" لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد ؟ قال: نعم، قالا: وأنت أحمد ؟ قال: نعم، قالا إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول اللهﷺ: سلاني، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾فأسلم الرجلان وصدَّقا برسولﷺ ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" أخبر الله تعالى عباده وأعلمهم بالآيات القرآنية التي أنزلها على نبيه، وبالآيات الكونية التي لا يقدر على خلقها أحد سواه، وبغير ذلك من الأدلة القاطعة التي تشهد بوحدانيته، وأنه لا معبود بحق سواه، وأنه هو المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وفقراء إليه وهو الغنى عن كل ما عداه، وشهد بذلك الملائكة بأن أقرُّوا بأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد فعبدوه حق العبادة، وأطاعوه حق الطاعة، وشهد بذلك أيضاً أولو العلم بأن اعترفوا له سبحانه بالوحدانية، وصدقوا بما جاهم به الرسول ﷺ وبلغوا ذلك لغيرهم ".[2]

---

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص101، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (63/5)، زاد المسير، ابن الجوزي، (361/1).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، (74/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿شَهِدَ﴾: " الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام "[1]، " الشهادة: الإخبار المقرون بالعلم والإظهار والبيان إما بالمشاهدة الحسية، وإما بالمشاهدة المعنوية وهي الحجة والبرهان ".[2]

2) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: " قضى الله أَنه لا إله إلا هو وحقيقته عَلِمَ اللهُ وبَيَّنَ اللهُ؛ لأَن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله قد دلَّ على توحيده بجميع ما خَلَق، فبيَّن أَنه لا يقدر أَحد أَن يُنْشِئَ شيئاً واحداً مما أَنشأَ ".[3]

3) ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: " عالَمٌ لطيف غيبيٌّ غيرُ محسوس، ليس لهم وجود جسماني يُدرَك بالحواس... وهم مطهَّرون من الشهوات الحيوانية، ومُبَرَّءون من المُيول النفسية، ومُنَزَّهون عن الآثام والخطايا...هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم قدرة على أن يتمثّلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية ".[4]

4) ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: " هم علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما، إذ لا اعتدادَ بعلمٍ لا مَدْخَلَ له في العلم الذي اشتمل عليه الكتابُ العزيز والسُّنَّةُ المطهَّرة ".[5]

5) ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: " أي مُقيماً للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته ".[6]

رابعا: اللطائف البيانية:

1) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ " شُبِّهت دِلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه ".[7]

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (172/3).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (177/3).

(3) لسان العرب، ابن منظور، (239/3).

(4) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص111.

(5) فتح القدير، الشوكاني، (441/1).

(6) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (17/2).

(7) الكشاف، الزمخشري (534/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) تكرير الشهادة في بداية الآية وآخرها يفيد " الإعلام بأن هذه الكلمة أعظمُ الكلام وأشرفُه، فيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها، فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات"[1]، والكلام هنا " مصدَّرٌ بالتوحيد، وأعقبَ التوحيد تعدادُ الشاهدين به، ثم قوله: " قائِماً بِالْقِسْطِ "، وهو التنزيه، فطال الكلام بذلك فجدَّد التوحيدَ تِلْوَ التنزيه، لِيَلِيَ قولَه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع في الفهم مما أريد إيصاله به، والله أعلم ".[2]

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) فضل التوحيد: هو قطب الدين الأعظم، حوله تدور رحى الإسلام، وبه تنتظم الحياة، ويسعد به الإنسان في دنياه وأخراه، هو أساس كل فضيلة، ومنبع العزة والشموخ، وهو دعوة الرسل جميعاً، وهو العدل بعينه، إذ إن الله تعالى وحده هو الحقيق بإفراده بالعبادة والقصد.

وقد تكاثرت الأدلة في الوحيَيْن – القرآنِ والسُّنَّةِ– على فضيلة التوحيد وأهله، فقد مجَّد الله تعالى ذاتَه العليَّة في مواضع كثيرة من كتابه الكريم فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:255]، فالتوحيد هو الأمر كله، لأجله خُلِق الإنسانُ، وبه أُرْسِل الرسُل، وأنزِلت الكتب، وفي سبيل نشره شُرِع الجهاد لمن صدَّ عنه، قال رسول الله ﷺ: **(أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).**[3]

2) مما يبين عظمةَ كلمة التوحيد حديثُ البطاقة، جاء في الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **(إنَّ الله سَيُخَلِّصَ رجُلا مِنْ أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيَنْشُرُ له تسعة وتسعين سِجلاً، كلُّ سِجلٍّ مِثْلُ مدِّ البَصَر، ثم يقول: أتُنْكِرُ من هذا شيئا؟ أظلمَك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا ربِّ، فيقول: أفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: بلَى إنَّ لك عِندَنا حسنة، فإنه لا ظُلْمَ اليوم، فتُخرَجُ بطاقة فيها: أشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدا عبدُه**

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (247/1)، قال ابن القيم رحمه الله: " ومعنى هذا: أن الأولى تضمنت أن اللّه سبحانه شهد بها وأخبر بها، والتالي للقرآن إنما يخبر عن شهادة اللّه، لا عن شهادته هو، وليس في ذلك شهادة من التالي نفسه، فأعاد سبحانه ذكرها مجردة ليقولها التالي فيكون شاهدا هو بها أيضا "، (تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، ص 187).

(2) محاسن التأويل، القاسمي، (295/2).

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم"، (14/1)حديث رقم 25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورسولُه، فيقول: احضُرْ وزنك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنَّك لا تُظْلَمُ، فتُوضَعُ السجلاتُ في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فطاشت السِّجلات، وثَقُلَتِ البطاقةُ، ولا يثْقُلُ مع اسمِ الله شيء).[1]

3) معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، لا إلهَ – نافياً جميعَ ما يُعبَدُ من دون الله فلا يستحق أن يُعْبَد– إلا الله، مثبِتا العبادةَ لله، فهو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للعبادة.[2]

4) معنى كلمة: محمد رسول الله: طاعةُ النبي ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ الله إلا بما شرع.[3]

5) تضمنت الآية معنى الدعوة إلى كلمة التوحيد، فإذا كان أولوا العلم قد شهدوا ومن قبلهم الملائكة، فمن بابِ أولى أن يشهد مَن هو دونهم في الرتبة والمنزلة تلك الشهادة، فتكرير الشهادة في آخر الآية إنما هو تلقين الناس بها، أي قولوا: لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وذلك نحو قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56].

6) من آثار الإيمان بعقيدة التوحيد: يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " إن الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد الذي هذه صفته، لا بد أن يختلف منهج حياته ونظامها من الأساس، عن الذي تُغَيِّم في حسِّه تلك التصوراتُ التائهة المُهَوَّشة، فلا يجد في ضميره أثراً لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته، إنه مع التوحيد الواضح الخالص، لا مكان لعبودية إلا لله، ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله، لا في شريعة أو نظام، ولا في أدب أو خلق، ولا في اقتصاد أو اجتماع، ولا مكان كذلك للتوجه لغير الله في شأن من شؤون الحياة، وما بعد الحياة ".[4]

7) إذا ما استشعر الإنسانُ الارتباطَ بخالقه القدير ﷻ، فإنه تهون عليه الوشائج التي قد تحجبه عن ذلك الكمال، وسيحيا هذا الإنسان حياة هانئة هادئة، لا تعتريها كُدُورَةُ الحياة، ولا أدرانُ النفوس

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (1437/1) حديث رقم 4300، قال الشيخ الألباني: صحيح، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، (24/5) حديث رقم 2639، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(2) معارج القبول، حافظ بن أحمد حكمي، (416/2)، وأما شروط كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهي سبعة: العلم بمعناها، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة. (عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، 35/1).

(3) تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول، عبد المحسن القاسم، ص 126.

(4) في ظلال القرآن، (367/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخبيثة، فهو هادئُ الأعصاب، مستنيرُ العقل، ذكيُّ الفؤاد، حَسَنُ الخلق، مستقيمُ السيرة، طاهرُ السريرة، يرنو بقلبه إلى رضوان الله الرحيم، فلا يأبَهُ لِصادٍّ، ولا يُسْلِمُ نفسَه لعادٍ، غايتُه تحقيق التوحيد الخالص لخالقه في حياته؛ لِيسعدَ به بعد مماته.

المطلب الثاني: التنويه على مكانة أهل العلم:

قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:18].

العلماء ورثة الأنبياء، إليهم يفزع الناس عند اشتداد الأزمات، فهم قد اختاروا لأنفسهم ولوج هذا السبيل، ورامُوا هدايةَ الناس بعلومهم التي جمعوها، وفُهُومهم التي اقتنصوها، فحازوا بذلك قَصَبَ السَّبْق في كل مِضمار، فقدَّمهم الناس أئمةً لهم، يَصْدُرون عن رأيهم، ويتحاكمون إلى علمهم وقولهم، فحُقَّ لهم جزيلُ الأجر وعظيم الثناء، فقد امتدح الله ﷻ أهل العلم في كتابه العزيز فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزُّمَر:9]، ووعد الله تعالى أهل العلم بأنه يرفعهم مكانة وسؤددا فقال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:11].

أولا: معاني المفردات:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: قيل: الأنبياء عليهم السلام، وقيل: "المهاجرين والأنصار"، وقيل: "علماء مؤمني أهل الكتاب "، وقيل: "يعني جميع علماء المؤمنين"[1]، والراجح أنهم " علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما، إذ لا اعتداد بعلم لا مدخل له في العلم الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة ".[2]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الدلالة على فضل العلم وأهله نابعة من وجوه، ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله وهي:

أ- استشهادُهم دون غيرهم من البشر، وجعل شهادتهم حُجَّةً على المنْكِرين.

ب- اقتران شهادتهم بشهادته واقترانها بشهادة ملائكته، وأَفْرَدَ الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم.

ت- أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، وفي وصفهم بكونهم أولي العلم دلالة على اختصاصهم به.

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، (18/2).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (441/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث- أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجلُّ شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.[1]

2) أهمية العلم: العلم ينفي عن أصحابه الجهلَ، ويزيدهم رفعةً عند الله وعند الناس، وبالعلم تكون العبادة كما أرادها الله تعالى وعلى وجهها الصحيح، والعلم يَقِي الناس من التَّرَدِّي في دركات الضلالة ومهاوي الجهالة، وبالعلم يَشْعرُ الإنسان بقيمته كإنسان، وإلا فهو بدون العلم مجرد آلة تتكلم وتروح وتجيء وتقوم بوظائفها الحيوية كسائر الكائنات؛ ولذلك كان العلم ضروريا للحفاظ على عقل الإنسان وروحه وبدنه كذلك، فجاءت النصوص دالةً على وجوب طلب العلم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:122].

3) استحباب طلب العلم، حيث قالﷺ: (**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**).[2]

4) العلماء سادة الناس وقادتهم، بيدهم مفاتيح الهداية، يدعون الناس إليها دعوة المشفق الحريص، وهم الذين ينصحون للأمراء والملوك، وهذا من واجبهم تجاه دينهم وأمتهم، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: (**الدين النصيحة** "، **قلنا: لمن؟ قال:** " **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[3]، واليوم قد ترك جمع غفير من العلماء هذا الواجب واكتَفَوا بتأييْد الحكام والدعاء لهم على المنابر، في وقتٍ كان بعض العلماء ينصحون ويُسْجنون ولا يُسمَعُ لرأيهم؛ لأنهم يواجهون التيار، ويأخذون بالعزائم، وتهمتُهم الصدعُ بكلمة الحق وأداءُ زكاة العلم.

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (51/1) بتصرف واختصار.

(2) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (403/1) حديث رقم 3641، قال الألباني: صحيح.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (74/1) حديث رقم 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: التأكيد على أن لا دين مقبول عند الله تعالى إلا الإسلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:19].

لقد أثْبتَ اللهُ ﷻ في كتابه العزيز نَسْخَ جميع الشرائع إلا شريعة الإسلام، فهو الدين الذي ارتضاه لعباده، فقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:3]، كما أخبرنا ﷻ أنه لن يقبلَ من الإنسان دينا غيرَ الإسلام، وتوعَّده بالخسران يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].

" فالدين هو صورة التوحيد المطلق، الذي يتمثل في توحيد الألوهية، فلا إله في الوجود إلا الله، وفي توحيد القوامة على البشر وعلى الكون كله، فلا يقوم شيء في الوجود إلا بالله تعالى، ولا يقوم بتدبير أمر الخلائق إلا الله جلَّت قدرته، ومن هنا يكون الدين الذي يقبله الله من عباده هو الإسلام ".[1]

أولا: القراءات:

قرأ الكسائي (أَن الدين) بفتح الهمزة وقرأ الباقون (إن الدين) بكسرها[2]، وأفادت قراءة (أنَّ) على البدل: شهادةَ الله على أن الدين الحق ينحصر في الإسلام، والمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو وأولوا العلم، وأن الدين الحق عند الله هو الإسلام، في حين أن قراءة (إن) الاستئنافية تفيد حصر الدين في الإسلام، ولكن لا يندرج هذا ضمن الشهادة السابقة بل هي جملة ابتدائية، وتكون علاقتها بالآية السابقة أن المولى ﷻ بعد أن ذكر وحدانيته وأنه لا إله إلا هو، أعقبه بذكر الدين الواحد الذي لا يقبل الله سواه وهو الإسلام.[3]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" إن الدين الحق المرضى عند الله هو الإسلام، فهو التوحيد والخضوع لله في إخلاص، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى في هذا الدين فحرَّفوا وبدَّلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم، بل كان للتحاسد والتطاول، ومن يجحد بآيات الله فلينتظر حساب الله السريع ".[4]

---

(1) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (68/2) في الحاشية.

(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (238/2).

(3) انظر: تفسير القرآن بالقراءات– سورة آل عمران، عبد الله الملاحي، ص 178.

(4) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (88/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿ٱلدِّينَ﴾: الدِّينُ لغةً: " الانقياد والذُّل، فالدِّين: الطاعة "[1]، الدين شرعا: " وضْعٌ إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قَبول ما هو عند الرسول "[2]، " والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة".[3]

2) ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: الإسلام لغة: " (سَلِمَ) السين واللام والميم معظم بابه من الصِّحَّة والعافية... ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يَسْلَمُ من الإباء والامتناع "[4]، و" الإسلام هو الاستسلام، وهو يتضمن الخضوع لله وحده، والانقياد له، والعبودية لله وحده ".[5]

رابعا: اللطائف البيانية:

1) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ " صيغة حصر... أي لا دين إلا الإسلام، وقد أَكَّد هذا الانحصار بحرف التوكيد ".[6]

2) قولُه: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ " وصف للدين، والعِنْدِيَّة عنديَّة الاعتبار والاعتناءِ وليست عندية علم، فأفاد أنّ الدين الصحيح هو الإسلام ".[7]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أخبر الله تعالى بأنه لا يقبل من أحد دينا سوى الإسلام، وهو اتِّباعُ الرسل فيما بعثهم اللّه به في كل حين، حتى خُتِموا بمحمد ﷺ، أي اتِّباعُ الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، فهم إن اختلفوا في الفروع، لم يختلفوا في الأصول وجوهر الدين، وهو التوحيد والسلام، والعدل في كل شيء، فمن لقي اللّه بعد بعثِه محمداً ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقَبَّل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].

2) " تشريع الدين له هدفان: الأول: تصحيح الاعتقاد، وحصر معنى الألوهية والربوبية باللّه تعالى، والثاني: إصلاح النفوس بالنية الخالصة للّه وللناس وبالعمل الصالح ".[8]

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (262/2).

(2) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص344.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (358/1).

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (68/3).

(5) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (426/7).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (190/3).

(7) المصدر السابق، (190/3).

(8) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (179/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الإسلام، وأما أعمال العبادات فإنما شرعت لتربية هذا الروح الأمْري في الروح الخلقي؛ ولذلك شرط فيها النية والإخلاص، ومتى تربى سَهُل على صاحبه القيامُ بسائر التكاليف الأدبية والمدنية التي يصل بها إلى المدينة الفاضلة وتحقيق أمنية الحكماء ".[1]

3) راعى الإسلام متطلبات النفس البشرية، فخاطب العقل بالبراهين والأدلة المادية، فنصب لها الأدلة الصريحة التي لا ينكرها إلا جاحد مكابر، وأنزل الله تعالى من العقائد ما يستطيع العقل فهمها وعدم معارضتها؛ لأنها تتَّفق مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح، وحثَّ الإسلام على طلب العلم وتحصيله، ونبَّه على شرفه، وأمر بالتدبُّر والنظر في الكون الذي خلقه الله تعالى؛ ليزداد الإيمان رسوخا، وراعى الإسلام جانب العاطفة، فكان الأمرُ بالدعاء وبِرِّ الوالدين، وصلة الرحم، وراعى الإسلام حاجة الناس إلى تشريعات يحتكمون إليها عند خلافاتهم، فكانت أحكام الميراث، وأحكام البيوع، والقصاص، والمعاملات المالية بأشكالها، وغيرها، وراعى الإسلام حاجة الروح، فكان الأمر بذكر الله تعالى كثيرا، وبيان عظمة الله تعالى في خلقه، وكان الأمرُ بتزكية النفس، فأُمِر الإنسان بفضائل الأخلاق ومكارمِها، والتَّأسِّي بالأنبياء والصالحين، وراعى الإسلامُ حاجةَ الجسد، فأباح الطعام والشراب إلا ما حرَّم، وشرع الزواج ورغَّب فيه، ورتَّب عليه أحكاما، وهكذا يمضي الإسلام متوازنا، وهو شامل لا يَغْمِطُ جانبا حقَّه، فاستحق بذلك العالمية؛ لسماحته ووفائه بمتطلبات الإنسان.

4) **مدى حاجة الناس إلى الإسلام:** ما أنزل الله تعالى الشرائع إلا رحمةً بالناس، ولوِقَايَتهم من التخبط والتِّيه الذي ستعيشه بدون منهج سماوي تحتكم إليه، والإنسان بعقله القاصر وعلْمه القليل لا يستطيع وَضْعَ منهجٍ مُحْكَمِ الجوانبِ لا خلافَ عليه، بل إنْ وضعَ لنفسه قانوناً في أيِّ مجال سيجِدُ آجلاً أنه مليءٌ بالثغرات؛ مما يدفعه إلى البحث عن نظام كامل، لا سبيل للنقص إليه ، ولا يعتريه الخلل، هذا النظام هو الإسلام.

5) **المراد من إنزال الشرائع وبعْث الرسل:** وضَّح الإمام ابن عاشور رحمه الله " أنّ مراد الله تعالى من توجيه الشرائع وإرسال الرسل، ليس مجرّد قرع الأسماع بعبارات التشريع أو التذوّق لدَقائق تراكيبه، بل مراد الله تعالى ممّا شرع للناس هو عملهم بتعاليم رسله وكتبه ".[2]

---

(1) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (258/3).

(2) التحرير والتنوير، (190/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: تحذير المسلمين من الاختلاف الذي كان بين أهل الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران:19].

لقد حذَّر الله ﷻ المسلمين من الاختلاف الذي تلبَّس به أهل الكتاب، فاليهود قد نسبوا إلى الله تعالى النقائصَ، ويفترون على أنبياء الله ورسله وأوليائه الكذبَ، وانقسم النصارى على أنفسهم ثلاثَ فِرَق: فرقةٍ تؤمن بالله تعالى إلهاً وخالقاً، وهؤلاء هم الموحدون، ويعتقدون عبودية عيسى عليه السلام، وفرقةٍ تعتقد ألوهية المسيح عليه السلام، وفرقةٍ تعتقد بنوَّته لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ما اختلف الذين أوتوا الإنجيل وهو "الكتاب" الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثُر بها اختلافهم بينهم، وتشتَّتَتْ بها كلمتهم، وباين بها بعضهم بعضًا، حتى استحلَّ بها بعضُهم دماءَ بعض،﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ يعني: إلا من بعد ما علموا الحقّ فيما اختلفوا فيه من أمره، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفِرْية مُبْطلون، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله، على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلا منهم بخطئه، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلافَ الذي هم عليه، تعدِّيًا من بعضهم على بعض، وطلبَ الرِّياسات والمُلْك والسلطان ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿بَغۡيَۢا﴾: " (بغي) الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طَلَب الشيء، والثاني جنسٌ من الفَساد... والبَغْي: الظُّلْم "[2]، قال ابن كثير رحمه الله: " بغى بعضُهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بُغْض البَعْض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقا ".[3]

ثالثا: المناسبة:

قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: " عُطِفَ ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾على قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ للإخبار عن حال أهل الكتاب من سوء تلقّيهم لدين الإسلام، ومن سوء فهمهم في دينهم، وجيء في هذا الإخبار بطريقة مؤذنة بورود سؤال، إذ قد جيء بصيغة

---

(1) جامع البيان، الطبري، (276/6).

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (255/1).

(3) تفسير القرآن العظيم، (37/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحصر؛ لبيان سبب اختلافهم، وكأنّ اختلافَهم أمر معلوم للسامع، وهذا أسلوب عجيب في الإخبار عن حالهم إخباراً يتضمّن بيان سببه، وإبطال ما يَتراءى من الأسباب غير ذلك، مع إظهار المقابلة بين حال الدِّينينِ الذي هم عليه يومئذ من الاختلاف، وبين سلامة الإسلام من ذلك ".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الأمر بالتوحد والنهي عن التفرق: لقد أمر الله ﷻ أمة الإسلام بالتوحُّد ونبْذِ الفُرقة، فهي أمةٌ ربُّها واحد، وكتابها واحد، ونبيُّها واحد، ومنهاجها واحد، وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ تأمر بالوحدة وتذُمُّ التفرق، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:103]، والمسلمون لا يجتمعون على شيء كاجتماعهم على الدِّين، فرابطة الدين عند المسلمين هي أشدُّ العُرى وأوثقُها، فهي أقوى من رابطة الدم والنسب، وهذا ما أثبته المسلمون على مرِّ العصور، منذ الصدر الأول من الإسلام، حتى جاء يومٌ تفرَّقت فيه الأمة شيعا، فأصبحت مرتعا خصبا للأهواء والفتن، تتكالب عليها الأمم، وتتَنَاوشُها كل الأيدي الآثمة من كل ناحية واتجاه، فتكاثرت النكبات على الأمة المحمدية بعد تفرُّقها ولجوئها إلى الشرق تارة، وإلى الغرب أخرى، وقد حذر النبي ﷺ أمته من الاختلاف الذي وقع فيه اليهود والنصارى، فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ).**[2]

2) المقصود بالاختلاف الذي كان بين أهل الكتاب: قال الإمام الشوكاني رحمه الله: " والمراد بهذا الخلاف الواقع بينهم هو خلافهم في كون نبينا ﷺ نبيا أم لا؟ وقيل: اختلافهم في نبوة عيسى وقيل: اختلافهم في ذات بينهم حتى قالت اليهود: ليست النصارى على شيء وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء".[3]

3) المقصود بأهل الكتاب اليهودُ والنصارى على الراجح، وقيل: اليهود، واختُلِف فيما عهد إليهم موسى عليه السلام، فإن موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بنى إسرائيل فاستودعهم التوراة، وجعلهم أمناءَ عليها، واستخلف يوشع بن نون وبعد قرون ثلاثة وقعت الفرقة بينهم، فأهرقوا بينهم الدماء، ووقع الشر طلبا لسلطان الدنيا

---

(1) التحرير والتنوير، (196/3).

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (1322/1)، حديث رقم 3992، قال الألباني: صحيح.

(3) فتح القدير، (442/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وملكها وخزائنها وزخرفها فسلَّط الله تعالى عليهم جبابرتهم، وقيل: النصارى.[1]

4) جاء الذم لأهل الكتاب من ثلاثة وجوه: أولها: أنهم أصحاب كتاب، فلا يُتَوَقَّع منهم الاختلاف، ثانيها: أنهم قد جاءهم العلم، وهذا أبلغ في إقامة الحجة عليهم، وثالثها: أن اختلافَهم هذا أساسُه البغي والتحاسد، وهذا يتنافى مع كونهم أهلَ كتاب وأصحابَ علم.[2]

المطلب الخامس: الثبات على المبدأ والدفاع عنه وتبليغه للناس:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:**20**].

أسمى المبادئ هو الإسلام، أنزله الله تعالى ليُهتدى به، ويكون بين الناس حكما، وتحكيمُه في الناس يستوجِب الثبات عليه ابتداء للوصول به إلى التمكين في الأرض.

أولا: المعنى الإجمالي:

" فإن جادلك هؤلاء في هذا الدين بعد أن أقمت لهم الحُجج، فلا تجارهم في الجدل، وقل: أخلصت عبادتي لله وحده أنا ومن اتبعني من المؤمنين، وقل لليهود والنصارى ومشركي العرب: قد بانت لكم الدلائل فأسلموا، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه، وإن أعرضوا فلا تبعة عليك في إعراضهم، فليس عليك إلا أن تبلغهم رسالة الله، والله مطلع على عباده لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم ".[3]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿حَآجُّوكَ﴾: أي خاصموك وجادلوك بالأقاويل المزوَّرة والمغالطات في الدين والتوحيد.[4]

2) ﴿وَالْأُمِّيِّـۧنَ﴾: " الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب "[5]، أو " هم الذين لا يكتبون من مشركي العرب ".[6]

---

(1) انظر: روح المعاني، الألوسي، (107/3)، جامع البيان، الطبري (277/6).

(2) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (477/1).

(3) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (88/1).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (69/5)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (37/3)، معالم التنزيل، البغوي، (20/2)، بتصرف.

(5) جامع البيان، الطبري، (281/6).

(6) روح المعاني، الألوسي، (108/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: اللطائف البيانية:

1) " عبر بالوجه عن سائر الذات لكونه أشرف أعضاء الإنسان وأجمعها للحواس، وقيل الوجه هنا بمعنى القصد ".[1]

2) " المجاز المرسل في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾: تعبيرا عن الكل بأشرف أعضائه وهو الوجه، والعلاقة هنا الكلية ".[2]

3) قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ صورتُه استفهامٌ ومعناهُ الأمرُ، فهو " للحضِّ على أن يسلموا وجوههم لله ويخلصوا في طلب الحقيقة "[3] أي: أَسْلِموا.

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

❖ تضمنت هذه الآية عدة أمور، وهي:

1) الثبات على المبدأ الأساس وهو الإسلام، فمطلَع الآية يُبين ماهِيَّةَ الحوار الذي سلكه أهل الكتاب، وهو المجادلة بالباطل والمحاجَّة عنه، رغم علمهم بأنَّ الإسلام هو الدين الحق وأنه الدين الخاتَم الذي بشَّرت به أنبياؤهم، فهم يجادلون عن الباطل الذي هم فيه منغمسون، وفي هذه الحال كان الأمرُ موجَّهاً للنبي ﷺ أن يثبت على ما هو عليه من الحق الذي أرسله الله ﷻ به.

2) أن يَبلِّغَ النبيُّ ﷺ الرسالةَ كما أُمِر أن يبلِّغَها، والردُّ على هؤلاء بالحجة هو في حدِّ ذاته دعوة لهم لاتباع الحق، فهو ينفي عن هذا الدين التُّهَمَ والأراجيفَ التي يُلحِقونها به، وهو منها براءٌ، وهذا مفهومٌ من قوله ﷻ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾، ويُفهم منها أيضا عالميةُ الإسلام، " فهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صَلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورةً، وكما دلَّ عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث ".[4]

3) أنَّ النبيَّ ﷺ بُعِث داعياً ولم يُبْعثْ قاضياً، وهذا مأخوذ من قوله تعالى:﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب:45،46]، وقد نهى الله ﷻ نبيَّه ﷺ عن التحسُّر على من لم يؤمن فقال سبحانه:﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:6]،

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (442/1).

(2) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (480/1).

(3) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1154/3).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (37/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى:﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ "الغرض منه تسلية الرسول ﷺ وتعريفه أن الذي عليه ليس إلا إبلاغ الأدلة وإظهار الحجة، فإذا بلغ ما جاء به فقد أدى ما عليه، وليس عليه قَبولهم".[1]

4) يجب على من يتصدَّر لدعوة الناس للإسلام أن لا يجعلَ من نفسه قاضيا يحكم على الناس وعلى تصرُّفاتهم، وإنما هو داعيةٌ عليه أن يبلِّغ الرسالة بلطفٍ وحكمة؛ حتى يتقبَّل الناسُ ما يقول، والنتائج موكولة إلى الله ﷻ، فهو سبحانه بيده الهداية، فليس مطلوبا من الدعاة أن يتحسروا على رفض الناس الدعوةَ فضلا عن تأخُّر استجابتهم، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[البقرة:272].

---

(1) التفسير الكبير، الرازي، (230/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (21 . 22)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية قول الحق وإن كان مرًّا.

المطلب الثاني: عاقبة الكفر وقتل الأنبياء والمصلحين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: أهمية قول الحق وإن كان مـرًّا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:21].

أولا: معاني المفردات:

(القِسْط): "(قَسَطَ) القاف والسين والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على معنَيين متضادَّين والبناءُ واحد، فالقِسط: العَدْل، ويقال منه أقْسَطَ يُقْسِط ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) " دلَّت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الأمم المتقدمة، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة ".[2]

2) إن طبيعة الصراع بين الحق والباطل – منذ الأزل – تُحَتِّم على أهل الحق أن يصدعوا بما أُمِروا بتبليغه؛ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:193]، وهذا هو دأب الأنبياء عليهم السلام، فقد أمر الله ﷻ نبيَّه محمداً ﷺ بالجهر بكلمة الحق فقال:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:94].

3) لقد وجب الصدع بكلمة الحق في وجوه الظالمين، فإن في ذلك إعزازاً للدين، وإعلاءً لكلمة الله ﷻ في الأرض، ونشْراً لها في العالمين، والصدع بكلمة الحق هو الأمر بالقسط، وهو النهي عن المنكر، ولقد كان دأبُ الأنبياء كلِّهم قولَ الحق، وعلى هذا النهج سار أولوا العزائم علماءً ودعاةً، فتصدَّى لهم أهل الباطل، استكباراً عن قَبول الحق، وإمعاناً في متابعة الشيطان والهوى، فكان الابتلاء والتمحيص، وكان الجهاد والتضحية، وما فَتِئَ الصادعون بالحق يجودون بالمُهَج وبما يملكون فداءً للحق الذي اعتنقوه، فهذه هي سِمَتُهم، وتلك سُنَّتُهم، وقد سئل النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **(كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)**.[3]

4) ذكر لنا القرآن الكريم نماذجَ ممن قاموا بهذا الدور العظيم، فكان الأنبياء عليهم السلام على رأس هذا الأمر، فقد أناطهم الله ﷻ به، وهيَّأهم له، والنتيجة محتومة، وهي

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (71/5).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (73/5).

(3) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند سلطان جائر، (161/7)، حديث رقم 4209، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواجهة، مواجهةُ العقائد الفاسدة، والأخلاق الذميمة، والنفوس المريضة، والطغيان والاستبداد والتَّجَرِّي على حدود الله ﷻ، ومن ينظر في القرآن الكريم يرى صوراً كثيرة من المواجهات التي كانت تدور رحاها بين أهل الحق وأهل الباطل، وتبدأ نهايات تلك القصص بتجبُّر الباطل وانتفاشه وتنتهي بخذلانه وهلاكه، فهذه هي سنة التدافع التي يتميَّزُ بها أنصار الحق من غيرهم.

المطلب الثاني: عاقبة الكفر وقتل الأنبياء والمصلحين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢﴾ [آل عمران: 21، 22].

" لن يغتفر التاريخ جرائم قتلة أهل الحق والدفاع عن القيم الدينية وعن مصالح الأوطان وحماية البلاد، ولن ينجو قتلة الأنبياء وقتلة أهل المعروف من العقاب الشديد في الآخرة، وهؤلاء المجرمون بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وما لهم في الآخرة من ناصرين ولا شفعاء، لأنهم حرموا المجتمع والأمة من الخير والاهتداء بهدي اللّه ودينه، وصدّوا الأنبياء عن قول الحق وتبليغ الرسالة، وآذوا بالقتل وغيره كل من آزرهم ونصرهم، ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر من أهل العلم والعدل ".[1]

أولا: سبب النزول:

" كان ناس من بني إسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله ﷻ فقتلوهم، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمروهم بالإسلام فقتلوهم، ففيهم نزلت هذه الآية ".[2]

ثانيا: القراءات:

﴿وَيَقۡتُلُونَ﴾:قرأ حمزة (ويقاتلون) بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء من (القتال)، وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء من (القتل).[3]

والمُقَاتَلَة تعني: إعلان الحرب وإشهار السلاح والضرب به، وقد يترتب عليها قتل وقد لا يترتب عليها قتل، وأما قراءة (يَقْتُلُون) فهي إخبار عنهم بالقتل، وبالجمع بين

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (183/1).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (71،72/5).

(3) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (238،239/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القراءتين: نجد أن العقوبة حاصلة سواء ترتب عليها إزهاق روح وهو القتل أو لم يترتب عليها ذلك، وفي هذا تهديد ووعيد لمن يحارب دين الله وأولياءه[1]، ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)**.[2]

ثالثا: المعنى الإجمالي:

" هذا ذمٌّ من الله تعالى لأهل الكتاب فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا، التي بلغتهم إياها الرسل، استكبارًا عليهم وعنادًا لهم، وتعاظما على الحق واستنكافا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحقّ، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي ﷺ: **(الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)**[3]، ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال:﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾أي: موجع مهين ".[4]

رابعا: معاني المفردات:

1) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ " المراد بهؤلاء الكفار اليهود والنصارى ".[5]

2) ﴿ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال الإمام ابن جريج[6] رحمه الله: " كان الوحي يأتي إلى أنبياء بني إسرائيل– ولم يكن يأتيهم كتابٌ – فينذِّرُون قومَهم فيُقْتلون، فيقوم رجالٌ ممن تَبِعهم وصدَّقهم، فينكرون قومَهم، فيُقْتَلون– أيضاً – فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ".[7]

3) ﴿حَبِطَتْ﴾ : "حَبَطُ الأعمالِ: إزالةُ آثارها النافعة من ثوابٍ ونعيم في الآخرة، وحياةٍ طيّبة في الدنيا، وإطلاق الحَبَط على ذلك تمثيل بحال الإبل التي يصيبها الحَبَط وهو انتفاخ في بطونها من كثرة الأكل، يكون سبب موتها، في حين أكلت ما أكلت للالتذاذ به".[8]

---

(1) تفسير القرآن بالقراءات– سورة آل عمران، عبد الله الملاحي، ص 179.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (105/8)، حديث رقم 6502.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (93/1)، حديث رقم 91.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (39/3، 40).

(5) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (113/5).

(6) عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الاموي، المكي، صاحب التصانيف، توفي سنة 150هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 325/6).

(7) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (116/5).

(8) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (207/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: اللطائف البيانية:

1) ﴿يَكْفُرُونَ﴾، ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ " جيء بهذه الأفعال مضارعةً لتدُلَّ على استحضار الحالة الفظيعة، وليس المراد إفادة التجدد؛ لأنّ ذلك وإن تأتَّى في قوله: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ لا يتأتَّى في قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ لأنَّهم قتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالقسط في زمنٍ مضى ".[1]

2) ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ "تكرير الفعل للإشعار بما بين القَتْلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت".[2]

3) ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: " استعمل بشَّرهم في معنى أنذرهم تهكُّماً، وحقيقة التبشير: الإخبار بما يُظهر سرور المُخبَر(بفتح الباء) وهو هنا مستعمل في ضدّ حقيقته، إذ أريد به الإخبار بحصول العذاب، وهو موجب لحزن المخبَرين، فهذا الاستعمال في الضدّ معدود عند علماء البيان من الاستعارة، ويسمّونها تهكّمية لأنّ تشبيه الضدّ بضدّه لا يروج في عقل أحد إلاّ على معنى التهكّم ".[3]

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) وصف الله ﷻ مَن تولَّى عن الإسلام وكفر بثلاث صفات: إحداها: كفره بآيات الله وهم مُقِرُّون بالصانع، الثانية: قتلهم الأنبياء، والثالثة: قتل من أمر بالعدل، فهذه ثلاثة أوصاف بُدِيء فيها بالأعظم فالأعظم، وبما هو سبب للآخر، فأولها: الكفر بآيات الله، وهو أقوى الأسباب في عدم المبالاة بما يقع من الأفعال القبيحة، وثانيها: قتل من أظهر آيات الله واستدل بها، والثالث: قتل أتباعهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.[4]

ولا زال اليهود والنصارى يفعلون فعلهم القديم، فإنهم ما فَتِؤوا ينصِبون أشراكهم لأهل الإسلام، وخصوصا المصلحين منهم والعلماء؛ ابتغاء فضِّ الناس عنهم وتشويه صورتهم أمام الناس.

2) " قسَّم الله تعالى وعيدهم إلى ثلاثة أقسام: الأول اجتماع أسباب الآلام والمكاره عليهم وهو العذاب الأليم، واستعارة البشارة هاهنا للتهكم، الثاني: زوال أسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أما في الدنيا فإبدال المدح بالذم والثناء باللعن وأسباب الاحترام والاحتشام بأصناف الذل والهوان من السبي والقتل والجزية، وأما في الآخرة فكما قال عز من قائل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (206/3).

(2) روح المعاني، الألوسي، (109/3).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (207/3).

(4) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (429/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:23]، الثالث: لزوم ذلك في حقهم وهو قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾".[1]

3) في التاريخ المعاصر حين ضعُفت حَمِيَّة الدين عند حكام الأمة الإسلامية، وصاروا يحتكرون الرأي والسلطة، احتجبوا عن العلماء والدعاة، ورفضوا الاستماع إلى دعوات المصلحين، ولم يكتفوا بذلك، بل ساموهم سوء العذاب، وطرحوهم في السجون مُعَذَّبين، وتمالئوا مع العدو الكافر على أبناء ملَّتهم، وصاروا يُعيدون سنة أسلافهم اليهود في قتل العلماء والصالحين، وقد رأى الناس طرفاً من انتقام الله ﷻ لعباده المستضعفين الذين لا ناصرَ لهم غيرُه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:42].

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (712/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (23 . 25)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم.

المطلب الثاني: تحذير المسلمين من الابتداع في الدين.

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: دعوة المسلمين إلى التمسُّك بدينهم:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:23].

أولا: سبب النزول:

" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن يزيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه قال: فإن إبراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله ﷺ: " فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم "، فأبيَا عليه فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ﴾ إلى قوله:﴿يَفْتَرُونَ﴾ ".[1]

ثانيا: القراءات:

قرأ أبو جعفر (لِيُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف، قرأ الباقون (لِيَحكُم) بفتح الياء وضم الكاف.[2]

وأفادت قراءة الجمهور (لِيَحكُم) بيان علة الإنزال للكتب، قال أبو حيان في تفسيره: " اللام لام العلة، ويتعلق بـ(أنزل) والضمير في (ليحكم) عائد على الله في قوله (فبعث) وهو المضمر في أنزل وهو الظاهر، والمعنى: أنه تعالى أنزل الكتاب ليفصل بين الناس ".[3]

أما قراءة أبي جعفر: (لِيُحكَم) فتفيد الغاية من إنزال الكتب، حيث جاء بناء الفعل للمفعول، وبالجمع بين القراءتين يتضح أن إنزال الكتب جاء لحكمة وهي أن تكون هي الحكم بين الناس والدستور الذي ينبغي الرجوع إليه خصوصا عند الاختلاف، و" لما كانت القراءة الأولى تدل على أن الله أنزل الكتب ليُحكَمَ بها بين الناس، والقراءة الثانية (لِيَحكُم) تدل على أن الكتب نزلت لتحكم بين الناس فهذا يدل على أن تحكيم كتاب الله يساوي تحكيم الله في المسألة، وهذا المعنى له ما له من قداسة وقيمة واعتبار ".[4]

ثالثا: المعنى الإجمالي:

" يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقيادا لأحكامه، فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولى فريق منهم وهم يعرضون، تولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذم،

---

(1) لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص 54.

(2) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (227/2).

(3) البحر المحيط، (145/2).

(4) تفسير القرآن بالقراءات– سورة آل عمران، عبد الله الملاحي، ص 180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم، فيصيبنا من الذم والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كل أحد إذا دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: 51] ".[1]

رابعا: المناسبة:

قال الإمام الرازي رحمه الله: " اعلم أنه تعالى لما نبّه على عناد القوم بقوله :﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: 20] بيّن في هذه الآية غاية عنادهم، وهو أنهم يدعون إلى الكتاب الذي يزعمون أنهم يؤمنون به، وهو التوراة ثم إنهم يتمردون، ويتولون، وذلك يدل على غاية عنادهم ".[2]

خامسا: اللطائف البيانية:

1) "الاستفهام في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتقرير والتعجيب، وقد جاء الاستعمال في مثله أن يكون الاستفهام داخلاً على نفي الفعل والمراد حصولُ الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه محرّضاً للمخاطب على الاعتراف به بناء على أنّه لا يرضى أن يكون ممّن يجهله".[3]

2) ﴿نَصِيبًا﴾: التنكير فيها للتعظيم والتفخيم، أي أنهم أوتوا نصيباً عظيماً.[4]

3) " جملة ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ حال مؤكّدة لجملة ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ﴾ إذ التولّي هو الإعراض، ولما كانت حالاً لم تكن فيها دلالة على الدوام والثبات فكانت دالة على تجدّد الإعراض منهم المُفادُ أيضاً من المضارع في قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ".[5]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 126.

(2) التفسير الكبير، (234/7).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (208/3).

(4) انظر: الكشاف، الزمخشري، (541/1)،إرشاد العقل السليم، أبو السعود (20/2)، ويرى ابن عاشور رحمه الله أن تنكير (نصيباً) النوعية، وليس للتعظيم؛ لأنّ المقام مقام تهاون بهم، ويحتمل أن يكون التنوين للتقليل، و(من) للتبعيض، كما هو الظاهر من لفظ النصيب، فالمراد بالكتاب جنس الكتب، والنصيب هو كتابُهم، والمراد: أوتوا بعض كتابهم، تعريضاً بأنّهم لا يعلمون من كتابهم إلاّ حظّاً يسيراً، ويجوز كون مِن للبيان، والمعنى: أوتوا حظّاً من حظوظ الكمال، هو الكتاب الذي أوتوه. (التحرير والتنوير، ابن عاشور، 209/3)، والباحث إلى رأي الزمخشري أميَل.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (210/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) لقد آتى اللهُ ﷻ بني إسرائيل الكتابَ ليهتدوا به، ويجعلوه رائدَهم في حياتهم، وكان هذا الكتاب من التعظيم عندهم بمكان، فقد عَلِمه أحبارُهم ودرَسوه، فلما انقضى الرعيل الأول منهم، حَادَ مَن جاء بعدَهم عن جادَّةِ الحق، وتَنَكَّبوا سبيلَه، وتركوا نَهْج المرسلين، فاستحقُّوا بذلك الذَّمَّ والتقريع؛ إذ كان الأصلُ فيهم اتِّباعَ من بشَّرتْ به رسُلُهم، وهو النبيُّ محمدٌ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:6].

2) أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يتمسَّك بشدةٍ بما آتاه الله من كتاب، فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّخرُف:43]، وفي هذا دعوة لأمته إلى التَّمسُّك بكتاب الله تعالى وبسنَّة النبي ﷺ، إذ فيهما الفوز والفلاح، فإنه ما تمسَّك أحد بهَدْيِ نبيه إلا عزَّ، وما ترك قوم هدْيَ نبيهم إلا ذُلُّوا، كحال بني إسرائيل لما تمرَّدوا على أنبيائهم، واستبدلوا بهديِهم أهواءهم، فسلَّط الله تعالى عليهم من يسومهم سوء العذاب، وقد حدث في هذه الأمة شيء كثير من هذا، فلقد سقطت قلاع الأندلس بعد شموخ، وأُسقِطت دولة الخلافة بعد مَنَعَةٍ ورسوخ، وتقاسم الغرب بلادَ الإسلام، واحتُلَّت القدسُ والأرض المباركة، والمسلمون في غفلتهم سامدون[1]، وعمَّا فيه عزَّتُهم مُعْرضون، واستبدَّت بأمتنا الأممُ، فالخيرات في بلادنا وفيرة، والطاقات عندنا كثيرة، لكنَّ القومَ تنكَّبوا سبيلَ الرَّشاد، فكان الجزاء من جنس العمل، فوكَلَهم الله ﷻ إلى أنفسهم، فأصبحوا وباقي أمم الأرض سواء، لا يتميَّزون عن غيرهم بارتباط عُلْويٍّ وثيق كأسلافهم، فكان الانحدار والتَّردِّي من عَلٍ، فتحكَّم العدو في خيراتهم، وضعُف الاقتصاد، وكثُرت البطالة، وانتشر الجهل، واستفحل الكسل، وتدنَّت مستويات التفكير، وضعُفت وشيجة الإيمان، وفي المُحَصِّلة، صار المسلمون عالةً على حضارة الغرب، كالأيتام على موائد اللئام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:66]، وقال ﷻ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:16].

---

(1) سامدون أي: لاهون غافلون، (الدر المنثور، السيوطي، 59/14).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) يوم أنْ تمسَّك المسلمون بما جاءهم من الحق، دَانَتْ لهم الدنيا، وأضحَوا مُهابي الجانب، مرفوعي الرؤوس، موفوري الكرامة، وصاروا حديثَ الرائحين والغادين، فوضعوا للناس أسس الحضارة، وطرائق التفكير، وطبقوا شِرعة ربهم وسنَّة نبيهم ﷺ، فكثُرت الخيرات، وزادت البركات، وشاركوا الأمم في جميع العلوم، وكانت النهضة على أشُدِّها قائمةً، يوجِّه دَفَّتَها قومٌ صالحون.

4) لقد حثَّ النبي ﷺ أمَّته على يتمسَّكوا بهَدْي الرعيل الأول من هذه الأمة، وأوصى أمَّتَه بوصية غالية جاء فيها: **(من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد).**[1]

المطلب الثاني: تحذير المسلمين من الابتداع في الدين:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران:**24**].

أولاً: المعنى الإجمالي:

" إنّ هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله ﷺ، إنما أَبَوا الإجابة إلى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهي أربعون يومًا، وهن الأيام التي عبدوا فيها العجل، ثم يخرجنا منها ربنا، اغترارًا منهم "بما كانوا يفترون" يعني: بما كانوا يختلقون من الأكاذيب والأباطيل، في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحِبّاؤه، وأن الله قد وعد أباهم يعقوبَ أن لا يُدْخل أحَدًا من ولده النار إلا تَحِلَّةَ القسم. فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم، وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أنهم هم أهل النار هم فيها خالدون، دون المؤمنين بالله ورُسله وما جاءوا به من عنده ".[2]

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ص16 حديث رقم 43، قال الألباني: صحيح.

(2) جامع البيان، الطبري، (292/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: معاني المفردات:

﴿وَغَرَّهُمْ﴾: " الغرور: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع، وعبر عنه بعضهم بأنه كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشيطان، وفسر بالدنيا لأنها تغر وتمر وتضر، وقال الحرالي[1]: هو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة ".[2]

" قال مجاهد[3]: " الذي افتروه هو قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ "، وقال قتادة: " بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:18] "، وقيل: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:111] وقيل: مجموع هذه الأقوال ".[4]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) " قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يجوزُ في " ذلك " وجهان، أَصحُّهما: أنه مبتدأٌ والجارُّ بعده خبرهُ ، أي: ذلك التولِّي بسببِ هذه الأقوالِ الباطلةِ التي لا حقيقةَ لها. والثاني: أن " ذلك " خبرُ مبتدأ محذوفٍ أي: الأمرُ ذلك، وهو قولُ الزجاج، وعلى هذا فقولُه : " بأنهم " متعلق بذلك المقدَّر، وهو الأمر ونحوه ".[5]

2) " جاء هنا ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ بصيغة الجمع، وفي البقرة: ﴿مَّعْدُودَةً﴾ [الآية: 80] تفنُّناً في البلاغة، وذلك أنَّ جَمْعَ التكسيرِ غيرَ العاقلِ يجوزُ أَنْ يعامَلَ معاملةَ الواحدةِ المؤنثة تارةً ومعاملةَ جمعِ الإناث أخرى... وخُصَّ الجمعُ بهذا الموضعِ لأنه مكانُ تشنيع عليهم بما فعلوا وقالوا، فأتى بلفظِ الجمعِ مبالغةً في زَجْرِهم وزجرِ مَنْ يعملُ بعملهم ".[6]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) قال الإمام السيوطي رحمه الله: " والابتداع في الشرع خطر عظيم، وفعل ذميم، وهو أكبر ناقض لشرعة المهديين، حيث إن استحسان ما لم يأت بتحسينه نقل،

---

(1) هو العلامة المتقن أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي، وحرالة: قرية من عمل مرسية، ولد بمراكش، وجال في البلاد، ولهج بالعقليات، وسكن حماة، وعمل تفسيرا عجيبا ملأه باحتمالات لا يحتمله الخطاب العربي أصلا، ومات سنة 637هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 47/23).

(2) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص 537.

(3) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى عبد الله ابن السائب، القارئ، ولد سنة 21هـ في خلافة عمر ﷺ، ومات وهو ساجد سنة 102هـ أو 103هـ، (تذكرة الحفاظ، الذهبي، 92/1، التاريخ الكبير، البخاري، 412/7).

(4) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (435/2).

(5) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (95/3).

(6) انظر: المصدر السابق، (96/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وردَّ مـا ثبـت بنقل الـعدْل، فكـان نقضـه– وهو علـة السـقم، وغصـة الطعم– مـقصدا للعلماء، وواجبـا في أعناقـهم ".[1]

2) لقد انتحل اليهود أفكارا كثيرةً وضعها لهم أحبارُهم بدافع الهوى، فصادفت هذه الأفكار قلوبا مريضة خاوية، لا تنكر منكرا ولا تعرف معروفا، فهم يعلمون مخالفة ما يقولون ويفترون لِما عندَهم من التوراة، ولكنهم تعمَّدوا المخالفة والزيغ عن منهج الله تعالى، فضلُّوا وأضلُّوا، فكانوا كما قـــال الله ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:5]، ولقد دَرَج كثير من الطوائف المنتمية للإسلام إلى انتحال أفكارٍ ومذاهبَ ليست من الإسلام في شيء، ولا يقول بها مسلم، فكانوا معاوِل هدم في بنيان أمة الإسلام، وهم يعلمون ذلك، ولكن يمنعهم البغي والكِبر عن التراجع عمَّا قالوا، فاستحقُّوا بذلك المقْت والذَّم، فهم يشاركون أهل الكتاب في كثير من صفاتهم، هذه – أي الابتداع –إحداها، وكم وردت أحاديث نبوية وأقاويل للصحابة والتابعين وعلماء الأمة تحذِّر من الافتراء على دين الله ﷻ، وإدخال ما ليس منه فيه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وقال: **(إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ)**.[2]

وعنها رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ)**[3]، وهذا الحديث أحد أصول الإسلام الكبرى.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)**.[4]

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: " نَعَمْ؛ قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ...)**.[5]

---

(1) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، السيوطي، ص6.

(2) انظر: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، (2053/4) حديث رقم 2665.

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (184/3)، حديث رقم 2697.

(4) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة،(43/5)، حديث رقم 2674، قال الألباني: صحيح.

(5) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (199/4)، حديث رقم 3606.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه جملة من أقوال السلف الصالح، يحثُّون فيها على التزام السنة، ويحذرون فيها من البدع وأهلها، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: " الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"، وقال الأوزاعي[1] ﷺ: " اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم ". وقال الجنيد[2] رحمه الله: " الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والمتبعين سنته وطريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:21] ".[3]

3) الابتداع في الدين يتضمَّن اتِّهامَه بالنقص: ثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإذا كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم، قال الإمام مالك رحمه الله: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا ".[4]

وبعض الناس من يستحسن شيئا، فيفعله، وحتى يجد له رواجا ينسبه إلى لشرع المطهَّر، وهذا أحد أسباب ظهور الأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ، فالتشريعات لا تؤخذ بالاستحسان، ولكن بالتوقيف والنقل الصادق عن رسول الله ﷺ.

4) أنواع البدعة: قال الشافعي رحمه الله: " البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم "، واحتج بقول عمر بن الخطاب ﷺ في قيام رمضان: " نعمت البدعة هي ".[5]

---

(1) الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ، وُلِد سنة 88هـ، مات في ثاني صفر سنة 157هـ، (تذكرة الحفاظ، الذهبي، 178/1).

(2) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز القواريري، كان أبوه يبيع الزجاج، وكان هو خزازا، وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، مات سنة 298هـ، (صفة الصفوة، ابن الجوزي، 416/2).

(3) انظر هذه الأقوال وغيرها في كتاب الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، السيوطي، ص48 وما بعدها.

(4) الاعتصام، الإمام الشاطبي، (62/1).

(5) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، (113/9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبدع المستقبحة تنقسم إلى قسمين: أحدهما: في العقائد المؤدية إلى الضلال والخسران، والثاني: في الأفعال من البدع المستحدثة المستقبحة.[1]

وقد نظم الإمام أبو بكر بن أبي داود[2] قصيدة قالها في السنة والتمسُّك بها[3]، وهذا مطلعها:

تمسَّك بحبل الله واتَّبع الهدى ... ولا تـك بدعيًّا لعلَّك تفلـحُ

ودِنْ بكتاب الله والسنن التي ... أتَتْ عن رسول الله تنجو وتربحُ

إلى أن ختمها بقوله رحمه الله:

ولا تك من قوم تلهَّوا بدينهم ... فتطعن في أهل الحديث وتقدحُ

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فإنك في خير تبيت وتصبحُ

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة:

قال الله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[آل عمران:25].

أولا: المناسبة:

قال الفخر الرازي رحمه الله: " لما حكى عنهم اغترارهم بما هم عليه من الجهل، بيّن أنه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل، ويكشف فيه ذلك الغرور فقال:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ".[4]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" (كيف): يستفهم بها عن الحال، أي: ما حالهم وما شأنهم إذا جمعهم الله رب العالمين، ليوم لَا ريب فيه، لَا شك أنهم يفاجَؤون بذهاب غرورهم الذي اغتروه، وضلالهم بسبب استمرار افترائهم الذي أحدثوه فدلاهم في غرورهم؛ وإنه في هذا اليوم الذي لَا ريب فيه

---

(1) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، السيوطي، ص 93، 94.

(2) أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ بغداد، ولد بسجستان، في سنة ثلاثين ومائتين، (سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، 222/13).

(3) انظر: الشريعة، محمد بن الحسين الآجُرِّي، ص 737.

(4) التفسير الكبير، (237/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ما كسبت، وهم لَا يظلمون أي لَا ينقصون مما فعلوه شيئا، فسيُجْزَونَ بالخير الحسنى، وبالشَّرِّ السوأى ".[1]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) ﴿ فَكَيْفَ﴾ " استعظام وتهويل وهدم لما استندوا إليه، وكلمة الاستفهام في موضع نصب على الحال والعامل فيه محذوف، أي كيف تكون حالهم أو كيف يصنعون أو كيف يكونون"[2]، " وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله:﴿ فَكَيْفَ﴾إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد اللّه لهم في يوم عصيب تحار فيه الأبصار والبصائر ، وتشخص فيه القلوب والضمائر ".[3]

2) التعبير بلفظ الجمع في قوله:﴿جَمَعْنَٰهُمْ﴾ " فيه إشارة إلى معنى المساواة التامة، وأنه لَا فضل لجنس على جنس، وإضافة هذا الجمع إلى رب العالمين، خالق الناس أجمعين يزكي هذه المساواة؛ لأنه خالق الجميع، ورب الجميع، وجامع الجميع يوم القيامة، فالجميع بين يديه سواء في الأصل والتكوين وفي الربوبية والحفظ، وفي الجمع يوم القيامة فيكونون سواء في الحساب والعقاب والثواب، وكلٌّ وعملُه ".[4]

3) فائدة اللام في قوله:﴿جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾حيث " لم يقل: (في يوم)؛ لأن المراد: لجزاء يوم أو لحساب يوم فحذف المضاف ودلّت اللام عليه ".[5]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:45]، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:55]، التذكير بيوم الجزاء وما فيه من أحداث شائعٌ في القرآن الكريم، فربما لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب الكريم من تذكرة لليوم الآخر، والهدف الأساس من ذلك هو التأهُّب والاستعداد لذلك اليوم بتزكية النفس، وكَبْح جماحها عن الشهوات، وجعْل ارتباطها بما عند الله ﷻ متينا.

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1165/3).

(2) روح المعاني، الألوسي، (111/3).

(3) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (487/1).

(4) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1165/3).

(5) التفسير الكبير، الفخر الرازي (237/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " كيف؟ إنه التهديد الرعيب الذي يشفق القلب المؤمن أن يتعرض له وهو يستشعر جدية هذا اليوم وجدية لقاء الله، وجدية عدل الله، ولا يتميَّع تصوره وشعوره مع الأماني الباطلة والمفتريات الخادعة، وهو بعدُ تهديد قائم للجميع، مشركين وملحدين، وأهل كتاب ومدعي إسلام، فهم سواء في أنهم لا يحققون في حياتهم الإسلامَ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وجرى العدل الإلهي مجراه؟ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ بلا ظلم ولا محاباة؟ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ كما أنهم لا يحابون في حساب الله؟ سؤال يلقى ويترك بلا جواب، وقد اهتز القلب وارتجف وهو يستحضر الجواب ".[1]

2) لمَّا كان الإنسان نَسَّاءً، كان بحاجةٍ ماسَّة لمن يذكِّره، وهو فوق نسيانه سريعُ الغفلة كثيرُها، فجاءت الآيات تباعاً تدعوه إلى التَّذكُّر وإلى تنظيم حياته على وَفق ما يكون في الآخرة، فإنه بذلك تستقيم سيرته، وتصفو حياته، ويحلِّق في دنياه بجناحَي الخوف والرجاء، فهو يخاف اليوم ليأمنَ غداً.

3) التذكير من دلائل رحمة الله ﷻ بعباده ولطفه بهم، فهو لا يفاجئهم بما لا يعرفون، وإنما ينصِبُ لهم الدليلَ، ويقيمُ عليهم الحُجَّة؛ حتى لا يتعلَّلوا بعدم العلم وبعدم مجيء النذير.

4) ليس المراد من التذكير بيوم القيامة إثارةُ الخوف والرعب في القلوب بمقدار ما هو مطلوب منها مِن العملُ، فالغاية هي الاستعدادُ وشدُّ الرِّحال إلى الدار الآخرة، والتشمير عن ساعد الجِد، وشحذُ العزائم، وتجديدُ الهِمَّة مرة بعد مرة، والشعار هو: لن يسبقني إلى الله أحدٌ.

5) يجب أن يعلم المسلمُ أنه سَيُوفَّى أعمالَه كاملةً حتى أدقَّها، فقد قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[الزلزلة:7،8]، وقال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:47]، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: (**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**)، قال أبو سعيد: فمن شك فليقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء:40][2]، وهذا تمامُ العدل وكمالُه.

---

(1) في ظلال القرآن، (383/1).

(2) سنن الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب منه (10)، (714/4)، حديث رقم 2598، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (26 . 27)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان دلائل قدرة الله تعالى في خلقه وملكه.

المطلب الثاني: الإيمان بقدرة الله تعالى.

المطلب الثالث: الإيمان بأن الرازق هو الله تعالى وحده.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان دلائل قدرة الله تعالى في خلقه وملكه:

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:26].

" الله ﷻ بمقتضى حكمته وما سَنَّ من نظم في هذا الوجود، وما تسير عليه أعماله في خلقه، لَا يعطي الملك إلا من يستحقه، ويأخذ بالأسباب العادلة في طلبه، ويقصد به رفعة قومه، ولا ينزعه إلا ممن يسيء ويطغى، ويفهم أن الملك متعة تشتهَى وليس تَبِعات تؤدى، فينزعه منه غيره، وكذلك سنة الله تعالى في الحكم بين الناس: من لا يسوس الملك يُخلَعه، ومن حل محله ينزل به ما نزل بسابقه إن سار سيرته ".[1]

أولا: سبب النزول:

" قال ابن عباس وأنس بن مالك: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله تعالى هذه الآية ".[2]

ثانيا: المناسبة:

هذه الآية " تأكيد لما تشعر به الآية السابقة من مزيد عظمته تعالى وعظيم قدرته، وفيه أيضا إفحام لمن كذَّب النبيَّ ﷺ ورد عليه لا سيما المنافقين الذين هم أسوأ حالا من اليهود والنصارى، وبشارة له ﷺ بالغَلَبة الحسية على من خالفه كغلبته بالحجة على من جادله، وبهذا تنتظم هذه الآية الكريمة بما قبلها ".[3]

ثالثا: المعنى الإجمالي:

" هذه بعض الأدلة على قدرة اللّه تعالى وعظمته، فهو مالك الملك، وهو المعطي والمانع، يؤتي الملك والنبوة من يشاء من عباده كآل إبراهيم، قال اللّه تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:54]، وقد يعطي اللّه ملكا فقط كسائر الملوك الدنيويين القدامى والمعاصرين، وقد ينزع اللّه الملك ممن يشاء من الأفراد والأمم بسبب ظلمهم وفسادهم وسوء سياستهم، كما نزع الملك من كثير من الدول والأشخاص، واللّه سبحانه يعز من يشاء ويذلّ من يشاء، والعزة والذلة لا تتوقف على الملك أو المال، فكل إنسان معرض للذل والعز بمقتضى إرادة اللّه، واللّه وحده بيده الخير، فكل ما كان أو يكون لا يخلو من خير ونعمة، لصاحبه نفسه أو لغيره من الناس،

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1168/3، 1169).

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص 102.

(3) روح المعاني، الألوسي، (112/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن اللّه قدير تام القدرة على كل شيء، ولا يفعل شيئا إلا بمقتضى الحكمة والمصلحة والعدل ".[1]

رابعا: معاني المفردات:

1) ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: " في كلام العرب خاص بنداء الله تعالى في الدعاء، ومعناه يا الله ".[2]

2) ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: " مالك جنس الملك على الاطلاق ملكاً حقيقياً بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتةً وتعذيباً وإثابةً من غير مشارك ولا ممانع ".[3]

3) قوله تعالى: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ فيه وجوه منها: " ملك النبوّة والرسالة، كما قال تعالى : ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:54]، والنبوّة أعظم مراتب الملك؛ لأن العلماء لهم أمر عظيم على بواطن الخلق، والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق، والأنبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر، فأما على البواطن فلأنه يجب على كل أحد أن يقبل دينهم وشريعتهم، وأن يعتقد أنه هو الحق، وأما على الظواهر فلأنهم لو تمردوا واستكبروا لاستوجبوا القتل، ومما يؤكد هذا التأويل أن بعضهم كان يستبعد أن يجعل الله تعالى بشراً رسولاً ".[4]

4) ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: " أي في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما ".[5]

5) ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ معناها: " شمول قدرته على الأشياء كلها: ما يتخذه الناس سببا للخير عندهم، وما يتخذونه سببا للشر عندهم ".[6]

خامسا: اللطائف البيانية:

1) " التعبير عن إزالة الملك بقوله تعالى: ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾، فالتعبير بالنزع مع تكرار كلمة مُلْك، فيه إشارة إلى أنه يأخذه منه بعد أن استقر فيه وثبت له وظن أنه لَا مُزيل لسلطانه، فيأتيه الله من حيث لَا يحتسب، ويأخذ ملكَه أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، ثم إن في النزع إشارة إلى أن من يؤتى

---

(1) التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي، (184،185/1).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (212/3).

(3) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (21/2)، والظاهر المتبادر أن المراد بالملك: السلطة والتصرف في الأمور، وأنه تعالى صاحب السلطان المطلق في تدبير الأمور وتحقيق التوازن في الكائنات، واللّه يعطي من يشاء إما النّبوة فقط كهود ولوط، وإما الملك فقط كالملوك الغابرين والمعاصرين، وإما الملك والنّبوة كآل إبراهيم ومنهم داود وسليمان عليهم السلام. (التفسير المنير، الزحيلي، 193/3).

(4) التفسير الكبير، الرازي (5،4/8).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (447/1).

(6) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1170/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلطانا يطغى فيه ويبغي، ولا يسير بسنة الحق والعدل، لَا يتركه طائعًا، بل لابد أن يُمكِّن الله منه مَن ينزعُه من يده، وقد يأخذه منه من كان يأتمنه، " ومِنْ مَأمَنِه يُؤتي الحَذِر "، وفي كثير من الأحيان يكون السبب في زواله هو من كان السبب في طغيانه ".[1]

2) "المقابلة بين " تؤتي وتنزع "، وبين " تعز وتذل " ".[2]

3) " التّكرار في جمل تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ للتفخيم والتعظيم".[3]

4) ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: " تعريف الخير للتعميم، وتقديم الخبر للتخصيص، أي بقدرتك الخير كله لا بقدرة أحد غيرك" [4]، " وفي الاقتصار على ذكر الخير تعليم لنا كيف نمدح بأن نذكر أفضل الخصال "[5]، " وخَصَّ اللهُ تعالى " الخير " بالذكر، وهو تعالى بيده كل شيء، إذ الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأنَّ المعنى ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ فأجْزِل حظِّي منه ".[6]

سابعاً: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) " تناولت الآية ملكه وحده وتصرفه، وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيديه وأنها كلها خير. فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير وإن كان شرا بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل، والحكمة والمصلحة لا تخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد الرب عليه ويثنى عليه به، كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه ".[7]

2) إن دلائل قدرة الله تعالى في الكون لا تحصى ولا تُعَدّ، منها ما عرفه العلماء، ومنها ما لم يعلموه بعْدُ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:85]، وشواهد القدرة الإلهية لا يحيط بها عقل الإنسان عدًّا ولا علما ولا إدراكاً.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " نداء خاشع، في تركيبه اللفظي إيقاع الدعاء، وفي ظلاله المعنوية روح الابتهال، وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشة للمشاعر في رفق وإيناس، وفي جمعه بين تدبير الله وتصريفه لأمور الناس ولأمور الكون إشارة إلى

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1168/3).

(2) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (487/1).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (192/3).

(4) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (21/2).

(5) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (438/2).

(6) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، (417/1).

(7) بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، جَمَعَه: يسري السيد محمد، (228/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة الكبيرة: حقيقة الألوهية الواحدة القوامة على الكون والناس، وحقيقة أن شأن الإنسان ليس إلا طرفاً من شأن الكون الكبير الذي يصرفه الله، وأن الدينونة لله وحده هي شأن الكون كله كما هي شأن الناس، وأن الانحراف عن هذه القاعدة شذوذ وسفه وانحراف ".[1]

3) الحديث هنا عن دلائل قدرة الخالق ﷻ في ملكه، فهو ﷻ مالك العباد وما ملكوا، وهو الذي أعطاهم إرادة الاختيار بالتصرف فيما مَلَّكهم إياه، ومن سُنَّته سبحانه في خلقه مداولةُ الأيام بينهم، ولا يوقِفُها عند واحد؛ ليُعلَم من يَستحق الاستخلاف ومن لا يستحقُّه، ولِيتميَّز الناس إلى فسطاطين: فسطاط الحق، وفسطاط الباطل، فيحدث الصِّدام بن الفريقين، ويتَّخذ الله تعالى عنده شهداء، ثم تدور الدائرة على الباطل وأهله، فيأتيه الله من القواعد فيَخِرُّ عليهم السقف من فوقهم، وينْهدِمُ عليهم ما كانوا يعرِشون، فهذه سنة التدافع، وتلك سنة الاستخلاف، وشواهد هذا الكلام في التاريخ كثيرة، سَطَّر لنا القرآن الكريم طرفا منها، فمن مشهور القصص في ذلك ما كان من أمر فرعون، فإنه قد أوتيَ المال والتصرف، وأخضع لنفسه رقاب العباد، ولم يُراعِ حق الله تعالى في المُلْك الذي أعطاه، فما لبث أن ادَّعى الربوبية والألوهية، وقامت عليه الحجة بإرسال موسى وهارون عليهما السلام، فلم يَرْعَوِ، ولم يتخذْ جادَّة الحق دليلاً، فجعل اللهُ ﷻ الماءَ يجري فوقَه بعد أن كان يجري من تحته، وأهلك الله جنده، وجَرَتْ سنةُ الله تعالى عليه في إهلاك القوم الظالمين، وكان الاستخلافُ لبني إسرائيل الذي استُضعفوا في الأرض، قال تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الدخان:24- 29].

4) لقد نقل لنا التاريخ صورا عديدة من علوِّ الأمم وانحدارها، فقوم نوح، وعادٌ، وثمود، وفارس، والروم، والتتار، والصليبيون، وكثير من ممالك أهل الإسلام، وفي العصر الحديث ما كان من هزيمة الروس في أفغانستان والشيشان، وكذلك أمريكا، واقتتال النصارى فيما بينهم في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وما كان في فلسطين المباركة من استبداد اليهود، وخروجهم من قطاع غزة بادرةٌ لتحرير باقي التراب الفلسطيني من دنس اليهود.

5) والواقع الحاضر مليءٌ بمثل هذه الشواهد، فالأنظمة الحاكمة في الدول العربية على استحكام قبضتها على شعوبها، ونشرها لروح الخذلان بين الأفراد، جاءتها الرياح العاتية، رياحُ التغيير، فاهتزَّت عروش الظالمين، فالباكورةُ كانت تونسَ، وتَلَتْها مصرُ، فأسقطت طاغوتَها،

---

(1) في ظلال القرآن، (384/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا زالت في مخاضها العسير حتى يأذن الله تعالى لها بالفرج، والْتحق بِصَفِّ الخزي زعيمُ ليبيا بعد أن أذاق أهلها مذاقات العذاب، فقتله الله تعالى شر قِتْلة، والفرج للشام وأهله قريبٌ إن شاء الله تعالى.

كلُّ ما ذُكِر يَدُلُّ دِلالةً واضحةً على قدرة الله تعالى المطلقةِ على خلقه، وقيوميَّته عليهم، فهو يرفع من يشاء رفعَه، ويخفض من يشاء خفضَه، ويُعزُّ من يشاء إعزازَه، ويُذِلُّ من يشاء إذلالَه، ليكون في ذلك عبرةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المطلب الثاني: الإيمان بقدرة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ [آل عمران:27].

موضوع هذا المطلب مُلْتَحِقٌ بالمطلب السابق، فكلاهما يعالج الحديث عن قدرة الله تعالى، فالمطلب السابق يدور الحديث فيه عن دلائل قدرة الله تعالى وشواهدها في الكون، أما هذا المطلب فيتحدَّث عن الإيمان بقدرة الله تعالى وتمكُّنِه من القلب.

أولا: المعنى الإجمالي:

تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل، و تولج النهار في الليل فلا يبقى نهار، وتخرج جسماً حياً من جسم ميت في المحسوسات، كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ بغير عدد، ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿تُولِجُ﴾: " (ولج) الواو واللام والجيم: كلمةٌ تدلُّ على دُخول شيء ".[2] "الإيلاج: الإدخال، ومعناه: تنقص من أحدهما وتزيد في الآخر، وقيل معناه: تغطي الليل بالنهار، والنهار بالليل".[3]

2) ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾: اختلفت أقاويل المفسرين في معناها: فقيل: يخرج الرجل الحي من النطفة الميتة، وقيل: النخلة من النواة، والسنبلة من الحبة، وقيل: البيضة تخرج من الحي وهي ميتة، ثم يخرج منها الحي، وقيل: الناس الأحياء من

---

(1) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (303/1)، باختصار.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (110/6).

(3) تفسير القرآن، السمعاني (307/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النطف، والنطف ميتة تخرج من الناس الأحياء، ومن الأنعام والنبات كذلك ايضا، وقيل: النواة من النخلة والحبة من السنبلة، وقيل: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والمؤمن عبد حي الفؤاد، والكافر عبد ميت الفؤاد.[1]

ثالثا: المناسبة:

" لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار، وفي المعاقبة بينهما وحال إخراج الحي من الميت ثم عطف عليه أنه يرزق من يشاء بغير حساب، وفي ذلك دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة لذوي الأفهام والعقول، فهو قادر أن ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم".[2]

رابعاً: اللطائف البيانية:

1) ﴿تُولِجُ﴾ " هنا استعارة لتعاقب ضوء النهار وظلمة الليل، فكأنَّ أحدهما يدخل في الآخر".[3]

2) إخراج الحي من الميت والعكس " رمزٌ إلى ظهور الهُدى والملك في أمّة أمية، وظهور ضلال الكفر في أهل الكتابين ".[4]

3) من البديع: " ردُّ الأعجازِ على الصدور، والصدور على الأعجاز في قوله: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ وفي قولِهِ: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ ".[5]

خامساً: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) لقد دلَّ على قدرة الله تعالى المطلقةِ جميعُ المخلوقات، فالكون كلُّه شاهدٌ على هذه القدرة التي ما ماثلها نظير، وما كان في مُستطاع مخلوق القيامُ بما يشابِهُ قدرة العليم الخبير، فالله ﷻ هو المتفرِّد بالخلق والأمر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

---

(1) انظر هذه الأقوال: جامع البيان، الطبري، (304/6)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (626/2)، فتح القدير، الشوكاني، (448/1).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (236/1).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (214/3).

(4) انظر: المصدر السابق (215/3).

(5) الدر المصون، السمين الحلبي، (106/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) إنَّ الإنسانَ لا يسَعُه إلا التَّوقُّفُ والنظرُ والاعتبارُ مما خلق اللهُ تعالى، وإنه لَتأخذه الحيرةُ والدهشةُ مما يرى ويشاهد، ولا يملك لنفسه إلا التسبيحَ بحمْد الله الخالق العظيم.

3) إن الناس قد استقرَّ في أذهانهم أنْ لا خالقَ إلا اللهُ ﷻ، فالمشركون على شركهم لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:61]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[الزُّخرُف:87].

4) مهما حاول الإنسان – بعقله القاصر – التفكيرَ لإدراك حقيقة القدرة الإلهية، فإنه سيرتدُّ خاسئاً وهو حسيرٌ ولابُدَّ، فلقد ابتغى لنفسه ما هو فوق طاقته، ولن يبلغ مراده أبداً؛ لأن قدرة الله تعالى مُحاطةٌ بأسوارٍ وأسرار لا يعلمها إلا صاحبُها ﷻ.

5) الإيمان بقدرة الله تعالى تدعو إليه الفطرة السليمة، والعقل الصريح، وهو يتطلَّب علما واسعا بالحقائق الكونية في الخلق والحياة؛ ولذلك كان العلماء مخصوصين بالمدح؛ لأنهم يعلمون ما لا يعلمه الناس.

6) إن الله تعالى قد نَصَبَ الأدلةَ على قدرته شاخصةً أمام الناس؛ لِيُقِرُّوا بالوحدانية، ويعترفوا بالضعف والحاجة، فالنفس البشرية إذا أذعنت آمنت، والنفس البشرية طامحة بحُكْم الفطرة إلى الكمال، فلابد أن تتعرَّف على ذات كاملة في الصفات والأفعال، وحينها تشعر بالنقص والضعف، والحاجةِ إلى قوة عُلوية تستند إلى قوَّتها، هذه الذات هي ذاتُ الله ﷻ.

ومن دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون الفسيح ما أخبرنا به الله تعالى في كتابه من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، فإن هذه الأمور لا يقدِر عليها إلا الله ﷻ.

7) " إن توجيه الأنظار إلى دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل، سواء أكان بالمعنى الأول أم كان بالمعنى الثاني، فيه توجيه الأذهان إلى عظمة الكون وكمال سلطانه ﷻ فيه، فما كان تعاقب الليل والنهار وتداخلهما إلا ظاهرة لدوران الأرض حول الشمس، وحركة الفلك الدوار المستمرة الدائبة بقدرة الله تعالى وقيامه على كل شيء، وفي الليل تبدو الكواكب والنجوم، وتظهر آيات ذلك النظام العجيب المحكم الذي يسيره سبحانه بقدرته وحكمته ".[1]

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1171/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الإيمان بأن الرازق هو الله تعالى وحده:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:27].

إن قضية الرزق من مُسلَّمات العقل التي لا ريب فيها، ويجب ألا يتطرَّق الشكُّ إليها أبدا، فإن الذي خلق هو الذي تكفَّل لخلقه بأرزاقهم، وقد حسم القرآن الكريم هذه المسألة، فقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات:22، 23].

أولا: المعنى الإجمالي:

ذكر الإمام الفخر الرازي رحمه الله وجوهاً، " الأول: أنه يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه على ذلك أحد، إذ ليس فوقه ملك يحاسبه بل هو الملك يعطي من يشاء بغير حساب، والثاني: ترزق من تشاء غير مقدور ولا محدود، بل تبسطه له وتوسعه عليه كما يقال : فلان ينفق بغير حساب إذا وصف عطاؤه بالكثرة، ونظيره قولهم في تكثير مال الإنسان: عنده مال لا يحصى، والثالث: ترزق من تشاء بغير حساب، يعني على سبيل التفضل من غير استحقاق؛ لأن من أعطى على قدر الاستحقاق فقد أعطى بحساب، وقال بعض من ذهب إلى هذا المعنى: إنك لا ترزق عبادك على مقادير أعمالهم، والله أعلم ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الرزق مكفول للإنسان وهو لا يزال في بطن أمه جنيناً، فالعجب من أولئك الذين رضُوا بقسمة الله تعالى لهم في عقولهم، ولم يرضَوا بقسمة الله تعالى لهم في أرزاقهم، وهؤلاء ما كان وقوعهم في مثل ذلك إلا لاعتمادهم على الأسباب بالكلِّية، وانشغالهم بالأسباب عن المُسبِّب ﷻ، وهذا طعن في التوكل على الله تعالى، فلو توفَّر اليقين لكان التوكل، قال رسول الله ﷺ: **(لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً).**[2]

2) العلاقة بين الرزق والأسباب متينة وعميقة، لكن كثيرا من الناس يفهمون هذا الأمر على غير وجهه الصحيح، فهم يعتمدون على الأسباب وكأنها كلُّ شيء، وهؤلاء ما عرفوا التوكُّل أبداً، فقد اتجهوا الوِجهة الخطأ، وضلُّوا السبيل، فهم الماديون الذين ينظرون إلى الأمور بمنظارهم المادي البحت، ونَسَوا المُسبِّبَ وهو اللهُ ﷻ، وما علموا أن الله تعالى يرزق بسبب وبدون سبب، ومن الناس من رَكَنَ إلى الراحة والدَّعَة، بحجة التوكل والاعتماد على الله تعالى، وهذا هو التواكل،

---

(1) التفسير الكبير، الرازي، (10/8).

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، (573/4)، حديث رقم 2344، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما بثَّه أدعياء التصوُّف في هذه الأمة، لكنَّ الواجبَ والصحيحَ أنْ يعملَ الإنسان بالأسباب وكأنها كلُّ شيء، ويتوكلَ على الله تعالى وكـأن الأسباب لا شيء.

3) الرزق ليس مقصورا على ما يؤتاه الإنسان من مال ومتاع، بل هو متعدِّد ومتنوع، فالعلم رزق، وكذلك الصحة، وقوة البدن، ومحبة الناس، والزوجة الصالحة، والأبناء البارُّون، والصحبة الصالحة، والفهم الصحيح للأمور، والشهادة في سبيل الله تعالى رزق، والخاتمة الحسنة رزق أيضا، كلُّ ذلك من أبواب الرزق، وأبوابه كثيرة وهي أكثر من أن تُعَدُّ، لكن أعظمها قدراً أن يؤتيَ اللهُ تعالى الإنسانَ الهداية إلى الإسلام، ويثبِّتَه عليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (28 . 30)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار.

المطلب الثاني: مراقبة الله تعالى في السر والعلانية.

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة وجزاء الأعمال.

المطلب الرابع: تنبيه المؤمنين إلى الخوف من الله تعالى وعقابه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: النهي عن موالاة الكفار:

قال الله تعالى:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:28].

الولاء والبراء عقيدة يتميز بها المسلم من غيره، فالدين في أصله قائم على الموالاة في الله والمعاداة في الله تعالى، فالمسلم في كل أحواله موالٍ لأبناء دينه وإن خالفوه الرأيَ والوسائل، مُعادٍ لمن اتَّخذ نِحلةً غيرَ الإسلام وإن كان أقرب الناس إليه.

أولا: سبب النزول:

" عن ابن عباس قال: كان الحجاجُ بن عمرو حليفُ كعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بَطَنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر بن زَنْبَر، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة، لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مُباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله ﷻ:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله:﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ".[1]

ثانيا: المناسبة:

" استئناف عُقِّب به الآيُ المتقدمة، المتضمّنة عداء المشركين للإسلام وأهله، وحسد اليهود لهم، وتولّيهم عنه من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:10] إلى هنا، فالمناسبة أنّ هذه كالنتيجة لما تقدمها ".[2]

ثالثا: المعنى الإجمالي:

" لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم

---

(1) جامع البيان، الطبري، (314/6)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (629/1)، وعن ابن عباس ﷺ: نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري وكان بدريا نقيبا، وكان له حلفاء من اليهود، فلما خرج النبي ﷺ يوم الاحزاب قال عبادة: يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو، فأنزل الله تعالى ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (أسباب النزول، الواحدي، ص 105).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (215/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل ".[1]

رابعا: معاني المفردات:

1) ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: " مباعدين المؤمنين أي في الولاية، وهو تقييد للنهي بحسب الظاهر، فيكون المنهي عنه اتخاذ الكافرين أولياءَ دون المؤمنين، أي ولاية المؤمن الكفّار التي تنافي ولايته المؤمنين، وذلك عندما يكون في تولّي الكافرين إضرار بالمؤمنين ".[2]

2) ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ "أي: من يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله".[3]

3) ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ " أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ".[4]

4) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ " يعني: يخوفكم الله بعقوبته يعني الذي يتخذ الكافر وليا بغير ضرورة وهذا وعيد لهم ويقال إذا كان الوعيد مبهما فهو أشد ".[5]

خامسا: اللطائف البيانية:

1) في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، إشارةٌ بلاغية رائعة، " فإنه من المقررات البيانية أن اللفظ إذا أعيد معرفا بـ(أل) كان الثاني هو عين الأول... فتكرار المؤمنين بالتعريف بأل إشارة إلى أن الثاني هو عين الأول، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمنين الذين يدخلون ولايةَ غيرهم يتركون أنفسهم، ويتخذون من عدوهم نكاية لأنفسهم ".[6]

2) " في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب، ولو جرى على سَنَن الكلام لقال: إلا أن يتقوا، ولكنه عدل عن الغيبة إلى الخطاب لِسِرٍّ كأنه أَخْذَةُ السَّحَر، فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمر مسْتَسمج مستقبح، ينكره الطبع ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء، فجاء به غائبا كأنه يرسم لهم خطا بيانيا ".[7]

---

(1) جامع البيان، الطبري، (313/6).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (216/3).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (44/3).

(4) المصدر السابق، (44/3).

(5) بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (231/1).

(6) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1176/3).

(7) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (489/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ " فيه من التهديد ما لا يخفى عِظَمُه، وذَكَر النفس للإيذان بأن له عقابا هائلا لا يؤبَهُ دونَه بما يحذر من الكفرة ".[1]

سادسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الولاء والبراء لُبُّ عقيدة التوحيد، بهما يستطيع المسلم قياس وزن الدين عندَه، وهما يعبِّران عن مدى إخلاص المسلم لدينه وأُمَّته، وقد وقف الكثيرون على هذا الحد، فمنهم من تجاوزه، وأورَدَ نفسَه موارد الهَلَكَة، ومنهم من رابط في مكانه، رافضاً انطماسَ بصيرته، وخائفاً من خُفوت نور الهدى في قلبه، وهؤلاء هم حرَس الحدود، قد حفظوا مواقعهم، فلم يُجاوزوها، والتزموا تعاليم دينهم فقدَّسوها.

2) إن أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبغض في الله، وهذا مفهوم غفل عنه جمٌّ غفير من المسلمين، رغم أنه أساس في الاعتقاد، فعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**).[2]

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون، ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يُحكِّم كتاب الله في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودة القلب، أو بنصره، أو باستنصاره ".[3]

3) الولاء في اصطلاح الشرع: " النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً ".[4] فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.[5]

والبراء " هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار ".[6]

" الولاية ضد العَداوة، وأصل الولاية المحبَّة والقُرب، وأصل العداوة البغض والبعد ".[7]

---

(1) إرشاد العقل السليم، أبي السعود، (23/2)، قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ في هذه الآية تهديد شديد، وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه. (فتح القدير، الشوكاني، 449/1).

(2) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ص 510، حديث رقم 4681، قال الألباني: صحيح.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، (385/1).

(4) تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص 840.

(5) الإيمان، محمد نعيم ياسين، ص171.

(6) الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، ص 70.

(7) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص 53.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) من صور موالاة الكافرين:

ذكر الإمام ابن عاشور رحمه الله أنه استخلص من الآية ثمانية أحوال، وهي باختصار:

الأولى: أن يتّخذ المسلم جماعة الكفر، أو طائفته، أولياء له في باطن أمره، ميلاً إلى كفرهم، ونواءً لأهل الإسلام، وهذه الحالة كفر، وهي حال المنافقين.

الثانية: الركون إلى طوائف الكفر ومظاهرتهم لأجل قرابة ومحبة دون الميل إلى دينهم.

الثالثة: موالاة طوائف من الكفّار غير متجاهرين ببغض المسلمين ولا بأذاهم.

الرابعة: موالاة طائفة من الكفّار لأجل الإضرار بطائفة معيّنة من المسلمين.

الخامسة: أن يتّخذ المؤمنون طائفة من الكفّار أولياء لنصر المسلمين على أعدائهم.

السادسة: أن يتّخذ واحد من المسلمين واحداً من الكافرين بعينه وَليّاً له، في حسن المعاشرة أو لقرابة، لكمال فيه، من غير إلحاق الضرر بالمسلمين، وذلك غير ممنوع.

السابعة: حالة المعاملات الدنيوية: كالتجارات، والعهود، والمصالحات، أحكامها مختلفة باختلاف الأحوال وتفاصيلها في الفقه.

الثامنة: حالة إظهار الموالاة لهم لاتّقاء الضر.[1]

5) الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين والتبرؤ من الكافرين كثيرة، فمنها في القرآن الكريم قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:51]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة:71]، ومن الأحاديث النبوية: عن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: (**ألا إن آل أبي – يعنى فلانا – ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**).[2]

وقال رسول الله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه...**).[3]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (3/217– 220).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، (1/136)، حديث رقم 541.

(3) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه، (3/128)، حديث رقم 2442.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: مراقبة الله تعالى في السر والعلانية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29].

إن علْمَ الله تعالى بالغٌ كلَّ مكان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:5]، وقال سبحانه:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:19]، فإذا كان هذا المفهوم في عقل الإنسان مركوزاً فعليه أن يأخذ حذره جيداً، فيُخلص النية ويُحسِنُ التصرُّفَ ويتقِنُ العمل.

أولا: المعنى الإجمالي:

" إنه سبحانه يعلم ما تنطوي عليه نفوسكم إذ توالون الكافرين أو توادّونهم أو تتقون منهم ما تتقون، فإن كان ذلك يميل بكم إلى الكفر جازاكم عليه، وإن كانت قلوبكم مطمئنة بالإيمان غفر لكم ولم يؤاخذكم على عمل لا جريمة فيه على الدين ولا على أهله، وهو إنما يجازيكم بحسب علمه المحيط بما في السموات والأرض، لأنه الخالق لها كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[الملك:14]،﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾فهو يقدر على عقوبتكم فلا تجسروا على عصيانه وموالاة أعدائه، إذ ما من معصية خفيّة كانت أو ظاهرة إلا وهو مطلع عليها قادر على عقاب فاعلها ".[1]

ثانيا: المناسبة:

قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله: " اعلم أنه تعالى لما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء ظاهراً وباطناً واستثنى عنه التقية في الظاهر، أتبع ذلك بالوعيد على أن يصير الباطن موافقاً للظاهر في وقت التقية، وذلك لأن من أقدم عند التقية على إظهار الموالاة، فقد يصير إقدامه على ذلك الفعل بحسب الظاهر سبباً لحصول تلك الموالاة في الباطن، فلا جرم بيّن تعالى أنه عالم بالبواطن كعلمه بالظواهر، فيعلم العبد أنه لا بد أن يجازيه على كل ما عزم عليه في قلبه ".[2]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) ذِكْر العام بعد الخاص حيث ذكر أولاً﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ثم قال:﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ للتأكيد والتقرير[3]، " فصار علمه بما في صدورهم مذكوراً مرتين على سبيل التوكيد، أحدهما: بالخصوص، والآخر: بالعموم، إذ هم ممن في الأرض ".[4]

---

(1) تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، (138/3).

(2) التفسير الكبير، (15/8).

(3) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، (114/3)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (23/2).

(4) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي،(444/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ " إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب ".[1]

3) " جاءت كلمة ﴿شَيۡءٖ﴾ نكرةً في الفاصلة لتبين معاني كثيرة، فهي تعم كمال القدرة من علم ما تخفيه صدورهم وما تعلنه، وكذلك القدرة على حسابهم وعقابهم عما أخفوه من باطن، وكذلك على إظهار ما أخفته صدورهم ".[2]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) من جِبِلَّة الإنسان الوقوعُ في المخالفات، وارتكابُ المحرمات، لكنَّ اللَّبيب من يستطيع كبْحَ جِماحه عن شهواته، وهذا نابعٌ من استشعارٍ بالغٍ لِمَعِيَّة الله ﷻ ومراقبته، وهذه من صفات المؤمنين الصادقين، فمنزلة المراقبة سامقةُ الذُّرى، رفيعةُ الجَنَاب، لا يستطيعُها إلا من جعل العزيمةَ مقصدَه، والطاعةَ سبيلَه، ورضا الله غايتَه، قال تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾ [البقرة:235]، وقال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء:1]، وقال سبحانه:﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[الحديد:4]، وقد عرَّف الإمام ابن القيم رحمه الله المراقبةَ بقوله: " المراقبة دوام علم العبد وتيقُّنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه، فاستدامتُه لهذا العلم واليقين ".[3]

يقول سيد قطب رحمه الله: " يتابع السياق التحذير ولمس القلوب، وإشعارها أن عين الله عليها، وأن علم الله يتابعها:﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وهو إمعان في التحذير والتهديد، واستجاشة الخشية واتقاء التعرض للنقمة التي يساندها العلم والقدرة، فلا ملجأ منها ولا نصرة ".[4]

2) " في هذه الآية تنبيه منه تعالى لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه، فإنه عالم بجميع أمورهم وقادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإن أَنْظَرَ من أَنْظَرَ منهم فإنه يُمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ".[5]

3) التحذير في الآية الكريمة ليس لغرض التهديد فحسب، بل غرضه الأساس أن يؤتيَ ثمارَه، ويعودَ على صاحبه بالتقوى والورع ودوام المراقبة، حتى لا يركن المرءُ إلى أعماله الصالحة، ويمنِّي نفسه

---

(1) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (23/2).

(2) المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، عمر حسين الدويك، ص 105.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (65/2).

(4) في ظلال القرآن، (386/1).

(5) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، (307/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأمان، وإلا سيكون ممَّن تحقَّق فيه قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف:99].

4) المراقبةُ هي التورُّع عن الوقوع في الشبهات، والاهتمام بأعمال القلب، التي لا يحيا القلب إلا بها، كالإخلاص، والرضا، والتقوى، والتأهُّب لدار القرار، والصبر عن المحارم، والإكثار من ذكر الله تعالى، وذكر الموت والدار الآخرة، فمن كان هذا حاله فإنه ولابدَّ ناجٍ مُسَلَّم، فالمسلم يتحرَّى التزام الأمر بحذافيره، ويجتنب المناهي جملة، ويصون نفسه عن الشبهات التي تُرْدِي صاحبها، وتُورِدُه موارد الهلاك.

المطلب الثالث: التذكير بيوم القيامة وجزاء الأعمال:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30].

من رأفة الله تعالى بعباده ولطفه بهم أن يذكِّرَهم بيوم القيامة، نظراً لخطورة ذلك اليوم، ولمَّا كان الإنسان من طبعه الغفلةُ والسَّهو، كان بحاجة لمن يذكِّره دوماً، ووجب له أخذ الحذر، " والتَّوقِّي من الأعمال التي توجب الفضيحة والعقوبة، والاستعداد بالأعمال الصالحة، التي توجِب السعادة والمثوبة ".[1]

أولا: المعنى الإجمالي:

" خافوا الله واحذروه، واخشوا حسابه وعقابه، وارجوا ثوابه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير ظاهرا ثابتا واضحا، كأنه قد أحضر من الدنيا إلى الآخرة فيرى رأي العين، وما عملت من شر معلوما كذلك كأنه رئي بالحس والبصر، وتود كل نفس أن لو يتأخر أمدا طويلا بعيدا، وذلك لأن ما يخافه الإنسان يتمنى أن يتأخر ويؤجل؛ ليكون عنده أطول فسحة من الأمان ".[2]

ثانيا: معاني المفردات:

1) قوله تعالى: ﴿مُّحْضَرًا﴾ : " يعني: يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر ".[3]

2) قوله تعالى: "﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾معطوف على (ما) الأولى، أي: وتجد ما عملت من سوء محضرا تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، فحذف (محضرا) لدلالة الأول عليه، وهذا إذا كان ﴿تَجِدُ﴾

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 117.

(2) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (1181/3).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (45/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من وجدان الضالة، وأما إذا كان من وجد بمعنى علم، كان محضرا هو المفعول الثاني ".[1]

3) ﴿أَمَدًا﴾: الأمد: " الغاية المحدودة من المكان أو الزمان "، وجمعه آماد.[2]

ثالثا: المناسبة:

" لما ذكر الله تعالى من عظمته وسعة أوصافه ما يوجب للعباد أن يراقبوه في كل أحوالهم، ذكر لهم أيضا داعيا آخر إلى مراقبته وتقواه، وهو أنهم كلهم صائرون إليه، وأعمالهم- حينئذ من خير وشر- محضرة، فحينئذ يغتبط أهل الخير، بما قدموا لأنفسهم، ويتحسر أهل الشر إذا وجدوا ما عملوه محضرا ويودون أن بينهم وبينه أمدا بعيدا ".[3]

" وهذه الآية مرتبطة بالتحذير المذكور سابقا في السياق من الحشر والحساب والجزاء، والتحذير من عذاب الله وغضبه، وكون المصير إلى الله، فبيَّن ما يكون حينئذ من الحسرة والندامة وتمنِّي المستحيل ".[4]

رابعا: اللطائف البيانية:

1) تكرار التحذير في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾: " للتوكيد والتحريض على الخوف من الله بحيث يكونون ممتثلي أمره ونهيه ".[5]

2) مناسبة الفاصلة للسياق: قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ " لما ذكر صفة التخويف وكررها، كان ذلك مزعجاً للقلوب، ومنبهاً على إيقاع المحذور مع ما قرن بذلك من اطلاعه على خفايا الأعمال واحضاره لها يوم الحساب، وهذا هو الاتصاف بالعلم والقدرة اللذين يجب أن يحذر لأجلهما، فذكر صفة الرحمة ليطمع في إحسانه، وليبسط الرجاء في أفضاله، فيكون ذلك من باب ما إذا ذكر ما يدل على شدّة الأمر، ذكر ما يدل على سعة الرحمة ".[6]

" وختمت الآية بهذا التذييل الكريم؛ لإثبات أن عقاب المسيء وثواب المحسن من الرحمة، فليس من الرحمة في شيء أن يتساوى المحسن والمسيء، ولإثبات أن ولاء المؤمنين ومعاداة الكافرين من الرحمة بالعباد، حتى لَا يعم الظلم وينتشر الفساد ".[7]

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (450/1).

(2) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، (421/1)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (90/5).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 116-117.

(4) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (446/1).

(5) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (448/2).

(6) المصدر السابق، (448/2).

(7) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1183/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) جعل الله تعالى الدنيا دارَ ابتلاء، والآخرةَ دارَ جزاء، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:2]، وما دامت هذه الدار كذلك فإنَّ اغتنام العمل فيها من أوجب الواجبات، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105]، فالله ﷻ لم يتركنا هَمَلاً، بل أنزل من لدنه شرائع يرى بها الناس نورَ الهدى بازغاً، وأرسل رسله للناس مبشِّرين ومنذرين؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:115].

2) الدنيا مزرعة للآخرة، يُلقي الإنسان فيها بذوره، وينظُرُ حصاد ما زرع، إنْ خيرا فخَيْر، وإن شرًّا فشرٌّ، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:7،8].

3) جاء التذكير بيوم المعاد كثيراً في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، كلها ترمي إلى أن يجعل الإنسانُ الآخرةَ نُصبَ عينيه، لا يحيد عن العمل لها، بل إنه عندما يستحضر عظيم الأجر الذي أعدَّه الله تعالى للعاملين يهون عليه التعب، ويستعذب الصعوبات في سبيل الوصول.

4) إن مواجهة الإنسان بالحقائق التي من أجلها خُلِق أمرٌ غايةٌ في الأهمية، وأهميتُه تنبع من كون هذه المواجهة تَصُبُّ في صالح هذا الغافل، فإنه لا يتفطَّن كلُّ إنسان إلى ما ينفعه، ولكن إذا ذُكِّر تذكَّر، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " وهي مواجهة تأخذ المسالك على القلب البشري، وتحاصره برصيده من الخير والسوء، وتصور له نفسه وهو يواجه هذا الرصيد، وتَشِيْ هذه الحملة الضخمةُ المنوعةُ الإيماءات والإيحاءات والأساليب والإشارات بما كان واقعاً في حياة الجماعة المسلمة من خطورة تميُّع العلاقات بين أفرادٍ من المعسكر المسلم وأقربائهم وأصدقائهم وعملائهم في مكة مع المشركين وفي المدينة مع اليهود تحت دوافع القرابة أو التجارة، على حين يريد الإسلام أن يقيم أساس المجتمع المسلم الجديد على قاعدة العقيدة وحدها، وعلى قاعدة المنهج المنبثق من هذه العقيدة، الأمر الذي لا يسمح الإسلام فيه بالتميع والأرجحة إطلاقاً، كذلك يَشِيْ بحاجة القلب البشري في كل حين إلى الجهد الناصب للتخلص من هذه الأوهاق، والتحرر من تلك القيود، والفرار إلى الله والارتباط بمنهجه دون سواه ".[1]

---

(1) في ظلال القرآن، (386/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) لقد أمر الله ﷻ الإنسان بالعمل، ووعده بالجزاء الأوفى إن هو قد أحسن، وأوعده العذاب إن كان قد أساء، وذكَّره بأنَّ كلَّ ما سيعمله مدوَّنٌ ومكتوب فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:12].

6) إن الإنسان إذا علم أنه عائد إلى الله تعالى علما تُرى آثاره في الواقع، وليس علما نظرياً يخدع به نفسه، فإنه ينزجر عن اقتراف المنهيات، ويسارع في الاستزادة من الحسنات والباقيات الصالحات، ويتحمَّل لأواء السفر، ومشاقَّ الطريق، فالعلم عنده حاصل بما هو آت، فيأخذ للأمر أُهبتَه بدون كلل، ويستمر في عطائه بلا سهوٍ أو ملل.

المطلب الرابع: تنبيه المؤمنين إلى الخوف من الله تعالى وعقابه:

قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30].

الثواب والعقاب سنة كونية ثابتة، لا ينصلح حالٌ إلا بها، وإلا فلِم خلق اللهُ الجنة والنار؟، وعندما يحذِّر الله تعالى عباده منه، فإنَّ في ذلك التحذير دعوةً إلى العمل الدؤوب لاستجلاب رحمة الله تعالى، فرحمة الله تعالى لا تُنال إلا بطاعته، وغضبه ﷻ مدفون في معصيته، وإمهاله للعاصين ليس غفلةً عنهم، بل هو استدراجٌ لهم، أو رحمةً بهم لعلَّهم يتوبوا.

أولا: معاني المفردات:

قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ " أي: رحيم أما المؤمن فله رحمة الدنيا والآخرة، وأما الكافر فرحمته في الدنيا ما رزقه الله فيها، وليس له في الآخرة إلا النار "[1]، " وقيل: معناه أنه رؤوف بالعباد حيث أمهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح ".[2]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الخوف من الله تعالى دليل على صحة الإيمان وقوَّته، وهو علامة فارقة بين المؤمن وغيره، قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود ﷺ: " الْمُؤْمِنُ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْمُنَافِقُ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ فَطَارَ فَذَهَبَ ".[3]

لقد مدح الله تعالى أصحاب هذا المقام الرفيع، ووعدهم بالفوز فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

---

(1) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (285/1).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (252/1).

(3) المصنف، أبو بكر بن أبي شيبة، كتاب الزهد، باب كلام ابن مسعود ﷺ، (164/19)، حديث رقم 35680.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:57-61]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:46].

2) الأمر بالتقوى في كثير من المواضع في القرآن الكريم نوعٌ من أنواع التنبيه إلى اتخاذ الخوف منهجاً في الحياة يسير الإنسان عليه، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102].

3) كان دأب الأنبياء والصالحين التزام هذا المنهج السديد في التعامل مع الله تعالى، فهذا رسولنا ﷺ قد أُمِر بأن يقول بذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:15]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[يونس:15]، وهذا مؤمن آل فرعون عندما استنفذ أسباب النصح قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غافر: 41، 43]، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ : (**أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له**).[1]

4) من الأسباب الباعثة على الخوف من الله تعالى:

أ- استشعار عظمته ﷻ، فمن ينظر في ملكوت الله تعالى، يدرك أنَّ الذي خلق هذا الخلق العظيم لا يغالبه مُغالِب، ولا يخرج عن قدرته أحد، فالقوي عندما يهدِّد ينفِّذ تهديدَه، ويُمضِي وعيدَه.

ب- الشعور بالضعف والحاجة إلى الله تعالى، فالإنسانُ بحُكْم خِلقته وتكوينه ضعيفٌ، لا يقوَى على العيش وحده دونَ أبناء جنسه، فقد أخبرنا الله تعالى عن طبيعة الإنسان فقال: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:28]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم:54]، ويكون هذا الضَّعف جليًّا عند المرض وعند الموت، وهاتان الحالتان يظهر فيهما عجز الإنسان وشدة فاقته إلى الله القدير، فيتوجه الإنسان بكل جوارحه إلى خالقه العظيم، حتى وإن كان كافراً، فهو يرنو بعينِه وقلبه إلى السماء بحُكم الفطرة التي جَبَلَه الله عليها.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، (779/2)، حديث رقم 1108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ت- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[فاطر:15]، " أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات "[1]، " وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم فإنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء أو أن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به ".[2]

ث- الخوف من عدم قبول العمل، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:57-61]، قال الحسن البصري: " إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا ".[3] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله ﷻ، قال الحسن: " عملوا لله بالطاعات [واجتهدوا فيها] وخافوا أن ترد عليهم ".[4]

ج- الاعتبار بما فعله الله تعالى بالأقوام السابقين، فقد جرت سنة الله تعالى في الأقوام السابقين بما كسبت أيديهم وبما كذبوا المرسلين، فهو سبحانه على ما يشاء قدير، وتحدثنا الآيات عن شديد بأس الله تعالى، فقد أخذهم أَخْذَ عزيز مقتدر، كقوم نوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، وقوم لوط، وفرعون وقومه، وأصحاب القرية، وغيرهم ممن حقَّت عليهم كلمة العذاب، وعلى من ينظر في أحوال الأسلاف الغابرين أن يتَّخذ لنفسه طريقا غير طريقهم، لكي لا يُعرِّض نفسه لمثل جزائهم.

وقد أمرنا الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه بالاعتبار مما كان عليه السابقون، من ذلك قوله جلَّ شأنه: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:11]، وقوله سبحانه:﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [الروم:42].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (316/11).

(2) حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، عصام الدين الحنفي،(41/16).

(3) الدر المنثور، السيوطي، (599/10).

(4) معالم التنزيل، البغوي، (421/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) من الأسباب الباعثة على عدم الخوف من الله تعالى:

أ- طول الأمل والاغترار بالدنيا: فطول الأمل يؤدي إلى حب الدنيا والركون إليها، وهذا من شأنه أن يُقيم الحواجز الضخمة أمام صاحبها للحيلولة دون الوصول إلى مرضاة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر:5]، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).**[1]

ب- كثرة المعاصي والإفراط في الرجاء: فالمعاصي تجعل الهُوَّةَ سحيقةً بين العبد وربِّه، ومع تتابع المعاصي تصبح مألوفة للإنسان، وعندما يريد نَزْع نفسه منها فلا يستطيع، يلجأ إلى الرجاء الكاذب الذي يخدع به نفسه، ويواصل إفراطه في الرجاء رغم عكوفه على المعصية، وهنا مكمن الخطر، قال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة:98]، فالعلم بأن الله تعالى غفور رحيم يجب ألا يكون إغراءً لصاحبه على فعل المعصية، واغتراراً بستر الله تعالى عليه، فإن ذلك يورِثُ الندمَ يوم القيامة.

ت- الأمن من مكر الله ﷻ: قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:99].

ث- على المؤمن أن يكون على حذر دائما، وأن يتَّهم نفسه بالتقصير والتفريط في جنب الله تعالى، فهذا الاتِّهام مدعاة إلى إخلاص النيَّة وإحسان العمل؛ حتى لا يُفاجأَ المرء بيوم القيامة وقد تزوّد الناس بأزوادهم وجاء هو ببضاعة مزجاة لا تغني عنه عند الله شيئا.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان فتنة النساء، (89/8)، حديث رقم 7124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (31 . 32)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محبة الله تعالى باتِّباع النبي ﷺ.

المطلب الثاني: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: محبة الله تعالى باتِّباع النَّبي ﷺ:

قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:31].

كثيرةٌ هي الادِّعاءاتُ التي يتخذها الإنسان تكِأَةً يعتمد عليها في تبرير تقصيره وأخطائه، ومن ذلك ادِّعاءُ محبة الله تعالى، ومعلوم من الفطرة بالضرورة أن النَّفسَ تحب من أحسن إليها، لكن الأمر في الإسلام مختلف، فالمحبة لها تكاليف لابُدَّ من أدائها كاملة حتى يكون المدَّعي حقيقاً بهذه الرُّتبة، ومن أعظم هذه التكاليف اتِّباع النبي ﷺ.

أولا: سبب النزول:

سئل الحسن[1] رحمه الله عن قوله :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾قال: نعم أن أقواما كانوا على عهد رسول الله ﷺ يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فقال:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال: اتباع محمد ﷺ تصديقا لقولهم.[2]

ثانيا: المناسبة:

" بعد أن نهى اللّه المؤمنين عن موالاة الكافرين، أوضح هنا أن طريق محبّة اللّه تعالى متابعة رسوله ﷺ وامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه "[3]، فالذي يروم الاستدلال على محبته لله تعالى عليه أن يجعل ولاءه لله كاملا، وللمؤمنين، ويتبرَّأ من الكفر وأهله، فهو في ذلك يقيم الدليل الساطع على تقديم ما يحبه الله تعالى على ما تحبه نفسه.

ثالثا: المعنى الإجمالي:

" لما ادعى وفد نصارى نجران أن تعظيمهم المسيح وتقديسهم له ولأمه إنما هو من باب طلب حب الله تعالى بحب ما يحب وتعظيم ما يعظم، أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ في هذه الآية أن يقول لهم: إن كنتم تحبون الله تعالى ليحبكم فاتبعوني على ما جئت به من التوحيد والعبادة يحببكم الله تعالى، ويغفر لكم ذنوبكم أيضاً وهو الغفور الرحيم، وبهذا أبطل دعواهم في أنهم ما ألَّهوا المسيح عليه السلام

---

(1) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت ﷺ، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا، مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة. (سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، (563/4)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، 72/2).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (633/2).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (207/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا طلباً لحب الله تعالى والحصول عليه، وأرشدهم إلى أمثل طريق على حب الله تعالى وهو متابعة الرسول على ما جاء به من الإيمان والتوحيد والعبادة المزكية بالروح المورثة لحب الله تعالى ".[1]

رابعا: معاني المفردات:

أ- " المحبة: انفعال نفساني ينشأ عند الشعور بحسن شيء: من صفات ذاتية، أو إحسان، أو اعتقاد أنّه يُحِب المستحسِنَ ويَجُر إليه الخير "[2]، وهي " ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه ".[3]

" محبّة العبد للّه ورسوله: طاعته لهما واتّباعه أمرهما، ومحبّة اللّه للعباد: إنعامه عليهم بالغفران... ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾:أي يثيبكم، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ أي: يتجاوز عن سيئاتكم وأباطيلكم ".[4]

ب- الاتِّباع: " التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيءٌ، وهو التُّلُوُّ والقَفْو. يقال تبِعْتُ فلاناً إذا تَلَوْتَه ".[5]

سادسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) ما من شيء أقربَ إلى الكذب من ادِّعاءٍ حتى تقوم قرينةٌ تصدِّقُه أو دليل يَستند عليه، ومحبة العبد لله تعالى مطلوبة بل واجبة، ولكن الأوجبَ هو أن يقدَّم الدليلُ على صدق هذه المحبة، وهو اتِّباع النبي ﷺ حقَّ الاتِّباع، والقيام بهذا الواجب كفيل بتحقُّق الشرط وهو المحبة.

2) " حب الله ليس دعوى باللسان، ولا هياماً بالوجدان، إلا أن يصاحبه الأتباع لرسول الله، والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة، وإن الإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول ".[6]

3) " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله ".[7]

---

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (308/1).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (225/3).

(3) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (24/2).

(4) التفسير المنير، الزحيلي، (206/3).

(5) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (331/1).

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، (387/1).

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (46/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسئل الجوزجاني[1] رحمه الله: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: " الطرق إلى الله كثيرة، وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونيةً، لأن الله يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور:54]، " فقيل له: كيف الطريق إلى السنة؟ فقال: " مجانبة البدع، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء وبذلك أمر النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل:123] ".[2]

وقال سهل التستري[3] رحمه الله: " أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق"، وسئل عن الفتوة فقال: " اتباع السنة ".[4]

4) إنَّ اتِّباعَ النبي ﷺ شرف عظيم، لا يؤتاه كلُّ واحد، فهو عصمةٌ لصاحبه من الفتن والأهواء، وهو مفتاح الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[النور:54]؛ ولهذا كان الرعيل الأول من هذه الأمة أبعدَ الناس عن الفتن والهوى، فهم قد رأوا القدوة والمثَل الأعلى، ثم جاء بعدهم قوم ضلُّوا الطريق، وتنكَّبوا السبيل عندما اختلَّ عندهم ميزان الاتِّباع، فقدَّموا كلامهم على كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، وما زالت الأمة تعاني آثار هذا الاختلال.

5) لما حاد المسلمون عن سنة نبيهم ﷺ ضربهم الله بالذل، وهذا واقعٌ ومُشاهَد؛ فإن الأوائل عندما اعتزُّوا بنبيهم ﷺ وشِرعته سادوا الأمم، ومكَّنهم الله تعالى من البلاد والعباد، يسوسونهم بالدين، ويقوِّمونهم بالعدل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:41].

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " إن الحق يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تدل على ماذا؟ إنهم لابد قد ادعوا أنهم يحبون الله، ولكنهم لم يتبعوا الله فيما جاء به رسول الله ﷺ، فكأنهم جعلوا الحب لله شيئا، واتباع التكليف شيئا آخر، والله ﷻ له على خلقه إيجاد، وإمداد، وتلك نعمة، ولله على خلقه فضل التكليف؛ لأن التكليف إن عاد على

---

(1) الحسن بن علي الجوزجاني، أبو علي، من كبار مشايخ خراسان. له التصانيف في الرياضيات وغيرها، صحب محمد بن علي الترمذي، ومحمد ابن الفضل؛ وهو قريب السن منهما. (طبقات الأولياء، ابن الملقن، ص333).

(2) الاعتصام، الشاطبي، (152/1).

(3) سهل بن عبد الله ابن يونس، شيخ العارفين، أبو محمد التستري، الصوفي الزاهد، مات في المحرم سنة 283هـ، (سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، 330/13).

(4) الاعتصام، الشاطبي، (157/1- 158).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المُكَلَّف – بفتح الكاف وتشديد اللام – ولم يعد منه شيء على المُكَلِّف بكسر الكاف فهذه نعمة من المكلِّف، إن الحق سبحانه لا يحتاج إلى أحد ولا من أحد، إن الحق سبحانه عندما كلفنا إنما يريد لنا أن نتبع قانون صيانة حياة الإنسان ".[1]

6) إن الإنسان عندما يقول بأنه يحب الله تعالى أو يحب النبي ﷺ فإن ذلك الشعور نابع من حب الإنسان للكمالات والمثالية، وهذا هو المِحَكُّ، فإن الإنسان ما دام أنه أظهر هذا الشعور، فعليه الالتزام بما يمليه ذلك الحب عليه من أقوال وأفعال، وهذا الالتزام هو الاتِّباع.

7) أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتمسك بالوحي السماوي، فقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الزُّخرُف:43]، ومعلوم أن النبي ﷺ كان منذ البداية مستمسكا بما أوحاه الله تعالى إليه، فالأمر له – والله أعلم– أنِ اثبُت على تمسُّكك، " والأمر به مستعمل في طلب الدوام "[2]، ومن هنا كان الأمر في حق أتباعه أوجب، فهم الذين تعتريهم الشهوات والأهواء والشبهات، فبيَّن الله تعالى لهم أن السبيل الوحيد والصحيح هو الاستمساك بالوحي، وينشأ عنه الاعتزاز به والجهاد لنشره في أصقاع الأرض، قياماً بالواجب، واهتداءً بأثر النبي ﷺ في التبليغ والدعوة.

المطلب الثاني: وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:32].

أوجب الله تعالى طاعتَه وطاعة رسوله ﷺ في كثير من المواضع، إذ إن الدين لا يستقيم لمؤمنٍ إلا بهما، والتَّرقِّي في مدارج السالكين منوط بهما، فعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ يقوم الدين، وتستقيم الحياة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[النساء:64].

أولا: المعنى الإجمالي:

" ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾الأمر للنبي ﷺ بأن يدعوهم إلى طاعة الله وطاعته، وهو معنى الاتباع في الماضي، وتكرر الأمر بهذه الصيغة للإشارة إلى أن اتباع الرسول هو طاعة لله وللرسول، فمن اتبع الرسول لا يطيع الرسول فقط، بل يطيع الله رب العالمين، وما كان الرسول ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، والسبب في التكرار في ذاته هو تأكيد المعنى الذي قررناه، وهو أن محبة العبد للرب ليس لها طريق إلا الاتباع ...﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾أي: فإن أعرضوا عن اتباع ما تدعوهم وهو اتباعك الذي به تكون إطاعة الله ومحبته،

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1418/1).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (220/25).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنهم لَا ينالون محبة الله تعالى؛ لأنهم كافرون؛ إذ تعمدوا ألا يطيعوك، وأنكروا أن اتباعك طريق محبة الله رب العالمين ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) إن المالك بطبعه يريد أن يكون مُطاعاً فيما يملك، وهذا حق واضح له، لا يستطيع أحدٌ نزعَه منه، بل إن العقل الصريح والفطرة السليمة قد تواطآ على ذلك، وما يخالف في ذلك أحد.

2) عندما أقرَّ قلب الإنسان وعقله بأن الله تعالى مالكُ الملك وخالقُ الوجود، كان لابد أن يذعنَ بالطاعة له لوحده وبلا منازع، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54]، لكن الإنسان في كثير من الأحيان تغلب عليه نزعة التكبُّر فيتمرَّد على الأمر، ويعصي الآمِر ﷻ؛ لذلك فإن الله تعالى يذَكِّر عبادَه طاعتَه، ويُعدِّد نِعمَهُ عليهم بما يضعُهم أمام خَيارٍ لا محيصَ لهم عنه، وهو الإذعان بالطاعة، والرضا بها والتسليم لها.

3) لمَّا كان الرسل هم من يبلِّغ الناسَ دعوة التوحيد عن الله تعالى، كانت طاعتهم واجبة بهذا الاعتبار، فهم الوسطاء بين الله تعالى وخلقه، كيف وقد اختارهم الله تعالى لأعظم المهمات، واصطفاهم من الناس، وفضَّلهم على العالمين، فكيف يجدر بمن يخالفُهم أن يخالفَهم؟ وكيف لذلك العبدِ الآبقِ أن يتجرَّأ على التمرُّد على من يمدُّون أيديهم إليه لينقذوه من وَهْدَةِ الكفر والعصيان؟؛ لذلك كان الخطاب بصيغة الأمر المقْتَضِيَة للوجوب رعايةً لمصلحة العبد، ورحمةً به أن يهويَ في أودية الضلال السحيقة فلا يجد منها خلاصاً.

قال تعالى:﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63]، ففي هذه الآية تحذير شديد لمن يتعمَّد معصية الرسول ﷺ، سواء بمخالفة شرعه، أو بالابتداع في الدين مما لم يأذن الله به.

4) أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[آل عمران:132]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:54]، وقد جاء في السنة المطهرة ما يحث على الطاعة والانقياد، ويحذر من المخالفة والعصيان، فَعَن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: **(من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**.[2]

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (3/1189، 1190).

(2) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالقرآن والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، (9/92)، حديث رقم 7280.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) إنه لِزامٌ على المسلم أن يطيع رسول الله ﷺ في كل ما قال، وعليه أن لا يجدَ في نفسه شيئا جرَّاء ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:65]، فعلى المرء أن يدرِّب نفسه على الامتثال والانقياد، فذلك علامة الحب الواضحة.

6) لقد أعطى الله ﷻ الإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر، والحقِّ والباطل، فقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد:10]، ولكن على الإنسان أن لا يعطي نفسه الحقَّ في أن يتصرف وفق ما يمليه عليه هواه، فالله تعالى لم يترك عباده هملاً، بل دلَّهم على طريق الصواب، وحثَّهم عليه، ووعدهم الأجرَ الجزيل إن هم أطاعوا، وتوعَّدهم العذاب والخسران إن هم حادوا وتنكَّبوا الطريق السويَّ، فكان بعْثُ الرسل، وإنزالُ الشرائع؛ لتقنين حياة الناس، وربطهم بخالقهم ﷻ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد:25].

7) قد وعد الله ﷻ الطائعين أجراً عظيما وثواباً جزيلاً فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[النساء:13]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء:69]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:71].

8) على الإنسان أن يعلم يقيناً أن طاعته لله تعالى لا تزيد في ملك الله تعالى شيئا، وأن معصيته لمولاه لا تُنقِص ملكَه شيئا، فالله تعالى عندما أوجب الطاعة على عباده فإنه يعلم أنَّ في ذلك صلاح دنياهم وعمارةُ أُخراهم، لكن الإنسان لا يدرك ذلك إلا عند فوات الأوان، فيندم على ما فرَّط في جنب الله ﷻ، وكذلك فإن الأنبياء عليهم السلام لا يملئون جيوبهم من طاعة الناس لهم، فالله تعالى كلَّفهم بالتبليغ وحسب، ونهاهم عن إهلاك أنفسهم حسرةً على صدود الناس واستكافهم عن طريق الحق المبين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب السادس

الآيات (33 . 54)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (33 . 41).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (42 . 47).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (48 . 54).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (33 . 41)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حكمة الله تعالى في اصطفاء بعض عباده.

المطلب الثاني: الخيرة فيما اختاره الله تعالى.

المطلب الثالث: مظاهر عناية الله تعالى بمريم عليها السلام ومستقبلها.

المطلب الرابع: الإيمان بأن الرزق بيد الله تعالى وحده.

المطلب الخامس: عدم اليأس من رحمة الله تعالى.

المطلب السادس: التنبيه على أهمية الذكر والتسبيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: حكمة الله تعالى في اصطفاء بعض عباده:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران:34].

إن في اصطفاء الله تعالى لبعض عباده حكماً كثيرةً منها ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه، فهو سبحانه يختار لعباده قدوات يقتدي بها الناس، باعتبارهم ينابيع للخير، هؤلاء هم الأنبياء عليهم السلام، قد منحهم الله تعالى العصمةَ في أفعالهم وأقوالهم، واختارهم أرفعَ الناس نسَبا، وأطهرَهم سيرةً، وأنبلَهم أخلاقاً، وأزكاهم نفوساً، هم خير من دبَّت أقدامُهم على الأرض، وهم الوسائط بين الله تعالى وعباده، كلَّفهم سبحانه بالبلاغ عنه، ووعدهم بالنصر والتمكين في الأرض، ورصد لهم أعلى الدرجات في الآخرة.

أولا: سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود نحن أبناء إبراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فنزلت هذه الآية ، يعني: إن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام.[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" لما ادَّعى نصارى وفد نجران ما ادَّعَوه في المسيح عليه السلام من تأليهه وتأليه أمه، أنزل الله تعالى هذه الآيات يبين فيها مبدأ أمر عيسى وأمه وحقيقة أمرهما، فأخبر تعالى أنه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، اصطفاهم لدينه واختارهم لعبادته، ففضَّلهم بذلك على الناس، وأخبر أنهم ذريةً بعضُهم من بعض، لم تختلف عقائدهم، ولم تتباين فضائلهم وكمالاتهم الروحية، وذلك لحفظ الله تعالى لهم وعنايته بهم ".[2]

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾: " الصفاء: خلوص الشيء من الشَّوب "، و" الاصطفاء: تناول صفو الشيء... واصْطِفاءُ اللَّهِ عبْدَه قد يكونُ بإيجادِهِ إيَّاه صافِياً عن الشَّوْبِ المَوْجودِ في غيرِهِ، وقد يكونُ باخْتِيارِهِ وحكْمِه ".[3]

---

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (374/1)، معالم التنزيل، البغوي، (28/2).

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (310/1).

(3) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (426/38، 427).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" في معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال، أحدها: أن المراد اصطفى دينهم على سائر الأديان... والثاني: اصطفاهم بالنبوة... والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم ".[1]

2) ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: " متناسلة متشعبة أو متناصرة متعاضدة في الدين "، قال قتادة[2]: " في النية والعمل، والإخلاص والتوحيد ".[3]

3) ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ " يعني أن الله تعالى سميع لأقوال العباد عليم بنياتهم، وإنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا ".[4]

رابعا: المناسبة:

يقول الإمام الفخر الرازي رحمه الله: " اعلم أنه تعالى لما بيّن أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل، بيّن علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾.[5]

خامسا: اللطائف البيانية:

قوله تعالى:﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ " المقصود بيان شدّة الاتصال بين هذه الذرية، فـ(مِن) للاتصال لا للتبعيض، أي: بين هذه الذرية اتّصالُ القرابة، فكل بعض فيها هو متّصل بالبعض الآخر "[6]، وإذا كان اتصال القرابة قويا، فإن الدين يجعل هذا الاتصال أشدَّ وأقوى.

سادسا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) لقد شرَّف الله تعالى قوماً باختيارهم ليكونوا قدوة ينصبها الناس أمام أعينهم فيهتدون بها، فـ" الذين اصطفاهم الله هم الذين عَلِم الله أزلا أنهم سيكونون طائعين "[7]، فالأنبياء عليهم السلام هم عناوين الطهر البشري، اصطفاهم الله تعالى للبلاغ عنه رسالاتِه، وجعلهم منارات هدى ومشاعلَ نورٍ يهتدي بها الناس، بدأهم بآدم عليه السلام، فهو أبو البشر، علَّمه الله تعالى

---

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (375/1).

(2) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الحافظ العلامة، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير الأكمه المفسر، ولد سنة 61هـ، ومات بواسط سنة 117 أو 118 هـ. (تذكرة الحفاظ، الحافظ الذهبي، (122/1)، رجال صحيح البخاري، الكلاباذي، 620/2).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (383/1).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (239/1).

(5) التفسير الكبير، الرازي، (20/8).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (231/3).

(7) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1427/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسماء كلَّها، وكفاه هذا شرفا، ثم جاء من بعده نوح عليه السلام، فكان شيخ المرسلين، ولاقى من قومه العنت، وظل ثابتا حتى أذن الله تعالى بالفرَج، فأغرق قومه ونجاه ومن معه من المؤمنين، ثم جاء من بعده إبراهيم عليه السلام، فكان رأس الموحدين في زمانه، واشتدَّت به البلوى، فألقاه قومه في النار فلم تضُرَّه، وجاء من نسله الأنبياء عليهم السلام فكان أباً للأنبياء، وبعد رَدْح من الزمن خلق الله تعالى عيسى عليه السلام من أمٍّ بلا أب فكان آيةً للعالمين، وجعله الله نبيا إلى بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، فآمن به قوم، وكفر به آخرون، وذكره الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، ثم رفعه الله تعالى إليه، وينزل في آخر الزمان فيقتل الدجال ثم يموت عليه السلام، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:90].

وهذا التسلسل فيه " إشارة إلى أن الخليقة لم تَخْلُ من هاد يهديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم؛ فقد ابتدأت الهداية بأبي الإنسانية آدم كما قال تعالى:﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:122]، فهو أول خليفة، وأول هاد للإنسانية بمقتضى أبوته، وبمقتضى اجتباء الله تعالى له، وقد حكم بأنه هداه، واهتدى به بنوه من بعده ".[1]

2) " بين الله سبحانه بعد ذلك تسلسل هذه الصفوة المختارة بعضِها من بعض فقال:﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ ... ومعنى النص الكريم أن أولئك المصطفَين الأخيار بعضهم ذرية من بعض، فهم متصلو النسب بسلسلة لَا تنقطع، فنوح من ذرية آدم، وآلُ إبراهيم من ذرية نوح، وآل عمران من ذرية آل إبراهيم، وهكذا، فهي سلسلة متصل بعضها ببعض في النسب والهداية، ويترتب على أن بعضهم من بعض أن تتشابه صفاتهم في الخير والفضيلة ما داموا جميعا مصطفَين، وما داموا جميعا من سلسلة ونسبة واحدة ".[2]

3) الاصطفاء ليس مقصورا على الأنبياء، بل إنه يمتد إلى غيرهم، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى هاشما من قريش، واصطفاني من بني هاشم).**[3]

4) الاصطفاء ليس مقصوراً على البشر فقط، فإن الله تعالى اصطفى جبريل عليه السلام على الملائكة، وجعله واسطة بينه وبين أنبيائه الكرام، فكان أمينا على الوحي، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:75].

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1194/3).

(2) المصدر السابق، (1194/3، 1195).

(3) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، (583/5)، حديث رقم 3606، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الخيرة فيما اختاره الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:35- 36].

يُعتبر رضا العبد بما قسمه الله تعالى له من العلامات الدالَّة على صدق الإيمان، والرضا عن الله وبما يختاره الله تعالى للعبد منزلة سامية، يحتاج العبد للحصول عليها إلى جرعات كافية من الإيمان العميق الذي يسمو بصاحبه إلى أعلى الدرجات، ويوصله إلى منازل السعداء.

أولا: القراءات:

قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر (وضعتُ) بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون (وضعَتْ) بفتح العين وإسكان التاء.[1] قال الإمام ابن عاشور رحمه الله: " قرأ الجمهور: وضعَتْ بسكون التاء فيكون الضمير راجعاً إلى امرأة عِمران، وهو حينئذ من كلام الله تعالى وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أنّ اللَّه أعلمُ منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألْته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها، وتعليمٌ بأنّ من فوّض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقّب تدبيره، وقرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم ، ويعقوب : بضم التاء، على أنها ضمير المتكلمة امرأةِ عمران فتكون الجملة من كلامها المحكي، وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة فيكون قرينة لفظية على أنّ الخبر مستعمل في التحسر ".[2]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" اذكر أيها النبي حال امرأة عمران إذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصاً لعبادة الله وخدمة بيته قائلة: يا رب، إني نذرت ما في بطني خالصاً لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك، إنك السميع لكل قول، العليم بكل حال، فلما وضعت حملها قالت معتذرة تناجى ربها: إنى وَلَدت أُنثى والله عليم بما ولدت، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذَّكَر، وقالت: إني سميتها مريم وإنِّي أسألك أن تحصِّنها هي وذريتها من غواية الشيطان الرجيم ".[3]

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (239/2).

(2) التحرير والتنوير، (233/3).

(3) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (92/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿مُحَرَّرًا﴾ : " عتيقاً خالصاً لله خادماً للكنيسة، والمراد هنا: الحرية التي هي ضد العبودية. وقيل: المراد بالمحرر هنا: الخالص لله سبحانه، الذي لا يشوبه شيء من أمر الدنيا ".[1]

2) ﴿أُعِيذُهَا﴾ : " أجيرها بحفظك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: المطرود لمخالفتك، فلا تجعل عليها وعلى ذريتها له سلطاناً يكون سببا لطردهما ".[2]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) كانت امرأة عمران قد شاخت ولم تلد، وكانت تتمنى أن تلد، ونذرت لله تعالى أنها إن ولدت فإنها ستحرره ويكون خادما للكنيسة، وكانت تؤمِّل ذكراً، ولكن المولود جاء أنثى، فتحسَّرت وتحزَّنت لمَّا علمت أنَّ ذلك سيفوتها، لكنّها سلَّمت ورضيت بما قدَّره الله تعالى لها، فكان ذلك علامة إيمانها، ودَعَتْ لابنتها ولذرِّيَّتها من بعدُ بالحفظ والوقاية من الشيطان الرجيم، فكان الجزاء أن تقبَّل الله تعالى منها ما وهبتْه، وجعلها– أي مريم– وابنها آية للعالمين؛ ولذلك جاء في الآية بعدها: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران:37]، " فالحسن هنا هو زيادة في الرضا؛ لأن كلمة (قَبول) تعطينا معنى الأخذ بالرضا ، وكلمة (حَسَن) توضح أن هناك زيادة في الرضا، وذلك مما يدل على أنَّ الله قد أخذ ما قدمته امرأة عمران بِرِضا، وبشيء حسن، وهذا دليل على أن الناس ستلمح في تربيتها شيئا فوق الرضا ".[3]

2) إنَّ ما حصل من امرأة عمران من الرضا بما اختاره الله تعالى لها أمر عظيم وذو شأن خطير؛ ذلك لأن الأمر متعلِّق بالإيمان بشكل مباشر، ففي مثل هذه الأحوال يتضجَّر الناس، ويَشْكُون خالقَهم ﷻ إلى المخلوقين الضعفاء أمثالهم، لكن الإيمان بأن ما يختاره الله تعالى للعبد يريح قلبه وعقله من التفكير في العواقب، فالله تعالى لا يختار لعبده إلا الخير، وإن بَدَا للعبد أنه شر، لكنَّ الله تعالى هو من يعلم ما يصلِح عباده وما ينفعهم.

3) إن الراحة التي يشعر بها المسلم عندما يرضى عن الله تعالى وأقداره يجب أن تدفعه إلى الطاعة قُدُما، فبَعْد الإيمان يأتي العمل، فالمؤمن لا اختيار له في الطاعة، فإنه قد آمَنَ ابتداءً، وعليه الآن أن يعمل بمقتضى إيمانه وهو الطاعة والإذعان، فإنه " لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (384/1).

(2) محاسن التأويل، القاسمي، (312/2).

(3) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1435/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ أي: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد ".[1]

4) إذا أراد المتأمِّل قياساً على الواقع فإنه يجد من يقوم على أمر المسلمين قد انحرف عن هذه الجادَّة، بل لم يكتَفِ بذلك حتى عارض ما شرعه الله تعالى بما سنَّ لنفسه من قوانينَ خرقاءَ جامدةٍ، أو استدعى مَن يضع له هذه القوانين مِن الغرب الكافر أو الشرق الملحد، ويجدون في كل فترة خروقا عميقة في قوانينهم تلك، فهذه الصورة وما يشابهها تمثل اعتداءً صارخا على حقِّ الله تعالى في التشريع، وهذا يُعدُّ تجافياً عمَّا أنزل الله تعالى من كتاب، ولو أنهم اهتدَوا بما جاء به النبي ﷺ، لسَلِموا وسَلِمت شعوبهم مما تعانيه، ولكنهم لمَّا جاروا على الحق ونَحَّوْه جانبا، سلَّط الله تعالى عليهم عدُوًّا من أنفسهم ومن غيرهم، يعبث بهم، وينتهك حرماتِهم وبلادَهم، وهم لا يجدون في ذلك غَضَاضَةً، إذ إنهم لم يغاروا على دينهم، فكيف يغارون على أنفسهم؟، وهذه سُنَّةُ الله تعالى، فإنه سبحانه قد جرت سُنَّتُه أن يُذِلَّ من عصاه.

المطلب الثالث: مظاهر عناية الله تعالى بمريم عليها السلام ومستقبلها:

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:37].

كانت أمُّ مريم امرأة صالحة، حيث دَعَتِ الله تعالى أنْ يعيذَ ابنتها مريم من الشيطان الرجيم، فتقبَّل الله تعالى نذرها، وأعطاها سؤلها، وفي صلاح مريم عليها السلام دليل على أنَّ صلاح الأبناء من صلاح الآباء.

أولا: القراءات:

قرأ الكوفيون (وكفَّلها) بتشديد الفاء، وقرأ الباقون (وكَفلها) بتخفيفها[2]، وقرأ الكوفيون " وكفَّلها" بالتشديد، فهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير وكفَّلها ربُّها زكريا، أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له... وخففه الباقون على إسناد الفعل إلى زكريا، فأخبر الله تعالى أنه هو الذي تولى كفالتها والقيام بها، بدلالة قوله:﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:44]، وقد جمع مكي بن أبي طالب[3] رحمه الله بين القراءتين فقال: " وهو الاختيار؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف،

---

(1) جامع البيان، الطبري، (271/20).

(2) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (239/2).

(3) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد، القيسي، النحوي، المقرئ، صاحب الإعراب، ولد في شعبان سنة 355هـ، وأصله من القيروان، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية ، مات في المحرم سنة 437هـ، (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، 298/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن الله تعالى إذا كفلها زكريا كفلها بأمر الله، ولأن زكريا إذا كفلها فعن مشيئة الله وقدرته ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

قال تعالى: " ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها؛ لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها، فكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فضلا وإحسانا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: من غير حسبان من العبد ولا كسب ".[2]

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿ فَتَقَبَّلَهَا﴾: " التقبُّل: أخذ الشيء على وجه الرضا، أي: تقبل مني نذري بما في بطني ".[3]

2) ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾" أي: جعل نشوءَها نشوءًا حسناً ".[4]

3) ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾: قال مجاهد رحمه الله: " ساهمهم بقلمه "، وقال قتادة: " تساهموا على مريم أيهم يكفلها ".[5]

4) ﴿الْمِحْرَابَ﴾: صدر المجلس، والجمع محاريب، ومِحْرابُ المَسْجِد صَدْرُه وأَشْرَفُ موضع فيه، والمِحْرابُ الغرفة.[6]

5) " ﴿أَنَّى﴾: تكون بمعنى: كيف، كقوله تعالى: ﴿يَمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ تأويله: من أين لك هذا، وقد يجازى بها، وتكون بمعنى: من أين نحو قوله تعالى:﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام:101]، والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما للآخر ".[7]

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (106/5).

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص129.

(3) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان القنوجي، (222/2).

(4) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (402/1).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (639/1).

(6) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (39/2)، مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص69، لسان العرب، ابن منظور، (302/1).

(7) حروف المعاني، الزجاج، (61/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: اللطائف البيانية:

1) الباء في قوله تعالى: ﴿بِقَبُولٍ﴾: " للتأكيد... وهذا إظهار للعناية بها في هذا القبول ".[1]

2) ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ " قيل: هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها "[2]، أو هو استعارة، حيث " شبه تربيتها الصالحة ونموها بالزرع الذي ينمو شيئا فشيئا... بحذف المشبه والإتيان بشيء من لوازمه "، وهو النمو.[3]

3) " التنكير في قوله: ﴿رِزْقًا﴾ لإفادة الشيوع والكثرة، وأنه ليس من جنس واحد بل من أجناس كثيرة ".[4]

4) " التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا اللّه "[5]، وهذه من قبيل الإشارة.

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) عندما يريد الله ﷻ أن يكون لإنسان ما شأنٌ كبير، فإنه سبحانه يُنشِئ هذا الإنسان تنشئةً خاصة تؤهِّلُه لِما هو آت، وهذه سُنَّة الله تعالى في الصالحين أن يهيئَ الله تعالى لهم الأسباب ليصنعهم على عينه، فمريم عليها السلام قد هُيِّأت لها أسباب كثيرة أهَّلتها لتكون حاضنةً –فيما بعدُ– للمعجزة العظيمة وهي ولادة عيسى عليه السلام.

2) لقد هيَّأ الله تعالى لتربية مريم عليها السلام عِدَّةَ أسباب، " حيث بلّغها فوق ما تمنّت أمها، ويقال: تقبّلها بقَبول حسن حتى أفردها لطاعته، وتولّاها بما تولّى به أولياءه، حتى أفضى جميع من في عصرها العجب من حسن توليه أمرها، وإن كانت بنتا ".[6]

وقد عظَّم الله تعالى أمرَها عند ولادتها فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾" أي: واللهُ أعلمُ بالشيء الذي وضعت وما علق به من عزائم الأمور "[7]، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ استجاب الله تعالى دعاء أمِّها فأَجَارها من الشيطان الرجيم وكيده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **(ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان**

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (235/3).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (505/1).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (210/3).

(4) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (502/1).

(5) المصدر السابق (502/1).

(6) لطائف الإشارات، القشيري، (237/1).

(7) مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، (228/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إياه، إلا مريم وابنها)، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[آل عمران: 36][1]، وأخبر الله تعالى أنه تقبَّلها بقَبول حسن، أي: " وَلَيْسَ الذَّكَرُ الذي طلبت كالأنثى التي وضعت، بل هذه الأنثى خير مما كنت ترغَبينَه من الذكور "[2]، وقد أنشأها الله إنشاءً صالحاً، فـ" جعلها شَكْلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويَسَّر لها أسباب القَبول، وقَرَنَها بالصالحين من عباده، تتعلَّمُ منهم الخير والعلم والدين "[3]، وقيل في معنى الإنبات أنه تعالى " سَوَّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد "[4]، و" من أمارات القَبول الحسن أنها لم تكن توجد إلا في المحراب، ومن كان مسكنه وموضعه الذي يتعبّد فيه وهناك يوجد المحراب فذلك عبد عزيز ".[5]

3) لقد " أنشأها الله تعالى برعايته ومحبته، وحَصَّنها، وكانت حالها كالنبات يُنْبِتُه ربُّ العالمين فينمو يوما بعد يوم حتى يستوي على سوقه، فكذلك كان مع مريم: تولى رعايتها من المهد، وغَذَّاها بغذاء من الروح، فبَعُدَتْ عن كل شر، وغذاها ونمَّاها جسميا، فجعل لها رزقا مستمرا يأتيها من حيث لَا تحتسب، ولا يحتسب كافلها، أما التنشئة الروحية التهذيبية فقد كانت بأن نشأت في بيت العبادة، وإن كان الكافل لها نبيا من الأنبياء، وأما الثاني فبالرزق المستمر ".[6]

وجعل الله تعالى زكريا عليه السلام لها كافلاً، و" قدَّر الله كوْن زكريا كافلَها لسعادتها؛ لتقتبس منه علما جما نافعًا وعملا صالحًا ".[7]

4) لقد كان الرزق يُساقُ إلى مريم عليها السلام بدون كَدٍّ ولا تعب، فكانت تأتيها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، حتى أخذ العجب من زكريا عليه السلام مأخذَه، فسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فأجابته: ﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾" ثم أكدت ذلك بما يزيل العجب، فقالت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي أنَّ رزق الله كثيرٌ غيرُ محدودٍ بِحَدٍّ، ولا مقدَّرٌ بقدْر؛ ولذا لَا يَحُدُّه الحساب، ولا تجري عليه الأعداد التي تنتهي، ويصح أن تكون هذه الجملة السامية

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، (34/6)، حديث رقم 4548.

(2) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، (227/1).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (52/3).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (104/5).

(5) لطائف الإشارات، القشيري، (238/1).

(6) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1200/3).

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (52/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من كلام الله تعالى لتقرير ما قالت، وبيان أن الله أجرى عليها الرزق لينموَ جسمُها مع نمو روحها، ويتمَّ لها الإنبات الحسن في الجسم والروح معا، والله ﷻ على كل شيء قدير ".[1]

5) لقد خلا القرآن الكريم من اسم امرأة إلا من مريم عليها السلام، فقد وصفها الله تعالى بالصِّدِّيقة فقال:﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:75]، وأخبر بأنه جعلها وابنها آية للعالمين فقال: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:91]، وقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:12]، " المعنى أنها كانت سليلة قوم صالحين، أي فجاءت على طريقة أصولها في الخير والعفاف ".[2]

وورد في السنة المطهرة طرفٌ من فضائل مريم الصديقة عليها السلام، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال النبي ﷺ: **(فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون).**[3]

فحريٌّ بنساء المسلمين ومن قبلُ رجالُهم أن يتَّخذوا من صفات مريم عليها السلام منهجا يسيرون به في حياتهم لعلَّهم يفوزون كما فازت، ويتعرَّضون لرحمات الله تعالى ونفحاته كما كانت.

المطلب الرابع: الإيمان بأن الرزق بيد الله تعالى وحده:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37].

أولا: المعنى الإجمالي:

" إن اللّه تعالى يرزق من يشاء أن يرزقه رزقا واسعا عظيما لا يَحُدُّه حد، ولا تجري عليه الأعداد التي تنتهي، فهو سبحانه لا يحاسبه محاسب، ولا تنقص خزائنه من أي عطاء مهما كثر وعظم ".[4]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من النص الكريم:

1) لقد كان قلب مريم عليها السلام عامراً بالإيمان، فكان غضاً طريًّا يؤتي أُكُلَه كلَّ حين، فكان من كرامتها على الله تعالى أن يأتيها الرزق عندها بلا تكلُّفٍ ولا تعب، " ووجود الرزق الكثير عند

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1201/3).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (378/28).

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، (164/4)، حديث رقم 3433.

(4) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (92/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مريم مما ليس كالعادة دليل على كرامات الأولياء ".[1]

وهذه العبارة " تجعل كل إنسان يَلْزم أدبَه إنْ رأى غيره قد رُزق أكثرَ منه؛ لأنه لا يعلم حكمة الله فيها ".[2]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ " إيضاح عن عين التوحيد، وأن رزقه للعباد وإحسانه إليهم بمقتضى مشيئته دون أن يكون معلّلا بطاعاتهم ووسيلة عباداتهم "[3]، فالله ﷻ يرزق المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، والرزق قد يكون حلالاً، وقد يكون حراماً، وقد يكون مباركاً، وقد تُنزع بركتُه.

2) قد يرزق الله عباده بأسباب وبلا أسباب، وليس معنى هذا أن يركَنَ الإنسان ولا يعمل، وينتظرَ الرزق أن يأتيَه إلى بيته، فهذا هو التواكل، وهو عجزٌ عن القيام بالأعمال، وانحطاط في الهمة والإرادة، وهو إساءة لفهم فلسفة الحياة، كما أنه إساءة لإدراك مفهوم التوكل والأخذ بالأسباب؛ لأن الله تعالى خلق هذه الدنيا وهيَّأ فيها أسباب العيش، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:15]، فالأسباب لم يخلقها الله تعالى عبثاً، ولو أن مؤمنا وكافراً خاضا البحر لأنجى الله تعالى من علِم السباحة.

3) الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، بل يسير معه جنبا إلى جنب، فالإنسان يأخذ بالسبب حتى يُعذِر إلى ربه ﷻ، وقد يفارق السببُ عندما تكون طلاقةُ القدرة حاضرةً، فيرتفع السببُ ولا يكون له مكان، والشواهد على ذلك كثيرة، فولادة إسماعيل ويحيى عليهما السلام جاءت بعد أن انقضى من العمر أطيبُه، وجاوزت أمهاتُهم سِنَّ اليأس، وولادة عيسى عليه السلام كانت معجزة عظمى، حيث انتفى السبب وهو النكاح، ورزق مريم عليها السلام كذلك، حيث انتفى السبب وهو السعْي في طلبه، ويدخل في هذا الباب معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، والقصد هنا أن يملأ اليقينُ القلبَ بأن الرزق مكتوب كالأجل، لا يتأخر أحدهما عن الآخر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حَلَّ ودَعُوا ما حَرُم)**.[4]

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (215/3).

(2) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (901/2).

(3) لطائف الإشارات، القشيري، (239/1).

(4) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، (725/1)، حديث رقم 2144، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) على المسلم أن يحملَه اليقين في الرزق على أن يقنع بما آتاه الله تعالى من فضله، ولا يدفعه التمكُّن من الأسباب أن يتكالب على الدنيا، بل الواجب عليه أن يتحلَّى بخلق القناعة والرضا؛ فيكون بذلك قدوةً للناس، كما كان الصالحون، إذ لم تُلْهِهِم النعمة عن المنعم ﷻ، وعلى الإنسان القيام بواجب الشكر لربه تعالى بعد اكتساب الرزق سواء بسبب وبدون سبب، فقد قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:7]، فالشكر ضمان لاستمرار النعمة ودوامها، وكفر النعمة مُؤْذِنٌ بزوالها.

المطلب الخامس: عدم اليأس من رحمة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران:38– 40].

الإنسان بفطرته يعيش على الأمل، وآمالُه تكبُر معه وتزداد ولا تنقص، وهذا ما يفتح أمامه الأبواب ليعيش حياته مطمئنا، والإسلام يفتح أبواب الأمل أمام الناس ولا يغلقها، بل يقف في وجه كل من يحاول أن يقطع من حياة الناس الرجاء.

أولا: المعنى الإجمالي:

" دعا زكريا عليه السلام أن يرزقه اللّه ولدا صالحا، مثل مريم، من ولد يعقوب عليه السلام، قائلا: يا رب أعطني من عندك أولادا طيبين، لأنهم فرحة العين، ومجلى القلب، إنك سميع قول كل قائل، مجيب دعوة كل دعاء صالح، فخاطبته الملائكة شفاها، والمخاطب: هو جبريل عليه السلام، وذلك أثناء قيامه للصلاة، يدعو اللّه، ويصلي في المحراب، وقالت له: إن اللّه يبشرك بغلام اسمه يحيى، مصدقا بعيسى الذي ولد ونشأ بكلمة اللّه: (كن) لا بالطريقة المعتادة من الولادة من أب وأم. ويكون سيد قومه، وزاهدا مانع نفسه من الشهوات، ونبيا يوحى إليه... والمانع نفسه من شهواتها، وهو نبي صالح يوحى إليه، وهذه بشارة أخرى بنبوة يحيى، بعد البشارة بولادته.

تعجب زكريا عليه السلام من هاتين البشارتين، فقال: كيف يكون لي غلام، وقد أصبحت كبير السن، وامرأتي عقيم لا تلد، فأجابته الملائكة: كذلك اللّه يفعل ما يشاء، أي مثل ذلك الخلق غير المعتاد الحاصل مع امرأة عمران، يفعل اللّه ما يشاء في الكون ".[1]

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (192/1، 193).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: معاني المفردات:

﴿هُنَالِكَ﴾ : " هنالك: يقع على الزمان والمكان، وإن كان المكان أملَكُ له، يقال: هنا، وهناك، وهنالك، كقولك: ذا، وذاك، وذلك ".[1]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من النص الكريم:

1) لقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعله مجبولا على حب البقاء والمال والولد، فالإنسان بطبعه يكره الموت، ويميل إلى الراحة في حياته، وهو بطبعه كذلك مُحِبٌّ أن يكون له ذرِّيَّة تحمل اسمه، وتقف بجواره، فيعتضد بها، وتكون له من ورائه ظهيراً.

كان الحديث في المقطع السابق حواراً بين زكريا ومريم عليهما السلام، إذ إن زكريا عليه السلام رأى الكرامة التي حظيت بها مريم عليها السلام، فتاقَتْ نفسه إلى الولد، " والحكمةُ ضالة المؤمن، وأهلُ النفوس الزكية يعتبرون بما يرون ويسمعون، فلذلك عَمَدَ إلى الدعاء بطلب الولد في غير إبَّانه، وقد كان في حَسرة من عدم الولد كما حكى الله عنه في سورة مريم. وأيضاً فقد كان حينئذ في مكان شَهد فيه فيضا إلٰهياً، ولم يزلْ أهلُ الخير يتوخَّون الأمْكنة بما حدث فيها من خير، والأزمنة الصالحة كذلك، وما هي إلاّ كالذوات الصالحة في أنها محالّ تجلّيات رضا الله ".[2]

2) لم يمنع الكِبَرُ زكريا عليه السلام أن يدعوَ بالولد، فهو يسأل الوهاب جل جلاله، والله تعالى لا يعجزه شيء، وهذا ما يحمل الإنسان على الأمل العريض في الله تعالى، وفي دعاء زكريا عليه السلام ربَّه تعليمٌ لمن بعدَه ألَّا يستبدَّ بهم اليأس، وألَّا تنتابهم نوبات الإحباط حينا بعد حين، وقد نبَّهنا القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، فعندما فقد يعقوبُ عليه السلام ابنَه يوسفَ عليه السلام أرسل بَنِيْه ليبحثوا عن أخيهم وقال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:87]، فنهاهم عن اليأس، وحكم على اليائسين من رحمة الله تعالى بالكفر.

3) قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزُّمَر:53]، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: " واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين

---

(1) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهانى (535/2).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (238/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من باب الأولى ... ثم لم يكتف بما أخبر عباده من مغفرة كل ذنب، بل أكَّد ذلك بقوله:﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا إنه هو الغفور الرحيم. أي: كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز، والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه من قوله: **(يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا)**[1] ".[2]

عن أبي هريرة ﷺ قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال: **(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)**، فأتاه جبريل فقال: إن الله يقول لك: لم تُقنِّط عبادي؟ قال: فرجع إليهم فقال: **(سدِّدوا وقاربوا وأبشروا)**.[3]

4) ولقد كان من منهج النبي ﷺ تبشير المؤمنين في العاجلة بالتمكين والظهور، وفي الأخرى بالأجر والمثوبة، والأحاديث في ذلك كثيرة، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ، وَالنَّصْرِ، وَالرِّفْعَةِ فِي الدِّينِ)**.[4]

المطلب السادس: التنبيه على أهمية الذكر والتسبيح:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [آل عمران: 41].

القلوب أوعية، يملؤها صاحبها بما يشاء، فإن شاء إفسادها أفسدها، وإن شاء إصلاحها أصلحها، ولا شيءَ يصلح القلب مثلُ ذكر الله ﷻ، فالذكر والتسبيح جلاء القلب وحياتُه.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان رسول الله ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (25/1) حديث رقم 69.

(2) فتح القدير، (558/4، 559).

(3) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب العلم، باب ذكر البيان بأن على العالم أن لا يقنط عباد الله عن رحمة الله، (319/1)، حديث رقم 113، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(4) مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب، (148/35)، حديث رقم 21224، قال المحقق: حديث صحيح، والسَّناء: بالمَدِّ ارتفاع المنزلة والقدر. (فيض القدير، المناوي، 262/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: المعنى الإجمالي:

قال زكريا عليه السلام: " اجعل لي عبادة أتعجل بها شكرك ويكون إتمامها علامة على حصول المقصود، فأمره ألا يكلم الناس ثلاثة أيام بل يشغل نفسه بالعبادة والتسبيح طول الوقت خصوصا في الصباح والمساء والعشيّ والإبكار ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿وَٱذۡكُر﴾: "(ذَكَرَ) الشيءَ ذِكْرا وذُكْرا وذكرى وتذكارا: حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه ".[2]

2) ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: " التَّسْبِيحُ التنزيه، وسُبْحَانَ الله معناه التنزيه لله ".[3]

"والعَشِيُّ: آخر النَّهار"[4]، "والإبكار فعلٌ يدل على الوقت وهو البُكرة"[5]، و" الْعَشِيُّ: الوقت من الزوال إلى الليل، وَالْإِبْكارِ من طلوع الفجر إلى الضحى، فشمل قوله:﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: أواخرَ النهار وأوائلَه"[6]، " قيل: والمراد بالتسبيح الصلاة، بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى :﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴾[الروم:17]، وقيل: الذكر اللساني ".[7]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) عندما بُشِّر زكريا عليه السلام بالولد، أراد أن يقارِنَ الشكرُ نعمةَ الله تعالى عليه من ابتدائها، فكانت المعجزة بإمساك لسانه عن كلام الناس، وأُمِر بأنْ يذكر ربَّه ذكراً كثيراً، وأن يسبِّحَه أوائل النهار وأواخره.

2) " لقد أراد زكريا أن يعيش من أول لحظة مع نعمة المنعم شكرا، وجعل كل وقته ذكرا، فلم ينشغل بالناس أو بكلام الناس، وذكر الرب كثيرا هو ما علمه سبحانه عن زكريا عندما طلب الآية ليصحبها دائما بشكر الله عليها، إنَّ قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾تفيد أن زكريا قادر على الذكر وغير قادر على كلام الناس، لذلك لا يريد الله أن يشغله بكلام الناس، وكأن الله يريد أن

---

(1) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (230/1).

(2) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ص313.

(3) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص326.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (263/4).

(5) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص73.

(6) التفسير المنير، الزحيلي، (217/3).

(7) روح المعاني، الألوسي، (152/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول له: ما دمت قد أردت أن تعيش مع النعمة شكرا فسأجعلك غير قادر على الكلام مع الناس لكنك قادر على الذكر ".[1]

3) والذكر عبادة لسانية وقلبية، وهي في الوقت نفسه تستغرق الجسد كلَّه، فإذا حصل انسجام اللسان والقلب آتى الذكرُ أُكُلَه، وظهرت آثاره على العبد، وهو من علامات حب العبد لربِّه ﷻ، فالمُحِبُّ كثير اللَّهَج بذكر من يُحِب، فهو يشعر بجلاء قلبه ونقائه من أدران الدنيا وأسقام النفوس، وهذا الشعور يجعله يترفَّع عن دنيا الناس، فقد تعلَّق قلبه بخالقه العظيم، والناس في ذهول عمَّا هو فيه، فهو لا يخالطهم كثيرا، فقد استغنى بالله تعالى عنهم، وكفاه ذلك غَناءً.

4) لما كان عمل القلب أعظمَ من عمل الجوارح كان الذكر أعظمَ العبادات لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:45]، وما هذه العظمة لتلك العبادة إلا لأنها تعبِّر عن صدق العبد في ولائه لله تعالى، وكونها عبادة الملائكة، فالله تعالى قد اصطفى لملائكته قول: سبحان الله وبحمده[2]، ورُغم أنه أعظم العبادات إلا أنَّه أسهلها، فهو لا يكلِّف الإنسان شيئا، بل يجعله سليم القلب صحيح البدن، وهو يعبِّر عن ولاء العبد المؤمن لسيِّده ومولاه، وهذا ما يجعله في حالة إخبات وخشوع لا تنقطع؛ لأنه يشعر برقابة الله تعالى عليه في كل أحواله.

5) " الذكر معناه أن يستحضر الإنسان عظمة ربه، وينطق بها لسانه، والتسبيح معناه التنزيه المطلق لله ﷻ "[3]؛ ولهذا كان الأمر بالإكثار منه دون سائر العبادات، فقد جاء في آيات كثيرة الأمرُ بالإكثار من ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:41، 42]، وقال تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة:10].

6) ذكر الله تعالى عنوان الفلاح وسبيل الثبات، وهو عُدَّة المجاهد في المعركة، فقد جاء في سياق الحديث عن غزوة بدر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال:45]، وهو حياة القلب ووظيفته الأساسية، وسبيل اتِّصاله بالله ﷻ، ولأنَّ الإنسان من طبعه الغفلة والنسيان كانت الأجورُ مضاعفةً لمن اتَّخذ الذكر ديدناً وسبيلاً، فالناس

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1448/3).

(2) هذا الجزء من حديث أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: (ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل سبحان الله وبحمده، (85/8)، حديث رقم 7101.

(3) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1211/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في أسواقهم مغمورون بالغفلة، فكان أجر دعاء دخول السوق عظيما، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)**.[1]

7) خير الأعمال وأعظمها أجراً عند الله تعالى الذكرُ، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلْقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟)، قالوا: بلى، قال: (ذكر الله تعالى)**.[2]

8) الأحاديث الدَّالة على شرف هذه العبادة كثيرة ومنثورة في مظانِّها، وأكتفي هنا بحديثين اثنين، الأول: عن عبد الله بن بسر ﷺ: أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ، قَالَ: **(لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله)**.[3]

الثاني: عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)**.[4]

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، (752/1)، حديث رقم 2235، قال الألباني: حسن.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، (459/5)، حديث رقم 3377، قال الألباني: صحيح.

(3) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، (458/5)، حديث رقم 3375، قال الألباني: صحيح.

(4) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب 59، (510/5)، حديث رقم 3462، قال الألباني: حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (42 . 47)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنبيه إلى مكانة مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: التنبيه إلى أهمية العبادة ومكانتها.

المطلب الثالث: بيان معجزة خلق عيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: الرد على النصارى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التنبيه إلى مكانة مريم عليها السلام:

قال الله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:42].

في ذكر مريم عليها السلام في القرآن العظيم دلالة على تكريمها ومكانتها عند الله تعالى، كيف وقد اصطفاها الله تعالى على نساء العالمين، فهذا شرف وأيُّ شرف، وهو نعمة يمتَنُّ الله بها على من يشاء من عباده.

أولا: المعنى الإجمالي:

" عدّ اللّه مريم من أصحاب النفوس الطيبة الطاهرة التي إذا أُكرِمت بالغت في الطاعة، وإذا مُدِحتْ استماتت في العمل والاجتهاد، فقالت الملائكة: يا مريم إن اللّه اختارك خالصة لخدمة البيت وسدانته، وقَبِلَك، وما كان يصلح لهذا إلا الرجال، ولكنَّه طهَّرك من كل دنس ورجس وعيب يمنع من المكث في المسجد، واصطفاك على نساء العالمين بولادة عيسى ابن مريم ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1)﴿اصْطَفَاكِ﴾: "الصَّفاءُ خُلوصُ الشيءِ من الشَّوب"[2]، "وصفوة الشيء خالصه".[3] "والاصطفاءُ: الاختيارُ، افتعال من صَفْوةِ الشيء وهي خِيارُه ".[4]

2)﴿وَطَهَّرَكِ﴾: "جعلك طاهرة من سائر الأدناس "[5]، أو "طهَّر دينك من الريب والشكوك ".[6]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) " ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾:المراد جبريل، على سبيل المجاز المرسل من إطلاق الكل، وإرادة البعض".[7]

2) " تكرر الفعل: ﴿اصْطَفَاكِ﴾ لأنّ الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي، وهو جعلها منزّهة زكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير "[8]، قال الزمخشري:" ﴿اصْطَفَاكِ﴾ أولا حين تقبلك من أمك

---

(1) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (230/1).

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (426/38).

(3) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ص 375.

(4) الدر المصون، السمين الحلبي، (123/2).

(5) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (410/1).

(6) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (1010/2).

(7) التفسير المنير، الزحيلي، (223/3).

(8) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (244/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورباك واختصك بالكرامة السَّنِيَّة ... ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخرا ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء ".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) كان الحديث في آيات سبقتْ عن ولادة مريم عليها السلام، وفي هذه الآية وما بعدها حديث شائق عن مكانة مريم عليها السلام واصطفائها، فقد فرَّغها الله تعالى لعبادته وأغناها عن الكسب، وجعلها أمًّا لعيسى وآية له.[2]

2) " إن الذي يصطفيه الله إنما يصطفيه لمهمة، وتكون مهمة صعبة، إذن هو يصطفيه حتى يشيع اصطفاؤه في الناس، كأن الله قد خصه بالاصطفاء من أجل الناس ومصلحتهم، سواء أكان هذا الاصطفاء لمكان أم لإنسان أم لزمان ليشيع صفاؤه في كل ما اصطُفِيَ عليه ".[3]

3) لقد خص الله مريم بما لم يؤته أحدا من النساء، وذلك أن روح القدس كلَّمها، وظهر لها، ونفخ في درعها، ودنا منها للنفخة، فليس هذا لأحد من النساء، وصدقت بكلمات ربها.[4]

المطلب الثاني: التنبيه إلى أهمية العبادة ومكانتها:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران:43].

العبادة حبْلٌ بين العبد وربه، فهي حياة القلب الحقيقية، وهي سبيل النجاة والخلاص، متى استمسك العبد بها منحتْه قوة في عقله وقلبه وبدنه، وهي فطرة في المخلوقات، فلقد خلق الله تعالى الإنسانَ، وفَطَرَه على حُب العبادة، فالإنسان مجبولٌ على التوجُّه إلى جهة عليا، يعتقد فيها الكمال والقوة والعلو والعظمة، وهو في هذا الشعور يَحُسُّ بالضَّعف والفاقة وشدة الحاجة إلى من يؤيِّده ويرعاه.

أولا: المعنى الإجمالي:

" يا مريم أخلصي عبادةَ ربك لوجهه خالصًا، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه، شكرًا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتَّطهير من الأدناس، والتفضيل على نساء عالم دَهرك ".[5]

---

(1) الكشاف، (557/1).

(2) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، (551/2).

(3) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1454/3).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (128/5).

(5) جامع البيان، الطبري، (404/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿اقْنُتِي﴾: تدور معاني القنوت حول طول القيام في الصلاة، وطاعة لله تعالى وعبادته والإخلاص له.[1]

2) ﴿وَاسْجُدِي﴾: " السُّجُودُ لله تعالى في الشرع عبارة عن هيئة مخصوصةٍ "[2]، ويكون بانحناء الإنسان إلى الأرض على سبعة أعْظُم، وهي الجبهة والأنف، والكفَّان، والرُّكبتان، وأصابع القدمين.

3) ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: أي: "مع المصلِّين مع قرَّاء بيت المقدس"[3]،"وقوله: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ إذْنٌ لها بالصلاة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء إسرائيل إظهاراً لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء، ولذلك جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير ".[4]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) ﴿يَا مَرْيَمُ﴾: " تكرير النداء للإيذان بأن المقصود بالخطاب ما يَرِد بعده، وأنَّ ما قبله من تذكير النعم كان تمهيداً لذكره وترغيباً في العمل بموجبه ".[5]

2) تقديم السجود على الركوع؛ " لأنّه أَدْخَلُ في الشكر، والمقَام هنا مقامُ شكر ".[6]

3) الترتيب في القنوت والسجود والركوع ليس قصده هنا بيان الرتبة، بل هو كما قال الإمام ابن عطية الأندلسي[7] رحمه الله: " القول عندي في ذلك أن مريم أمرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخُصَّا بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة وإذا العبد يقرب في وقت سجوده من الله تعالى... ولم يرد بالآية السجود والركوع الذي هو منتظم في ركعة واحدة والله أعلم ".[8]

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (402/6، 403)، وانظر معنى القنوت ص 23 من هذا البحث.

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (363/1).

(3) الدر المنثور، السيوطي، (544/3).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (244/3).

(5) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (35/2).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (244/3).

(7) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن عطية، الإمام الكبير، قدوة المفسرين، أبو محمد الغرناطي القاضي، مولده سنة 480هـ، ومات في 15 رمضان سنة 541هـ، (طبقات المفسرين، السيوطي، ص50).

(8) المحرر الوجيز، (434/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) خلق الله تعالى الإنسان من الطين، ونفخ فيه من روحه، وجعل غذاء جسده ممَّا جاء منه، وجعل لروحه غذاءَ العبادة، عبادةِ الله تعالى، فكان ارتقاءُ الإنسان بارتقاء عبادته، فالذي يكتفي بالمكتوبات ليس كالزائد عليها بالنوافل، والعبادة – بمفهومها الواسع – هي وظيفة الإنسان الأساسية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

2) أمَرَ الله تعالى مريم عليها السلام بلزوم العبادة والاجتهاد فيها، عَمَلاً بسُنَّة الأولين، ومنهاجا من بعدها للسالكين، فالعبادة طريق مستقيم، يؤدي في نهايته إلى رضوان الله ﷻ، فكأنها أُمِرت بالاجتهاد في العبادة تمهيدا لأمر خطير لا يقوى على تحمُّله إلا من كان راسخ القدم في عبوديته لله تعالى، وفي حدثٍ عظيم – كولادة عيسى عليه السلام – لا يثبت إلا أقوياء الصِّلة بخالقهم ﷻ، وقد أُمِر النبي ﷺ في بداية الرسالة بصلاة الليل، وكانت على المسلمين مفروضة في فجر الدعوة؛ وذلك لِمَا للعبادة من شأنٍ في احتمال الأذى والمشاقِّ في نَشْر الرسالة الخاتمة، ولما لها من دور عظيم في تحقيق التزكية الروحية التي تعلو بصاحبها فوق الغمام، فيستعلي بعبادته على شهوات الدنيا وملذَّاتها، ويصبح طاهراً نقيًّا كالصَّفا بعد انْسِكاب الطَّلِّ عليه، وخُصَّت الصلاة بالذكر لكونها أكثر العبادات حصولا، ولأنها معْلَم عظيم من معالم الشريعة، فهي عمود الدين، وبها تحصل القُربة، وفيها اجتماع الناس على العبادة وتَوَاصِيْهم بها، وهي عنوان الصَّلاح، وأَمارة الإيمان والتقوى، وجاء في فضلها أحاديث كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء ؟)**، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، **قال:(فذلك مَثَلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهنَّ الخطايا).**[1]

3) العبادة زكاة للنفس، وطهارة للروح، وقوة للبدن، وارتباط بالسماء، وسموٌّ في المنزلة، وإغاظة للشيطان، ومرضاة للرحمٰن، وهي الصِّلة الوثيقة بين العبد ومولاه، وبها يشعر الإنسان باستناده إلى قوة لا تغلبها أي قوة أخرى وإن عَظُمت، وبها يتميز المؤمن من غيره، فهي مصدر فخر واعتزاز، فقد نعت الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالعبودية له فقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:1]، وكذلك الأنبياء عليهم السلام عندما يعقِّب على قصصهم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:132]، وكذلك المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:63].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى المساجد تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، (131/2)، حديث رقم 1554.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) مما يبيِّن اهتمام الإسلام بالعبادة أنه جعلها تشمل كل حياة الإنسان، وذلك بأنْ قَرَنَها بالنية الصالحة، فإذا نوى المسلم نية لعمل من أعمال الدنيا، وكانت النية خالصة لله تعالى فإنه يحرز بذلك أجرا، قال رسول الله ﷺ: (**... وفي بُضْعِ[1] أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**).[2]

5) مما يبين أهمية العبادة ومكانتها في الإسلام الترغيبُ فيها، والوعْدُ بجزيل المثوبة عليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر:29، 30]، وقال النبي ﷺ: (**من حجَّ لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**)[3]، والنصوص في هذا الموضوع كثيرة، وليس هذا موضع حصرها.

المطلب الثالث: بيان معجزة خلق عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:45– 46].

لقد جَرَتْ سُنَّة الله تعالى في خلقه أن يأتيَ الأبناء من أمٍّ وأبٍ، لكنَّ الله ﷻ خلق عيسى عليه السلام من أمٍّ بِلا أب، فهذا تبيان ودليل على طلاقة قدرته سبحانه، وأنَّ لا حدود لمشيئته، وأنه لا يُعجزه شيء.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ بعيسى عليه السلام؛ لأنه خلق بقول كُن، ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي ذا منزلة عالية في الدنيا، وعزة وكرامة في الآخرة، ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ وهو ما يفرش للطفل، وكلامه في المهد معجزة له، وتبرئة لأمه مما افتراه عليها المفترون، ﴿وَكَهْلًا﴾ أي ويكلمهم كهلاً، والكهل: الذي جاوز الثلاثين، وخطه الشيب،

---

(1) البُضع: بضم الباء يطلق على الجماع، ويطلق على الفرج نفسه. (صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، 93/7).

(2) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (82/3)، حديث رقم 2376.

(3) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، (133/2)، حديث رقم 1521.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بذلك نفي ما ادعاه الكافرون من ربوبيته، فذكر تعالى أنه عليه السلام يدركه ما يدرك البشر من التغير والانتقال من الصغر إلى الكبر، ومن حال إلى حال ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) "﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: المراد بها عيسى، وسمي بالكلمة لأنه وجد بكلمة كُنْ فَيَكُونُ ".[2]

2) ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: قيل إنه سُمِّي بذلك " لكثرة سياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخْمَص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى "[3]، وقال الزمخشري: " لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق، وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه المبارك ".[4]

3) ﴿وَجِيهًا﴾: " الوجيه ذو الوجاهة: وهي القوة والمنعة، ووجاهته في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة ".[5]

4) ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: " يعني أنه ممن يقرِّبه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره ويدنيه منه".[6]

5) ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: " المهد: مضجع الصبي في رضاعه... والكهل هو من كان بين سن الشباب والشيخوخة "، والمعنى: " يكلم الناس حال كونه رضيعا في المهد وحال كونه كهلا بالوحي والرسالة ".[7]

6) ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ " يعني: من عِدَادهم وأوليائهم؛ لأنّ أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل ".[8]

---

(1) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، (65/1).

(2) التفسير المنير، الزحيلي ، (229/3).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (63/3).

(4) الكشاف، الزمخشري، (558/1).

(5) فتح القدير، الشوكاني، (514/1).

(6) جامع البيان، الطبري،(415/6).

(7) فتح القدير، الشوكاني، (514/1).

(8) جامع البيان، الطبري، (420/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) خلق الله تعالى الأسباب، وجعلها سبيلا لتحقيق مقاصد الناس في حياتهم، فكان من جملتها الزواج، الذي هو مبدأُ الإنجاب، لكن الله تعالى لا تتوقف قدرته عند الأسباب، وفعله سبحانه ليس محكوما للأسباب في كل الأحيان، فهو خالقها والمهيمن عليها، يقول سيد قطب رحمه الله: " لقد تأهلت مريم – إذن – بالتطهر والقنوت والعبادة لتلقي هذا الفضل، واستقبال هذا الحدث، وها هي ذي تتلقى – لأول مرة – التبليغ عن طريق الملائكة بالأمر الخطير: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:45- 46]، إنها بشارة كاملة، وإفصاح عن الأمر كله، بشارة بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم ".[1]

2) " قصص القرآن العجيبة مدعاة للإيمان والاعتبار والاتعاظ، وهي غالبا قصص للأنبياء والمرسلين تتضمن المعجزات والدلائل الدالة على صدق الوحي والرسالة والنبوة، وتظل ناطقة بقدرة اللّه تعالى على الاستثناءات كما هي في الأحوال المعتادة، حيث يخلق اللّه تعالى المعجزة على يد نبي أو رسول، لتدل على صدقه في دعواه الرسالة أو النبوة "[2]، وخلق عيسى عليه السلام خرق لهذه الأسباب، وهو معجزة عظيمة دالَّة على طلاقة قدرة الله عز وجل.

3) بعد أن أُخبرت مريم عليها السلام بتطهيرها واصطفاء الله تعالى لها على نساء العالمين، بُشِّرت بأنها ستُرزق بغلامٍ هو كلمة الله تعالى إليها، " له شأن كبير، يكون وجوده بكلمة من اللّه، أي يقول له: كن فيكون، واسمه المسيح مشهور في الدنيا، يعرفه المؤمنون، وله وجاهة ومكانة عند اللّه في الدنيا بما يوحيه اللّه إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب والحكمة، وله وجاهة في الآخرة يشفع عند اللّه فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه أولي العزم من الرسل عليهم السلام.[3]

4) وصف الله تعالى عيسى عليه السلام " بأربعة أوصاف وأحوال، أولها: أنه وجيه في الدنيا والآخرة، والثاني: أنه من المقربين، والثالث: أنه يكلم الناس في المهد وكهلا، والرابع: أنه من الصالحين. وقد ذكرت هذه الأوصاف كلها لأمه وقت البشارة به، فكانت أجل تبشير لأم رؤوم في مثل تقوى مريم البتول ".[4]

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (397/1).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (194/1).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (235/3).

(4) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1222/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) " ختم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالأوصاف العظيمة؛ لأن الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات، لأنه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الأصلح والطريق الأكمل في جميع أقواله وأفعاله، فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وأنه يكلم الناس في المهد وكهلا، أردفه بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات ".[1]

المطلب الرابع: الرَّدُّ على النصارى:

قال الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ **[آل عمران:47،46].**

عندما يحدث أمر جديد على الناس، يخالف ما عهدوه، فإنهم ولابُدَّ سيخالفونه ويقيسونه بعقولهم القاصرة التي لا تستطيع إدراك طلاقة القدرة الإلٰهية، مما يدفعهم إلى الإنكار والتكذيب، حتى وإن تعلَّق هذا الأمر بالذات الإلهية المقدسة، فسيكون من الناس طوائف لا تتورَّع عن الافتراء الآثم على المقدَّسات، لكن الله ﷻ لا يترك عباده المؤمنين هملاً، بل يُبيِّن لهم ما يواجهون به أعداءهم، فتندحض افتراءاتهم في مواجهة براهين الحق الساطعة، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء:18].

أولا: المعنى الإجمالي:

" قالت مريم – متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد–: من أين يكون لي ولد ولم يمسسني رجل؟، فذكر الله تعالى لها أنه يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية، فإنه إذا أراد شيئاً أوجده بتأثير قدرته في مراده من غير افتقار إلى موجب آخر ".[2]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿وَكَهْلًا﴾: " الكهل من دخل في عشرة الأربعين، وهو الذي فارق عصر الشباب ".[3]

2) ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: المسُّ: " يُقَالُ: مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّه مَسّاً لَمَسْتَه بِيَدِكَ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ للأَخذ وَالضَّرْبِ لأَنهما بِالْيَدِ، وَاسْتُعِيرَ لِلْجِمَاعِ لأَنه لَمْسٌ ".[4]

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (246/1).

(2) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (94/1).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (247/3).

(4) لسان العرب، ابن منظور، (218/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ " عبر عن تكوين الله لعيسى بفعل يَخْلق؛ لأنّه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة لإيجاد مثله، فإنّ الصانع إذا صنع شيئاً من موادّ معتادة وصنعة معتادة، لا يقول خلَقْت وإنما يقول صَنَعت ".[1]

2) في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ " كناية عن الجماع "[2]، وهذا ممَّا يؤدِّب الله تعالى به عباده، بالتكنية والإشارة.

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) لقد بيَّن الله تعالى في غير موضع من كتابه العزيز الرَّدَّ على اليهود والنصارى في قذفهم مريم البتول، وهنا بيانٌ معجزة كلام عيسى عليه السلام لهم، وكلامه موضح في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم:30-33]، فهو يعترف بعبوديته لله تعالى، وأنه سيموت كباقي البشر، وأنه سيُبعث كما البشر، " وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان، أحدهما: لتبرئه أمه مما قذفت به، والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته ".[3]

2) في ذكر تكليمه للناس في حال طفولته وفي حال كهولته بيان بأنه يمرُّ بمراحل النشأة الطبيعية التي يَنْشَؤها كل الناس، وهذا نقض لافتراء النصارى في ادِّعاء ألوهيَّته، فـ" إن كانت الألوهية في المهد فقط فهي ناقصة لأنه لم يستمر في المهد، وحدثت له أغيار، وما دام قد حدثت له أغيار فهو محدث، وما دام محدثا فلا يكون إلها "[4]، وجاء في سورة المائدة ما يَنقُض قولَ النصارى في عيسى عليه السلام أنه إله، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة:75]، فأكْل الطعام ليس من صفات الإله، بل هو مُستغْنٍ عنه بالكلِّية.

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (249/3).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (229/3).

(3) زاد المسير، ابن الجوزي، (390/1).

(4) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1468/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) أبلغ الردود على النصارى في دعواهم سورةُ الإخلاص وما تضمَّنتْه من التوحيد الخالص من شوائب الشرك، فاللهُ ﷻ لم يلِد ولم يولد، قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:91].

لقد نَفَتْ مريم عليها السلام مسَّ الرجال لها، وهذا أبْلَغُ في نفي تُهمةٍ آثمة لها، وصَدَّقها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم:12].

4) سورة آل عمران من بدايتها وحتى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في الرد على وفد نجران، " ووجه الرَّد على النصارى أنه تعالى بدأ بذكر التوحيد لينفي عقيدة التثليث بادئ ذي بَدء، ثم وصفه بما يؤكد ذلك من كونه حيا قيوما، أي قامت به السماوات والأرض، وهي قد وُجدت قبل عيسى عليه السلام، فكيف تقوم به قبل وجوده، ثم ذكر أنه تعالى نزَّل الكتاب، وأنزل التوراة؛ ليبين أنه قد أنزل الوحي، وشرع الشرائع قبل وجوده، كما أنزل عليه الإنجيل، وأنزل على مَن بعدَه القرآن، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:5] ليرُدَّ عليهم استدلالهم على ألوهية عيسى عليه السلام بإخباره ببعض المغيَّبات، فإن الإله لا يخفى عليه شيء مطلقا، سواء أكان في هذا العالم أم في غيره من العوالم السماوية، وعيسى من غير أب، إذ الولادة من غير أب ليست دليلا على الألوهية، فالمخلوق عبد كيفما خُلق، وإنما الإله هو الخالق الذي يصوِّر في الأرحام كيف شاء، وعيسى لم يُصَوِّر أحدا في رحم أمه، ثم صرَّح بعد هذا بكلمة التوحيد وبوصفه تعالى بالعزة والحكمة "[1]، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6].

5) " أشار سبحانه إلى عظيم قدرته بقوله تعالى:﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، أي أن الله ﷻ إذا أراد أن يوجد أمرا لَا يوجده إلا بكلمة "كن"، وعبر سبحانه عن الإيجاد بـ ﴿قَضَىٰ﴾ للإشارة إلى أن إيجادَه للأشياء ليس إلا من قبيل الحكم عليها بالوجود، فإذا حكم بالوجود في أمرٍ نفذ حكمه، وحكمه هو أن يقول كن، فيترتب على ذلك أن يكون ".[2]

---

(1) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، (585/3).

(2) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1225/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (48 . 54)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان أهمية العلم وأن الفضل في ذلك لله تعالى وحده.

المطلب الثاني: بيان معجزات عيسى عليه السلام والهدف من رسالته.

المطلب الثالث: نصرة الحق من صفات المؤمنين.

المطلب الرابع: أهمية الدعاء والتضرع والافتقار إلى الله تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان أهمية العلم وأن الفضل في ذلك لله تعالى وحده:

قال الله تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:48].

أولا: المعنى الإجمالي:

" يعلّم اللّه عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل: الكتاب الذي أوحي إليه من بعد ذلك ".[1]

ثانيا: اللطائف البيانية:

" وإنما أخر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق، ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم، فإذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتاباً آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا في العلم، والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) امتدح الله تعالى العلمَ وأهله في مواضعَ عِدَّةٍ من كتابه العزيز، وهنا يبيِّن الله ﷻ امتنانه على عيسى عليه السلام بأن علَّمه الخط والكتابة، وآتاه الحكمة ليعلَمَها ويعلِّمها، وجعل له من العلم بالتوراة الشيء الوافر، والحظ العظيم، وأنزل عليه الإنجيل كتاباً خاصًّا به وبأمَّته، فكان عيسى عليه السلام يسير فيهم ويذكِّرهم ويعلِّمهم، ويقوم بواجب النصح والتحذير والدعوة إلى الله تعالى.
2) العلم شأن عظيم، اختصَّ الله تعالى به الإنسان، فجعل له عقلا يتدبَّر به، وجعل له قلبا يعي به ويدرك سِرَّ الأشياء من حوله، وجعل له قدرة على التعبير عمَّا يجول في خَلَده، وحافظةً تسعفه عند الحاجة، كلُّ هذه الأمور موجودةٌ في الإنسان ليقوم بدوره في هذه الحياة القصيرة.
3) لقد امْتَنَّ الله تعالى على نبيه محمدا ﷺ بأن علَّمه ما لم يكن يعلم فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113]، وذكر الله تعالى من جملة أوصاف نبيه ﷺ أنه ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:5].
4) الحكمة في الآية موضوع البحث هي " العلم الصحيح الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع، ويقف بالعامل على الصراط المستقيم لما فيه من البصيرة وفقه الأحكام وأسرار المسائل ".[3]

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي (195/1).

(2) التفسير الكبير، الرازي، (59/8).

(3) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (310/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) الفضل في العلم راجع إلى الله تعالى وحده، فهو الذي تفضَّل علينا بالجوارح التي نكتسب بها المعارف والعلوم، ورزقنا القدرة على تمييز الأشياء، والحكم عليها، وفضَّل بعض الناس على بعض بالفهم الدقيق للأمور وعواقبها، وأخبرنا ﷻ أن الإنسان مهما تَبَوَّأ في العلم المناصب فإنَّ علمَه قليل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:85].

6) العلم يرفع عن صاحبه الجهل، ويجعل له بين يديه نبراسا يهتدي به إذ الناسُ تائهون، ويسلك به مسالك النور والسعادة والرِّفعة في الدنيا والآخرة.

7) العلماء لهم المكانة العظيمة، فإليهم يرجع الناس في أمور دينهم، ويأخذون بقولهم، ويستشيرونهم في أمور دنياهم؛ لِما وهبهم الله تعالى من حُسْن النظر في عواقب الأمور، ولاستفادتهم من علمهم في وضع الحلول لمشكلات الحياة، ومعرفتهم بأحوال الناس، فهم يمثلون رسالة الإسلام في أبهى صُوَرها.

8) للعلم ولأصحابه هيبة في الناس وذلك عند من راعى حقه، وأدَّى ما عليه فيه، فللعلم حُرمَةٌ يجب على العالم مراعاتها، فلا يبذله لمن لا يستحقُّه، ولا يمنعه عمَّن يحتاج إليه، ولا يهبط بنفسه إلى مستوى سِفلة القوم بارتكاب أفعال لا تليق بمقام العلم وشرفه، وعليه أن يعمل بما علِم.

9) بالعلم يحصل لصاحبه صفات رفيعة كالتواضع، والإخبات، ومراقبة الله ﷻ، وبذل النفس والمال، والشجاعة في قول الحق، وعلو الهمة، والهيبة في قلوب الناس، والتعلُّق بالدار الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ [فاطر:28].

المطلب الثاني: بيان معجزات عيسى عليه السلام والهدف من رسالته:

قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران:49- 51].

هنا جملة من المعجزات التي اختصَّ الله تعالى بها عيسى عليه السلام، فكانت بمثابة دليل على صدق نبوته ورسالته، وهي تدل على مكانة عيسى عليه السلام عند ربه ﷻ، وتدل على طلاقة قدرة الله تعالى في خلقه، وقد أخبر قومه بأنه مكمِّل للشريعة الموسوية، وجدَّد دعوتهم للتوحيد وعبادة الله تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: المعنى الإجمالي:

أرسل اللّه تعالى عيسى عليه السلام " رسولا إلى بني إسرائيل: أني أنبئكم بعلامة دالة على صدق نبوتي ورسالتي، وهي أنني أصورّ لكم من الطين شيئا كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حيا، كهيئة سائر الطيور، بإرادة اللّه، فالخلق الحقيقي من اللّه، وأبرئ الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو بياض يظهر في الجلد منفّر، وخصّ هذان المرضان، لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحيي الموتى، وكل ذلك بإرادة اللّه تعالى، وأخبركم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم من الحبوب وغيرها، مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر دليلا قاطعا، وحجة ظاهرة على صدق رسالتي، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية، وجئتكم مصدقا لما سبقني من التوراة، عاملا بها، مخففا بعض أحكامها، أحل من الطيبات بعض ما حرم عليكم في التوراة، كلحوم كل ذي ظفر كالإوز والإبل، وشحوم الأنعام، وجئتكم بحجة شاهدة على صدقي من اللّه، فخافوا عذابه، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه، وتابعوني في ديني ودعوتي لتوحيد اللّه. إن اللّه ربي وربكم، لا إله غيره ولا رب سواه، وأنا عبده، فاعبدوه وحده لا شريك له، هذا هو الطريق القويم الواضح الذي لا اعوجاج فيه ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾: " الأكمه هو الأعمى الذي لا يبصر شيئًا لا ليلا ولا نهارًا "[2]، والأبرص: " هو الذى يكون في جلده بياض مشوب بحمرة، وهو مرض من الأمراض المنفرة التي عجز الأطباء عن شفائها ".[3]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) ذكَر قوله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾في الإحياء والإماتة دون ذكرها في الإبراء من الأمراض؛ " دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية "[4]، فالبشر قد يستطيعون وصف الدواء فيبرأ المريض، فيغلب على ظن الناس أن الطبيب شافٍ، وهذا لا يكون في الإحياء والإماتة، فقد اختصَّ الله ﷻ بهما.
2) قوله تعالى:" ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ فيه الإشارة إلى ما قاله كلَّه، أي أنّه الحق الواضح فشبهه بصراط مستقيم، لا يضلّ سالكه ولا يتحير ".[5]

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (196/1).
(2) جامع البيان، الطبري، (431/6).
(3) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (151/2).
(4) الكشاف، الزمخشري، (559/1).
(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (254/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآيات:

1) بعد أن أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام نبيا، وكان خلقه معجزة، أعطاه الله تعالى عدة معجزات هي من صنع الله تعالى مباشرة؛ لتكون أدلة على صدق قوله، ولِيَلْتَفَّ الناس من حوله.

2) عُرِف عن بني إسرائيل في زمان عيسى عليه السلام براعتهم في الطب، فجاءت معجزات عيسى عليه السلام على نحو براعتهم، فقد منحه الله تعالى القدرة على إحياء الموتى وشفاء العمى، والبرص، والأمراض قد تظهر للناس طرق علاجها بعد حين، لكنَّ الإحياء والإماتة لم يكونا إلا لله تعالى؛ ولذلك تكررت ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ مرتين.

3) كان عيسى عليه السلام يخبرهم بما يخبِّئون وما يدَّخرون في بيوتهم، عن سعيد بن جبير[1] رحمه الله: " إن عيسى كان يقول للغلام في الكتاب: إن أهلك قد خبأوا لك من الطعام كذا وكذا، فهل تطعمني منه؟ ".[2]

4) " لا تختلف دعوة عيسى عن دعوات سائر الأنبياء، كما أوضحت هذه الآيات، فهو يدعو إلى تقوى اللّه وطاعته فيما جاء به عنه، ويأمر بالتوحيد والاعتراف بالعبودية للّه، وذلك هو الصراط المستقيم أي أقرب طريق موصل إلى اللّه تعالى ".[3]

5) نلاحظ في الآيات أنَّ عيسى عليه السلام بعد بيانه لمعجزاته دعاهم إلى طاعته في أن يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئا، فهذا إفصاح عن الغاية من كلامه، وبيَّن لهم أن التوحيد هو صراطٌ مستقيمٌ لا عِوَجَ فيه، وفي هذا ردٌّ على النصارى بأن عيسى عليه السلام بشر وليس له من خصائص الألوهية شيء، يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " كان منطقه الأول حينما كان في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:30]، إن قضية عبوديته لله قد حُسمت من البداية، وهي قضية القمة، إنه عبد الله، والقضية الثانية هي قضية الرسالة ونقل مراد الله وتكليفه إلى خلق الله حتى يبنوا حركة حياتهم على مقتضى ما أنزل الله عليهم، ومن الطبيعي أن أي رسول عندما يأتي بمنهج من عند الله، فالهدف أن يحمل الناسَ جميعا على سلوك هذا المنهج ".[4]

---

(1) هو الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، كان من كبار العلماء، قرأ القرآن على ابن عباس، قتله الحجاج في شعبان سنة 95هـ. (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 321/4).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (656/1).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (236/3).

(4) تفسير الشعراوي، (1481/3، 1482).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: نصرة الحق من صفات المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:52].

عندما يكون الحق في مأزق وحيرة من أمره، يَنْتَدِب له قوم صالحون يعرفون الحقَّ ويعرفون قيمتَه، فيكون إيمانهم به قويا لا يتزلزل، وهم في ذلك ينافحون عنه بأغلى ما يملكون، ويُضحُّون في سبيله عندما تحين التضحية، ويرون ذلك عنوان شرف، ومصدر فخر واعتزاز.

أولا: المعنى الإجمالي:

" لما شعر عيسى عليه السلام من قومه بني إسرائيل بالتصميم على الكفر، قال: من ينصرني ويعينني في الدعوة إلى اللّه، وتبليغ الرسالة إلى الناس؟ قال الحواريون (أنصاره وتلاميذه) الاثنا عشر رجلا: نحن أنصار دين اللّه ورسله، آمنا بالله وحده، واشهد يا عيسى بأننا مخلصون في إيماننا، منقادون لرسالتك، مطيعون لأوامرك ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿أَحَسَّ﴾: أي وجد، " والإحساس هو الوجود، ومنه قول الله عز وجل: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [مريم:98] "[2]، " والمراد بالإحساس هنا: الإدراك القوي الجاري مجرى المشاهدة ".[3]

2) ﴿ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾: اختصَّ بهذا الاسم أصحاب عيسى عليه السلام؛ " لأنهم كانوا يحوِّرون الثِّياب، أي يبيّضونها، هذا هو الأصل، ثم قيل لكلِّ ناصر حَوَارِيٌّ "[4]، فالحواري هو " الناصر أو المُبالِغ في النصرة والوزير والخليل والخالص ".[5]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) " الاستعارة التمثيلية في ﴿أَحَسَّ﴾ إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً، والكفر ليس بمحسوس، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس ".[6]

2) في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى معان ثلاثة:

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (198/1).

(2) جامع البيان، الطبري، (443/6).

(3) فتح القدير، الشوكاني، (465/1).

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (93/2).

(5) محاسن التأويل، القاسمي، (322/2).

(6) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (519/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: أن الكثرة كانت كافرة، والمؤمنون قلة مغمورة، ولذلك عبر بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾.

الثاني: أنَّ عيسى عليه السلام أحس بأنه ودعوتَه أصبحا مقصودَين بالأذى، " وأن الدعوة الحق أصبحت مهاجمة من تلك الكثرة الساحقة، ولذلك طلب أن يكون له نصراء يجعلون للحق منعة وقوة ".

الثالث: "النصرة الحقيقية في مثل هذا المقام أساسها إخلاص النية لله تعالى...وتفويض الأمور إليه". [1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) من واجبات المسلم أن يكون في صف من ينصرون الحق دوماً، وإن بدا الحق ضعيفاً لا يستطيع ردَّ الغوائل ولا دفْع الشرور، فيلزم حينئذ التضحية بالغالي والنفيس لحماية هذا الحق، إيماناً بموعود الله تعالى في الأجر، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يُنقِص المؤمنين أجورَهم.

2) " أصحاب الدعوات الإصلاحية وعلى رأسهم الأنبياء يتعرضون بسبب دعوتهم إلى مختلف أنواع الأذى والطرد ومحاولة الاغتيال، ولكن اقتضت الحكمة الإلهية ألا ينضُب الخير والفلاح بين الناس، فيهيّئ أناسا يؤازرون المصلحين، ويحتاج القائد إلى أن يتعرف على أتباعه وأنصاره المخلصين، كما فعل عيسى عليه السلام بالتعرف على الحواريين، ليعتمد عليهم وقت الشدة والأزمة، ويساعدونه في تحمل عبء الدعوة إلى اللّه، وهذا هو المراد بقوله : مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ ".[2]

فهذا عيسى عليه السلام قد نابَذَه اليهود العداء، وبالغوا في أذِيَّته، فاتَّهموه وأمَّه، حتى طلب النصرة من قومه، فانتدب له قوم صالحون، انتصروا للحقِّ الذي جاء به، فذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:14].

فقوله تعالى: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي: بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم وردِّ الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه "، فكانت النتيجة " ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ أي: قوَّيناهم ونصرناهم عليهم، ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ عليهم وقاهرين [لهم]، فأنتم يا أمة محمد ﷺ كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر

---

(1) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1236/3).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (243/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من قبلكم، ويظهركم على عدوكم ".[1]

3) الوقوفُ مع الحق وأهله واجبٌ شرعي لا مِنَّةَ فيه، وهو أمر تُمْليه رجولة المسلم وشهامته عليه، وعلى أهل الحق أن يمضوا في طريقهم قُدُماً، ولا يكترثون بقلة الناصرين وكثرة المناوئين.

4) إنَّ كثيرا من أبناء هذا الزمان يتعلَّل بعدم وضوح الرؤية عنده، ولم يَدْرِ بأنَّ الرَّان قد غطى قلبه فأصبح لا يرى المعروفَ معروفا ولا المنكرَ منكرا، فحُجَّته داحضة، وقوله مردود، وهو بحاجةٍ لِأن يتجرَّد من أهوائه، ويدفع عن نفسه شبهة عدم المعرفة، فحينئذ سيتبيَّن له الحق جليًّا، ويكون له موقف آخر، إما باتِّباع الحق وإما باتخاذه ظِهْرِيًّا.

المطلب الرابع: أهمية الدعاء والتضرع والافتقار إلى الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:53، 54].

كان دأب الصالحين – ولا زال – الدعاءُ، فهو إعلان للافتقار والحاجة إلى الله تعالى، وهو ملجأ كل خائف، وهو حبل متين بين العبد وربِّه ﷻ، وهو عبادة يجب على العبد التزامُها، ولا يجمُلُ به تركُها، فهو محتاج كل أطوار حياته إلى الله تعالى، وهو محتاج كذلك بعد موته إلى دعوة صالحة تنفعه إذ لا ينفع هناك إلا عمل صالح أو دعوة مستجابة.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ربنا إننا صدقنا بما أنزلت من الوحي على نبيك، وامتثلنا أوامر رسولك، فاجعلنا من الشاهدين يوم القيامة لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق، ومكر كفار بني إسرائيل، أي دبروا تدبيرا خفيا لقتل عيسى، وأبطل اللّه مكرهم ودبر تدبيرا محكما بإلقاء شبه عيسى على أحد الحواريين، ورفع عيسى إلى السماء، حيا بجسده وروحه، واللّه خير وأنفذ وأقوى المدبرين ".[2]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: هم الذين شهدوا لرسل الله بالتبليغ، وبالصدق، المراد بهم أمة محمد ﷺ، أو أصحاب محمد ﷺ.[3]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص861.

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (198/1).

(3) الدر المنثور، السيوطي، (595/3)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (660/1)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (256/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2) ﴿وَمَكَرُواْ﴾: " المكر فعلٌ يُقصد به ضُرُّ أحَدٍ في هيئة تَخفى عليه، أو تلبيس فعلِ الإضرار بصورة النفع، والمراد هنا: تدبير اليهود لأخذ المسيح، وسعيُهم لدى ولاة الأمور ليمكّنوهم من قتله ".[1]

3) " ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أي أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) شعر الحواريون بضيق المقام بين ظهراني بني إسرائيل، فتوجهوا إلى الله تعالى ضارعين، قد اتخذوا إيمانهم وسيلة وكأنهم يستشفعون بها، وفعلُهم هذا يدل على قوة الارتباط بالله تعالى، وهذه طريقة كل ملهوف، فهو في حالة ضعفه يتوجَّه إلى قوة يعتقد فيها المنَعَة والبأسَ الشديد، فهي تحميه مما يُقْلِقه، وتؤمِّنه مما يخاف، يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " والدعاء هو تضرع وذلة وخشوع وإقرار منك بأنك عاجز، وتطلب من ربك المدد والعون، واستحضار عجزك وقدرة ربك تمثل لك استدامة اليقين الإيماني ".[3]

2) إنَّ إظهارَ العبد فاقتَه وعجزَه بين يدي مولاه ﷻ يُعَدُّ منقَبَةً له، وهو عين القوة، وهو تحقيق لمعنى العبودية في أبهىٰ صورها، فالله ﷻ يحب العبدَ متضرِّعا متخشِّعا، وهو مطلب شرعي أكَّدته النصوص، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[الأعراف:55]، " ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذلُّلا واستكانة لطاعته، ﴿وَخُفۡيَةً﴾ بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً "[4]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:60]، " اشتملت هذه الآية على أمر العبادة بالدعاء والتكفل لهم بالإجابة فضلا من اللّه وكرما، وهذا وعد، كذلك اشتملت أيضا على وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء اللّه، فاللّه هو الكريم الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم وملكه الواسع ما يحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة "[5]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنه من لم يسأل الله يغضبْ عليه)**.[6]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (256/3).

(2) المصدر السابق، (257/3).

(3) تفسير الشعراوي، (4174/7).

(4) جامع البيان، الطبري، (485/12).

(5) التفسير المنير، الزحيلي، (151/24).

(6) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، (456/5)، حديث رقم 3373، قال الألباني، حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) لقد وعد الله ﷻ داعيه بالإجابة فقال:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:186]، قال رسول الله ﷺ: **(إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهما صفرا).**[1]

4) الله ﷻ لا يُنقِص العطاءُ ملكَه، ولا تُعجِزُه كثرة المسائل، فعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذاً نكثر، قال: " الله أكثر).**[2]

5) استخفَّ كثير من الناس اليوم بهذا السلاح العظيم إلى درجة عدم المبالاة، وكأنهم قد رسخ في أذهانهم عدم نفعه، وهذا قدح كبير، فإنه لم يكن في قاموس الأوائل ولا في أفهامهم أن يقدِموا على عمل كبيرٍ أو صغير إلا وكان للدعاء فيه نصيب، فالله تعالى هو خالق هذا الكون ومُدبِّره، والأسباب كلُّها بيده، ولا يعجِزه شيء.

6) إنَّ الناس بشكل عام لا يلجئون إلى الدعاء إلا في الشدائد، وهذا خطأ، فالدعاء واجب في الرخاء والشدة، ورُبَّ دعوة سَرَتْ بِليلٍ دعاها صاحبها في الرخاء لم تنفعه إلا في شدة.

7) ظهر أن المسلمين في هذا الزمان ينتابهم شعور قوي بالإحباط بين الحين والآخر نتيجة تسلُّط عدوهم عليهم، مما يدفعهم لاستبعاد النصرِ ورجوعِ الإسلام إلى أمجاده العتيدة في أيامه الزاهرة البعيدة، ويؤيد هذا الشعور عندهم وجودُ الفساد وتفشِّيه كالنار في الهشيم، وهذا يدفعهم إلى متابعة الأحداث التي تمُرُّ بها أمة الإسلام عن كثب متابعةَ من خارَتْ قُواه ووهَنَتْ عزيمتُه، ولكنهم لو جعلوا من الدعاء عُدَّةً وسلاحاً لكانت نفوسهم قويةً، لا يخترقها الوهن، ولا تُوهِنها مرارات الفشل، ولَكَان اتِّصالُهم بالله تعالى متينا، ولَوَجدوا في قلوبهم حميَّةً تدفعهم إلى المُضيِّ قُدُما لتغيير هذا الواقع البائس، وهم في تلك الحال يُعِدُّون العدَّة لملاقاة أعدائهم، ولا يألُون جُهداً في نصْر هذا الدين العظيم، فالدعاء يجعل المؤمن متفائلا، لا يعرفُ اليأسُ إلى قلبه سبيلا، فهو عظيم الثقة بربه ﷻ، يعلم أنه لا يَرُدُّ داعيه، ولا يُخَيِّب راجيه، وهو يوفِّر لصاحبه قوة روحية تظهر آثارها في بدنه وعقله، فيكون التوفيق حليفَه، وتبدو أمامه أمارات النجاح شاخصة من بعيد، فيستبشر بما آتاه الله تعالى، ويزداد قربا من ربه المجيب، قال الأصمعي[3]: " لما صافَّ قتيبة بن

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، ص 178، حديث رقم 1488، قال الألباني: صحيح، صفراً: خاليا، (شرح السنة، البغوي، 186/5).

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، (566/5)، حديث رقم 3573، قال الألباني: حسن صحيح.

(3) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع، الاصمعي البصري، اللغوي الاخباري، أحد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسلم[1] للترك، وهالَه أمرُهم، سأل عن محمد بن واسع[2]، فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يُبَصْبِصُ بأصبعه نحو السماء، قال: تلك الأصبع أحب إلي من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير ".[3]

الأعلام، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، ومات رحمه الله سنة 216هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 175/10).

(1) قتيبة بن مسلم ابن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي، الأمير أبو حفص، أحد الأبطال والشجعان، قتل في ذي الحجة سنة ست وتسعين، وعاش ثمانيا وأربعين سنة، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 410/4).

(2) ابن جابر بن الأخنس، الإمام الرباني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري، أحد الأعلام، مات رحمه الله سنة 127هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، 119/6).

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (121/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب السادس

الآيات (55 ـ 74)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (55 ـ 58)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (59 ـ 64)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (65 ـ 68)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (69 ـ 71)

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (72 ـ 74)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (55 . 58)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبشير بعلو كلمة الإسلام على أصحاب الأديان الأخرى.

المطلب الثاني: التذكير بيوم الجزاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التبشير بعُلُوِّ كلمة الإسلام على أصحاب الأديان الأخرى:

قال الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران:55].

لقد أنزل الله تعالى دينه الحنيف خاتِماً به كلَّ ما سبقه من شرائع، ووعد أتباع هذا الدين بالاستخلاف والتمكين في الأرض، ووعدهم بالظهور على من ناوأهم، وهذا الوعد يقتضي التزامهم بشرائطَ متى خالفوها تأخَّر عنهم النصر، لكنَّ الدين منتصرٌ لا محالة، إذ إنَّ الله تعالى يقيِّض له من يقوم عليه فيهتدي به أولاً، ثم يُقِيمُه في الناس حَكَماً، فيعيش الناس في ظلاله آمنين.

أولا: المعنى الإجمالي:

" اذكر أيها النبي حين قال اللّه تعالى: يا عيسى، إني مُسْتَوفٍ أجلك في الدنيا، وقابضك، والتَّوَفِّي: الإماتة العادية، ورافعك إلي بروحك وبدنك، بجعلك في منزلة رفيعة كإدريس والصالحين، ومُخلِّصُك من خبث الكافرين ومكرهم، ومُبْعِدُك من سوء عملهم، وجاعل أتباعك الذين آمنوا برسالتك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، وهي فوقية قَدْر، وعلو فضائل، وقوة حجة، ومن هؤلاء: المسلمون الذين آمنوا بعيسى رسولا وبما يستحقه من دون غلو، ثم يكون إلي رجوعكم جميعا، فأحكم بين المؤمنين الأتباع وبين الكفار به، فيما تختلفون فيه من شأن المسيح وصلبه وأمور الدين كلها ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ : اختلفت الأقوال في معنى الوفاة، فقيل هي وفاةُ نَوْم، وقيل معناها القبضُ، وقيل هي وفاة موت، وقيل في النص تقديم وتأخير، فالرفع إلى السماء سابق على الوفاة، ورجح الإمام الطبري رحمه الله معنى القبض من الأرض ورفعه إلى السماء.[2]

2) ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ : التطهير هنا " مجازي بمعنى العصمة والتنزيه؛ لأنّ طهارة عيسى هي هي، ولكن لو سُلِّط عليه أعداؤُه لكان ذلك إهانة له ".[3]

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (198/1).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (455/6).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (259/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) عندما ضاق الأمر بعيسى عليه السلام واشتدَّت به وبأصحابه البلوى، جعل الله تعالى له مخرجاً، فرفعه إليه، وألقى شبَهَه على غيره، " فأخذوا من أُلقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بِنِيَّتهم أنه رسول الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:157]"[1]، ثم ينزل عليه السلام في آخر الزمان، فيقتلُ الدجال، وتكونُ أيامه أيامَ رخاء وعدْل.

ولقد طهَّره الله تعالى من الذين كفروا، وهم بنو إسرائيل في زمانه، فعصمه من كيدهم، وأخرجه من بينهم، وأنجاه منهم، وجعل أتباعه من النصارى ظاهرين على اليهود، " فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة "، وقيل: " هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد من أمة محمد ﷺ فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة "[2]، وهذا فيه تبشير عظيم بعلوِّ كلمة الإسلام على غيره من الأديان، فإنه لازال الإسلام عزيزا، رفيع الجناب، موفور الكرامة، عندما كان المسلمون على الجادة، ثم حصلت لهم تراجعات ومآسٍ كثيرة، أخَّرَتْهم عن الرَّكْب، وأَخْلَدتْ بهم إلى الأرض، فلا يزالون في هذا حتى يأذن الله تعالى بالفرَج، فتعود لهم هيبتهم التي فارقتهم منذ أَمَدٍ بعيد.

2) البشارة بظهور الإسلام: بشَّرَتْ نصوص كثيرة بظهور الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:32، 33]، فالدين ظاهر على غيره من الأديان لا محالة، فـ " هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾"[3]، " فالإنسان في الأمر الحِسِّي لا يستطيع أن يطفئ النور؛ لأن هناك فرقا بين مصدر النور وأداة التنوير ".[4]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص132.

(2) معالم التنزيل، البغوي، (46/2).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (180/7).

(4) زبدة التفاسير، محمد متولي الشعراوي، إعداد وتقديم: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، ص221.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بشَّر النبي ﷺ أمَّته بالنصر والظهور فقال: (**إن الله زَوَى[1] لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها**).[2]

3) صمود أمة الإسلام أمام محاولات طمسها: كان اليهود ولا زالوا " أشدّ الناس عداوة للمؤمنين، فهم كمشركي العرب، وأما النّصارى الرّوم، فبدؤوا عدوانهم على المسلمين، ثم استمرّ الأوربيون في عدوانهم على الشرق الإسلامي، ثم جاءت الحروب الصّليبيّة التي مثّلت قمّة العدوان على المسلمين، وما زالت السّياسة الاستعمارية والتّبشيرية تحتضن المخططات الرّهيبة لتفريق المسلمين وإبعادهم عن دينهم بمختلف الوسائل الإعلامية والمواقف الحاقدة المتحيّزة ضدّ مصالحهم في أي مكان ".[3]

لكنَّ هذه الأمة لا تموت، فقد يعتريها الضعف والخَوَر، لكنها تبقى هامدة لا تستطيع حراكا، حتى يبعث الله تعالى لها من يداوي جراحها، وينهضَ بها، فتنتفض انتفاضة المارد الذي لا يقف له شيء، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " لقد بذل الاستعمار أقصى ما كان مستطيعا أن يبذل، وظن الناس فترة أن الاستعمار قد أفلح، وأن هذه العقيدة قد نامت إلى غير يقظة، فإذا بها تنتفض في صحوة إلى غير سبات "، ثم يقول رحمه الله: " وإن يوم الخلاص لقريب، وإن الفجر لَيَبْعَثُ خيوطَه، وإن النور سيتشقَّق به الأفق، ولن ينام هذا العالم الإسلامي بعد صحوته، ولن يموت هذا العالم الإسلامي بعد بعثه، ولو كان مقدَّرا له الموت لمات، ولن تموت العقيدة الحية التي قادته في كفاحه؛ لأنها من روح الله، والله حي لا يموت ".[4]

4) على المسلمين أن يبحثوا عن نقاط قوَّتهم فيزيدوها قوة، ويبحثوا عن نقاط ضعف عدوِّهم فيستغلُّوها استغلالا جيدا لصالحهم، حتى إذا لاحَتْ فرصةٌ اغتنموها، وتكون أعينهم يقِظَةً لكل مُتربِّص، فلا يطمع فيهم من كان في قلبه مرض، ولا يُعطوا الدَّنِيَّة من أنفسهم أو دينهم، فهم أَعِزَّةٌ بإعزاز الله لهم، أقوياءُ بقوة الحق الذي يحملون، وهذا يجعلهم يتواصَون فيما بينهم بالحق والصبر، ويتناسَوا ما بينهم من خلافات إذِ الإيمان يجمعهم، وعدوُّهم لا ينظر إليهم بعين التفرقة، فالكل في ذات الدرب سائر، وهو يرميهم عن قوس واحدة، وتتعدَّد وسائلُه في حربهم،

---

(1) زوى أي جمع، وفي الحديث اشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب. (صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، 13/18).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (171/8)، حديث رقم 7440.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (184/10، 185).

(4) في التاريخ فكرة ومنهاج، ص 9-10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا تَفْتُر له هِمَّة في ذلك، فالواجب ألَّا يعطوه من أنفسهم فرصة تكون ثغرة يصعب مَلْؤها حين يتَّسع الخرق على الراقع.

وعليهم قبل هذا كلِّه الإيمان الحار بدينهم، والالتزام بجميع ما جاء فيه قدر الاستطاعة، والتَّحَمُّس له، والسير بسيرة الرَّعيل الأول من هذه الأمة، فهم خير سلف لمن بعدهم، وعليهم أن يعلموا أن الخير لا ينقطع من هذه الأمة، فقد جاء أن رسول الله ﷺ قال: **(لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته).**[1]

ولعل من هذا الغرس تلك الطائفة التي تدعو إلى إقامة الدين في حياة الناس، وتطبيقه في المجتمعات، يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله: " ما أقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه اليه إلا وقد زرع ما عَلِمَه من العلم والحكمة، إما في قلوب أمثاله وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده ".[2]

5) جعل الله تعالى الإسلام دينا خاتما لجميع الشرائع، فهو أحسنها وأكملها، وقد تكفَّل الله تعالى بحفظه على مر الأزمان، وفي أشد الظروف حُلْكة، ففي يوم بدْر، كان المسلمون قِلَّة وأذِلَّة كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:123]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26]، فبَعْد أن أخلصوا لله النية، وصدقوا في توكُّلهم، كان النصرُ حليفَهم، وهذا موعودُ كل مخلِص متوكِّل، وتلك سنة الله تعالى في نصْر عباده.

المطلب الثاني: التذكير بيوم الجزاء:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران:56، 57].

لمَّا كان الإنسان كثير النسيان، كان التذكير بالآخرة في القرآن كثيرا، وهذا من مقاصد القرآن الأساسية التي تهدف في محصِّلتها إلى جعْل الإنسان مرتبطا بما عند الله تعالى.

أولا: المعنى الإجمالي:

" الكفار لهم عذاب شديد في الدنيا بأنواع العقاب، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم أنصار ينصرونهم ويمنعون عنهم العذاب، وأما المؤمنون الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر اللّه بها،

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، (5/1)، حديث رقم 8، قال الألباني: حسن.

(2) مفتاح دار السعادة، (148/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيعطيهم اللّه ثواب أعمالهم كاملاً وافراً، واللّه يعاقب الظالمين أنفسهم، الذين كفروا بالله ورسله، وعصوا أوامر ربهم ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) أهمية التذكير وضرورته: عندما يَذْكُر القرآن الكريم عذاب الكافرين ونعيمَ المؤمنين فإنَّ ذلك من التذكير بالمصير المحتوم الذي لا بد منه، فإنَّ انشغال المرء بدنياه يجعله كثير الغفلة عمَّا هو آت.

لقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بأنْ يذكِّر، فالتذكير والبلاغ وظيفة الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية:21]،وقال تعالى:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:55]، قيل: ذكِّرهم بالعقوبة وأيام الله، وخَصَّ المؤمنين لأنهم المنتفعون بها.[2]

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق:41- 45]، فبَعْد سَوْق أحداث النهاية وما فيها جاء الأمر للنبي ﷺ بالتذكير، وفي ذلك دلالة واضحة على أنَّ التذكير ضرورة كبرى للناس، فبالتذكير يعود المذنب فيتوب، ويهتدي الضَّال، وتصلُح أحوال الناس، ويسيرون على الجادَّة، فتستقيم أمور الحياة، وتصبح حياة الناس آمنةً، لا مكان فيها للتَّغوُّل والاعتداء.

2) لقد شَغَل الحديث عن يوم القيامة وما فيه جزءاً كبيرا من آيات القرآن الكريم، ولعلَّ من أسباب تلك الكثرة استمرارُ غفلة الناس عن ذلك اليوم والإعداد له، فكان التذكير على قدْر النسيان.

3) بيَّن الله تعالى ما أعدَّه للمؤمنين من نعيم في الآخرة، وما ذلك إلا ليُشمِّر عن ساعد الجِدِّ في العبادة، ويظلَّ على أُهبة الاستعداد، ولعلَّ سورة الإنسان فيها من النعيم المذكور الشيء الكثير الذي يستفزُّ الهمةَ للتقوى والعمل الصالح، كما بيَّن القرآن الكريم أنواع العقوبات التي سيلاقيها المعرضون والصَّادُّون، ومن يقرأ سورة الغاشية يعلم ذلك يقينا.

ولابد لهذا النصح أن يؤتي ثمرتَه، وذلك بأنْ تظهر آثارُه على المرء في سلوكه ومعاملاته، ويكون رضا الله تعالى نُصب عينيه، فيتحرَّى مرضاته، ويبتعد عمَّا يسخطه، فيعيش حياته الدنيا مطمئنا، ويلقى الله تعالى وهو عنه راضٍ.

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (198/1، 199).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (506/19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (59 . 64)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرد على النصارى وبيان أصل الإنسان.

المطلب الثاني: المفاصلة حتمية بين الحق والباطل.

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة التوحيد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الرَّدُّ على النصارى وبيان أصل الإنسان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:59].

خلق الله تعالى عيسى عليه السلام من أمٍّ بلا أب، فاختلفت أقوال الناس فيه، فمنهم من ادَّعى له الألوهية، ومنهم من ادَّعى أنه ابن الله ﷻ، تعالى الله عمَّا يقولون علوا كبيرا، وأهل الحق قالوا إنَّه عبد الله ورسوله، وهنا مناقشة وردٌّ على من غالَى في المسيح عليه السلام، وبيان لأصل خلق الإنسان.

أولا: سبب النزول:

جاء في قوله تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ " أنَّ رهطا من أهل نجران قدموا على محمد ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: من هو؟ قالوا عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال محمد ﷺ: أجل، إنه عبدالله، قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى أو أُنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ إلى آخر الآية ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" يبين الله بهذا النص الكريم مكان خلق عيسى عليه السلام من قدرته ﷻ، بجوار خلق آدم من تراب، فالله ﷻ خلق آدم من تراب، أي من غير أب ولا أم، ومن مادة ليس من شأنها أن يكون منها إنسان حي ينطق ويتكلم، وقد تعلم الأسماء والأشياء كلها، ومعنى النص الكريم: إن حال عيسى في تصويره وتكوينه من غير أب بالنسبة لقدرة الله تعالى كحال آدم صوَّره وكوَّنه من طين، وفي هذا التمثيل احتجاج على النصارى الذين ألَّهوا المسيح عيسى ابن مريم لأنه خلق من غير أب، واعتبروه ابن الله " تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.[2]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿مَثَلَ﴾: المثل هنا " بمعنى الحال والصفة العجيبة، أي: إن صفة عيسى عند الله، أي: في تقديره وحكمه أو فيما غاب عنكم ولم تطلعوا على كُنْهه".[3]

ثالثا: المناسبة:

" ذكر اللّه تعالى سابقا قصة عيسى وأمه، وإيمان بعض قومه به، وكفر بعض آخر، وهنا

---

(1) جامع البيان، الطبري، (468/6).

(2) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1249/3).

(3) انظر: روح المعاني، الألوسي، (186/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر حال فريق ثالث لم يكفر به، ولم يؤمن به إيمانا صحيحا، بل افتتن به افتتانا، لكونه ولد من غير أب، فزعم أن معنى كونه كلمة اللّه وروح اللّه أنّ اللّه حلّ في أمه، وأن كلمة اللّه تجسّدت فيه، فصار إنسانا وإلها ذا طبيعة مزدوجة، فردّ اللّه عليهم بأن خلق آدم أعجب من خلق عيسى ".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) جاءت هذه الآية في سياق الرَّد على النصارى حيث تضمَّنت ردا منطقيا على ادِّعائهم ألوهية عيسى عليه السلام، فحالة خلق عيسى عليه السلام في غرابتها ليست في الغرابة كخلق آدم عليه السلام، فآدم عليه السلام قد خلقه الله تعالى ابتداءً بدون أب وأم.

2) دلالة هذا النص على طلاقة قدرة الله تعالى: هذا " النص الكريم فوق ما تضمَّنه من حجة دامغة تقطع دعوى المبطلين، هو بيان لقدرة الله تعالى العلي القدير في خلق الأحياء وخلق الأشياء، من حيث إنها تخلق بإرادته المختارة، وأنه بهذه الإرادة يخلق الحي من غير الحيّ، ويخلق الحيّ على غير النظام الجاري في مجرى العادات، وما نسميه طبائع الأشياء في التكوين والتوالد، ولا تصدر عنه الأشياء كما يصدر المعلول عن علته، وإلا ما كان من الطين إنسان حي ناطق هو أبو الخليقة آدم عليه السلام ".[2]

3) مادة الإنسان وأصل خِلْقته: خلق الله تعالى الإنسان من تراب ثم نفخ فيه من روحه، وجاء التعبير في صور عديدة، فقد جاء بلفظ التراب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾[الحج:5]، وجاء بلفظ السلالة من الطين، قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾[المؤمنون:12]، أي: صَفوةُ الماء، أو من منيِّ آدم[3]، وجاء بلفظ الطين اللازب، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾[الصافات:11]، أي: " طين لاصق... والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا "[4]، وجاء بلفظ الحمأ المسنون أو بالصلصال، قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[الحجر:26]، فالصَلْصَال " هو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلةً، أي: صوتًا "، والحمأ هو الطين الأسود، والمسنون هو المنتن المتغيِّر، أو المصبوب، أو هو التراب المبتلُّ المنتن[5]، " فهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها أيضا في الأحوال مختلفة أن

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (246/3).

(2) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1250/3).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (112/10).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، (20/21).

(5) انظر: معالم التأويل، البغوي، (378/4، 379).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلصال غير الحمأة، والحمأة غير التراب إلا أن مرجعها كلها في الأصل إلى جوهر واحد وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال ".[1]

ومن الأحاديث عن أصل الإنسان قوله ﷺ: **(إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب).**[2]

وكانت مادة الإنسان من الطين؛ لكي يكون متواضعا، رزينا في تصرفاته، فليس للطيش عنده مكان، وعندما تحدِّثه نفسه بالتعالي والتكبر على الخلق عليه أن لا ينسى أصله، وهو التراب، فذلك أدعى لِأنْ يكون أكثر تواضعا وحلما وحكمة.

المطلب الثاني: المفاصلة حتمية بين الحق والباطل:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل عمران:60، 61].

الصراع بين الحق والباطل صراع قديم، وهو صراع وجود، لا يتغير بتغيُّر الأشخاص، وهو متنوِّعٌ ومتجدِّد، فهو يظل مستمرا حتى تكون المفاصلة في النهاية، فيتآكل الباطل ويزهق، ويخرج الحق من محنته عزيزاً.

أولاً: المعنى الإجمالي:

" هذا الذى أخبرناك عنه يا محمد من شأن عيسى ومن شأن غيره هو الحق الثابت اليقيني الذى لا مجال للشك فيه، وما دام الأمر كذلك فاثبت على ما أنت عليه من حق، ولا تكونن من الشاكين في أي شيء مما أخبرناك به... فإن جادلك أهل الكتاب في شأن عيسى من بعد أن أخبرك ربك بما هو الحق من أمره فقل لهم: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ أي: أقبلوا أيها المجادلون إلى أمر يعرف فيه الحق من الباطل، وهو أن ندعو نحن وأنتم الأبناء والنساء ثم نجتمع جميعا في مكان واحد، ثم نتضرع إلى الله ونبتهل إليه بأن يجعل لعنته على الكاذبين في دعواهم المنحرفين عن الحق في اعتقادهم ".[3]

---

(1) الروح، ابن القيم، ص218.

(2) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، (358/4)، حديث رقم 4693، قال الألباني: صحيح.

(3) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (169/2، 171).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: معاني المفردات:

1) ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾:"الامتراء: هو التردد الذي ينتهى إلى محاجة ومجادلة، وقد ينتهى إلى شك ثم إلى إنكار".[1]

2) ﴿نَبْتَهِلْ﴾: " الابتهال مشتق من البَهْل، وهو الدعاء باللعن، ويطلق على الاجتهاد في الدعاء مطلقاً؛ لأنّ الداعي باللعن يجتهد في دعائه، والمراد في الآية المعنى الأول ".[2]

ثالثاً: العبر والدلالات المستفادة من النص:

1) كل بداية في هذه الدنيا لابُد لها من نهاية، فالصراع بين الحق والباطل مهما طال أمَدُه فإنه إلى نهاية، وهذه النهاية تكون فيه الغلبة للحق وأهله، تلك هي سنة الله تعالى في خلقه، أنْ يبتليَ المؤمنين بقوم كافرين أو منافقين؛ لتظهر معادنهم، ولتتميَّز الصفوف، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:2، 3].

2) أهمية الاعتداد بالمنهج الرباني واليقين بنصرة الله له: قال تعالى:﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ هنا توجيهٌ رباني إلى النبي ﷺ وأتباعه أن لا يتطرَّق إلى قلوبهم الشك ممَّا هم عليه من الحق، بسبب الاستضعاف وقلة الحيلة، بل عليهم أن يستدلُّوا على صوابية طريقهم بالمحن والابتلاءات، فإنهم لا يزالون في ذلك حتى يسفِر العراك عن وجه الحق الأبلج، ويندحر الباطل وأهله، قال تعالى:﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:18]،﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ " أي: فيقهره ويهلكه ويُزيله إزالة تامة "[3]، " ودلَّ حرف المفاجأة – فإذا– على سرعة مَحْق الحقِّ الباطلَ عند وروده؛ لأن للحقِّ صولة، فهو سريع المفعول إذا ورد ووضح ".[4]

3) ثبات الحق وذَهاب والباطل: قال تعالى:﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:17] هنا تشبيه رائع للحق والباطل، فقوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾معناه: " إذا اجتمعا لا ثبات للباطل

---

(1) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (34/5).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (265/3).

(3) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (27/9).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (34/17).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل ".[1]

قال ابن عاشور رحمه الله: " وقد عُلم أنَّ الزبَد مثَلٌ للباطل وأنَّ الماء مثَلٌ للحق، فارتقى عند ذلك إلى ما في المَثَّلين من صفتَي البقاء والزوال ليتوصل بذلك إلى البشارة والنذارة لأهل الحق وأهل الباطل بأن الفريق الأول هو الباقي الدائم، وأن الفريق الثاني زائل بائد ".[2]

" وحكمة ذكر زبد الماء وخبث المعادن وردت للتدليل [على] أن الكفر في منزلة فقاقيع، وإن عَلَتْ مكانة أهله حينا من الوقت، من باب مداولة سنن الله في الأرض جولات صعودا وهبوطا، إلا أنه في زوال حتميٍّ مصيره عبرة لغيره "[3]، وإذا جاء أمر الله تعالى بزواله فإنه لا يملك دفع الضُّر عن نفسه، فهو في نفسه ضعيف وإن ظهرت للناس قوتُه.

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه أنَّ الباطل ذاهب مهما علا شأنه وطال أمده وكثر أتباعه، قال سبحانه: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81].

4) الأمر للنبي ﷺ بالمباهلة نوعٌ من المفاصلة بين الحق والباطل، " وهذه الآية من أعلام نبوّة محمد ﷺ؛ لأنه دعاهم إلى المباهلة، فأبوا ورضوا بالجزية، بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب أنهم إن باهلوه اضطرم عليهم الوادي نارا، فإن محمدا نبيّ مرسل، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل في أمر عيسى، فتركوا المباهلة، وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدوا في كل عام ألف حلّة في صفر، وألف حلّة في رجب، فصالحهم رسول اللّه ﷺ على ذلك بدلا من الإسلام ".[4]

5) في آخر الزمان تكون مفاصلة نهائية بين الحق والباطل، فهي كائنة مع اليهود في آخر الزمان، فقد بشَّرنا النبي ﷺ بذلك، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).**[5]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (131/8).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (120/13).

(3) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (600/3).

(4) التفسير المنير، الزحيلي، (249/3).

(5) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (188/8)، حديث رقم 7523.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعارك الإسلام مع أتباع النِّحل الأخرى قائمة على المفاصلة، وهذه المفاصلة أساسُها العقيدة، فعقيدة التوحيد تأبى ما يخالفها كالشرك والتثليث وعبادة النار والطواغيت، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى التصادم، ومآلُ هذا التصادم إلى نهايةٍ حتما، ولو طال الأمَد، والحق ظاهر في نهاية الأمر لا محالة.

6) الصراع بين الحق والباطل مستمر ومتنوِّع: يحتدم الصراع في هذا العصر بين الحق وأهله والباطل وأهله، فالصراع اليوم متنوع، فهو صراع عقدي وسياسي وأخلاقي واقتصادي وفكري وعسكري، وأهل الباطل يريدون من المسلمين أن يتخلَّوا عن دينهم، ويبذلون في ذلك الكثير، فهم وإن استطاعوا أن يجعلوا تصوُّر كثير من المسلمين مشوَّشا، فإنَّ كثيرا من المسلمين قد نالتهم رحمة الله تعالى، فنجَوا من هذا التشويش، وإن كان أهل الباطل قد تمالئوا على بلاد الإسلام باحتلالها، فإنَّ جذوة الجهاد قد اتَّقدَتْ، وانبرى كثير من أصحاب الهمم العالية لهذا الشأن، فأرغموا أنوف أولئك الكفرة وكسروا كبرياءهم في كثير من المواطن، وأهل النفاق لهم جولات مع أهل الإسلام كثيرة، ولابد لهم أن تزهق أرواحهم، وتضيق نفوسهم بعزِّ الإسلام وأهله.

7) لوازم الإيمان بحتمية الصراع: إنَّ الإيمان بحتمية الصراع بين الحق والباطل يوجِب على أهل الحق الاستعدادَ الجيِّد والعملَ الدؤوب، ولابد لعمل كهذا من نيةٍ صادقةٍ، وهمَّةٍ عاليةٍ، وإرادةٍ قويةٍ؛ ليمكنَ من خلال ذلك أن تُكسرَ شوكةُ الباطل، فتَتِمُّ المفاصلة، ولْتكُن ضربةً واحدة مركَّزة، تجتثُّ الباطل من جذوره، وتَسْحقُه فيكون أثرا بعد عين.

8) وجوب التفاؤل بمجد الإسلام القادم وعدم اليأس من الواقع: الصراع بين الحق والباطل قديم، وفيه صولات وجولات، تتحقَّق فيها سنة الله تعالى في إملاء الظالمين ونصْر المؤمنين، وقد يتأخر النصر والتمكين، وهذا التأخُّر ينبغي أن يكون دافعا للعمل الدَّؤوب وتصحيح المسار، لا أن يكون ذريعة للتراخي عن الواجب، وهذه الدافعية للعمل للإسلام تكون بمثابة بداية لأُولى خطوات النصر، ومتى كان اليأس دليل قوم فإنَّهم سيخلدون إلى سبات طويل، سباتٍ يؤدي بهم إلى اتِّهام المنهج الذي اعتنقوه ودافعوا عنه بالقصور ورَمْيِه بعدم الصلاحية للتمكين، وهذا نذير شؤم يلوح في الأفق، وهذا ما أراده الأعداء وخطَّطوا له، وعندئذ يدرك الأعداء بُغيتَهم، ويهجموا هجمتَهم على نفوس أَذَابَها اليأسُ، وقتَلَها الركونُ إلى الأرض، فتتمكن منها سريعا، ويفقد اليائسون آخر آمالهم في النجاة والنجاح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة التوحيد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:62– 64].

عقيدة التوحيد هي قضية الإنسان الأولى والوحيدة، فما كان الإنسان مخلوقا إلا لتحقيق هذه الغاية في نفسه أولا ثم في الناس حوله، والتوحيد هو العبادة الأولى التي يجب على العبد الإقرار بها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، قال مجاهد: " إلا ليعرفوني "، وقيل: إلا ليوحِّدوني، فأما المؤمن فيوحِّدُه في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.[1]

أولا: المعنى الإجمالي:

ما ذكره الله تعالى " من أمر عيسى عليه السلام، لهو القصة الواقعية لولادة عيسى عليه السلام، ونشأته ومنهجه في دعوته، ولا يوجد إله يعبد بحق غير اللّه تعالى وحده، خالق كل شيء، وإن اللّه لهو القوي الغالب في هذا الكون، الحكيم في صنعه وتدبيره، فإن أعرضوا عن هذا الحق المبين واتباع عقيدة التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء، فهذا الإعراض هو الفساد بعينه، لأنه شرك وكفر، واللّه عليم بالمفسدين، وسيعاقبهم على إفسادهم ".[2]

ثم يتوجه الخطاب إلى أهل الكتاب بدعوتهم إلى الاتفاق على الحق والعدل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، وهي دعوة إلى الحق والعدل الذي يعرفونه في كتبهم، والذي جاء به أنبياؤهم، وهو توحيد الله تعالى، وعدم الإشراك به، وعدم تأليه البشر أو صرف أنواع العبادة لهم، وعدم ادِّعاء الولد لله تعالى، كما فعلت اليهود والنصارى... ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن هذه الدعوة الصادقة المنصفة " ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لله تعالى وحده.[3]

---

(1) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (380/7، 381).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (199/1).

(3) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (472/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: المناسبة:

"أقام القرآن الحجة على النصارى في ادّعائهم ألوهية المسيح، ثم دعا هنا اليهود والنصارى إلى أصل الدّين وروحه الذي اتّفقت عليه دعوة الأنبياء جميعا وهو توحيد اللّه وعبادته، والاقتداء بإبراهيم أبي الأنبياء عليهم السّلام إذ أن ملّته ملّة الإسلام، ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا".[1]

والتأكيد على قضية التوحيد عقِب قصة عيسى عليه السلام يؤكد مضمون القصة ومقصدَها الأول، وهو مقصد السورة الأكبر.

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآيات:

1) جاءت بالتوحيد كلُّ الشرائع، ودعا إليه كلُّ الرسل، فكلَّما حادَ الناس عن التوحيد بعث الله تعالى لهم نبيا يدعوهم إليه، ويحُضُّهم عليه، فيبَشِّرُهم إن هم أطاعوا، وينذرهم إن كانوا قد عَصَوا.
2) انتقال اليهود والنصارى من التوحيد إلى الكفر وتنكيرهم به: " كان اليهود موحدين، ولكن مفهوم الإله فيهم أصبح ليس هو الإله الحق، واتبعوا رؤساء الدين فيما يخترعون من أحكام، وكذلك كان النصارى موحدين، وما زالوا يدعون الوحدانية، لكنهم انتقلوا من ادعاء بنوة عيسى للّه والتثليث إلى ادعاء ألوهيته وأن الثلاثة واحد، وهو عيسى، ورفضت فرقة الإصلاح (البروتستانت) فكرة ألوهية عيسى ".[2]

فلمَّا كان الكفر في بني إسرائيل فاشياً، كان التأكيد على عقيدة التوحيد مُهِمًّا، فإنه بعد حدوث معجزة عيسى عليه السلام، ودعوته لهم إلى ما دَعَتْ إليه الأنبياءُ قبلَه، انقسم الناس فيه إلى طوائف، وانتشر بعده مذهب التثليث واعتقاد بُنوَّته لله جل جلاله، فَبَعْد انتهاء قصَّته، جاء التعقيب عليها بأنْ لا إله إلا الله، وهي شهادة التوحيد الخالص، الذي لا تشوبه شائبة.

3) توافق الشرائع على التوحيد: " لقد أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يجمع الأمم على ملة واحدة، وهي ملة التوحيد لله وحده، فلا يكون هناك تعدد بين الآلهة، ولا شرك ولا وثنية، ولا أبوة ولا بنوة لله تعالى، وهذا أمر سهل يسير، وله أهداف سامية عالية، من أهمها منع التنازع والخصام بين الناس، وإشاعة المودة والمحبة بين الأفراد، لذا أمر اللّه نبيه أن يدعو الناس إلى العدل والوسط والكلمة السواء: وهي ألا نعبد جميعا إلا اللّه، وألا نشرك به شيئا، وألا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من غير اللّه، فكل دين سماوي لا يختلف عن الآخر في إثبات الوحدانية والربوبية لله تعالى، وإذا كان الأمر على هذا المنهج المعتدل الوسط، فهيّا بنا جميعا إلى

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (252/3).

(2) المصدر السابق، (253/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إعلانه واتباعه وإذابة الفوارق وتوحيد العقيدة، وإن اعتَرَضَنا شيء من سوء التفاهم والخلاف، وجب أن نَرُدَّه إلى أصل التوحيد وكلمته ".[1]

4) قررت هذه " الآية وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، فأما وحدانية الألوهية فهي قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾وأكَّده بقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، والإله هو المعبود الذي تُوْلَه العقول في معرفته وتدعوه وتصمد إليه لاعتقادها أن السلطة الغيبية له وحده، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله:﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾فالرب: هو السيد المربي الذي يطاع فيما يأمر وينهى، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم ".[2]

5) " تعتبر هذه الآية الكريمة من أجمع الآيات التي تهدي الناس إلى طريق الحق بأسلوب منطقي رصين، ولذا كان النبي ﷺ يكتبها في بعض رسائله التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء ليدعوهم إلى الإسلام، فقد جاء في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل – ملك الروم –: **(من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**،﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾) إلخ الآية[3] ".[4]

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (200/1).

(2) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (326/3).

(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، (35/6)، حديث رقم 4553، والأريسيون هم الأتباع والزُّرَّاع والأُجراء. (شرح السنة، البغوي، 278/12).

(4) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (178/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (65 . 68)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذم الجدال بغير علم.

المطلب الثاني: بيان حقيقة إبراهيم عليه السلام وتنزيهه عن الشرك.

المطلب الثالث: الادعاء الكاذب لا يزيد الحق إلا وضوحاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: ذمُّ الجدال بغير علم:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ [آل عمران:65، 66].

لقد كرِه الإسلام أن يملأ الرجل فاه كلاما لا علمَ له به، فهو يَهرِفُ بما لا يعرف، ويتشدَّق بما لم يتحقَّق، ويملأ المكان من حوله ضجيجا وهو في الحقيقة يجهل ما يقول، وليس من الأخلاق القويمة أن يتعرَّض المرء للجدل، فإنَّ ذلك مُنْقِصٌ للهيبة، وهو سبيلٌ للخطأ والتعصب للرأي.

أولا: سبب النزول:

" عن ابن عباس ﷺ قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

لما اختصم اليهود والنصارى عند رسول الله ﷺ في شأن إبراهيم عليه السلام وادّعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم، برَّأ الله ﷻ إبراهيم مما ادَّعوا فيه، وأخبر أن اليهودية والنصرانية إنما حدثا بعد نزول التوراة والإنجيل، وإنما نزلا بعد إبراهيم بزمان طويل، وأنتم أيها اليهود والنصارى قد جادلتم وخاصمتم فيما وجدتم في كتبكم وأُنزِل عليكم بيانُه في أمر موسى وعيسى، وادَّعيتم أنكم على دينهما، وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ فليس في كتابكم أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً،﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ يعني ما كان إبراهيم عليه من الدين، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: وأنتم جاهلون بما تقولون في إبراهيم عليه السلام.[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) بيَّنت الآيتان صفة من صفات أهل الكتاب، وهي المجادلة بغير علم، ونالَهم الذمُّ على فعلهم ذاك، وكثير من الناس قد صارت له هذه الصفة كالقرين، فهي لا تنفكُّ عنه، ولا ينفكُّ عنها، وهذا النوع من الناس كثيراً ما يستجلبون لأنفسهم المتاعب، فهو إن جادل وغَلَبَ فقد كَدَّ عقله،

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (85/3).

(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (363/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وربَّما وقع في الكذب والمِراء، وإن جادل وغُلِب اعتبر ذلك هزيمة له ولابد له من ردِّ الاعتبار، فهذا مرض نفسيٌّ، يجب على صاحبه أن يتخلَّص منه بشتى الطرق.

" ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ختم الله ﷻ ببيان علمه تعالى المؤكد، فقرر العلم المطلق له سبحانه، ونفَى عنهم العلم في هذا المقام، فالله ﷻ هو الذي يعلم حال إبراهيم عليه السلام، ويعلم الحق فيما يتحاجون به بعلم وبخير علم، ويعلم مَن الذي يكون أهلا لرسالته أيكون من العرب أم يكون من العجم؛ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124]، وهو الذي يعلم بخفايا نفوسهم، والحقد الدفين فيها، والحسد للناس على ما آتاهم الله من فضله. وقد قرر سبحانه أنهم لَا يعلمون، فقال: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، فهم لا يعلمون حال إبراهيم عليه السلام ولا من هو أهل للرسالة، وليس من شأنهم أن يعلموا؛ لأنَّ أحقادهم تحول بينهم وبين أن يدركوا الذي عليه من يخالفونهم، فإنه لَا شيء كالحقد والحسد يحول بين المرء والإدراك السليم والعلم الصحيح ".[1]

2) الجدال بعلمٍ له ضوابط وآداب، فلابد له من نية صادقة، والحقُّ لا يحتاج إلى أن يتكلَّف الإنسانُ الكلمةَ، فهو أوضح من الشمس في رابعة النهار، وعلى من يتصدَّر لهذا الأمر أن يراعيَ ذلك، فعليه أن يعرض فكرته بقوة وأدب ووضوح، ولا عليه أن يستجيب الخصم، فقد أدَّى دوره المَنوط به.

ومن لا علمَ له ليس من حقه أن يجادل، فإنه سيُغري به السفهاء، فيجهلون عليه، ولن يستطيع بيان الحق في المسألة، وسيكون عُرضة للَّوم والعتاب، وهو عن ذلك غني.

3) عدم جواز الجدال بغير علم: " في الآية دليل على منع الجدال بالباطل، بل ورد الترغيب في ترك الجدال من المُحِق... وقد ورد تسويغ الجدال بالتي هي أحسن كقوله تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:125]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[العنكبوت:46]، ونحو ذلك فينبغي أن يقصر جوازه على المواطن التي تكون المصلحة في فعله أكثر من المفسدة أو على المواطن التي المجادلة فيها بالمحاسنة لا بالمخاشنة ".[2]

4) الجدل بغير علم سبيلٌ للحيدَة عن الحق، ومفتاح الضلال في الدين، فلا يزال بصاحبه حتى يَغْمِسَه في الضلال غَمْسا، فلا يستطيع منه فِكاكا، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **(ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)**، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزُّخرُف:58][3]، والمعنى " أنَّه ما ضلَّ قوم مهديون كائنين

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1263/3، 1264).

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق القنوجي، (262/2).

(3) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الزخرف، (378/5)، حديث رقم 3253، قال الألباني: حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على حال من الأحوال إلا أوتوا الجدل، يعني من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلالة "[1]، فقد كان أهل الأهواء والبِدع يشتغلون بالجدل عمَّا يعتقدون انتصارا لمذاهبهم الفاسدة وأقوالهم الباطلة، فقد أفرزت للأمة عقولُهم خبيثَ ما كانوا يُبْطِنون، فَضَلُّوا وأضَلُّوا، وما نالوا خيرا قط، فالناس عن ذكرهم بالخير لاهون، كما كانوا هم عن الخير ساهون، وهذه مصائر من اتَّبع هواه بغير هدى من الله، أن ينسى الناسُ ذكرَه، ولا يذكرون محامدَه، وإن كانت قد سارت بآرائه الرُّكبان، وتناقلها الناس على مرِّ الزمان.

5) من أضرار ومخاطر الجدال:

أ- كثرة الجدال تُوغِر الصدور، وتجعل فُرَص الإصلاح بين المتجادلين بعيدةً وصعبةً؛ لأنَّ طرفا مقتنعٌ برأيه، ولا يجد عنه محيصا، ويرى غيرَه على الباطل وإن كان مُحِقاً.

ب- يورث صاحبه الكِبْرَ والغرور، فهو لا يقبل ما عند الغير من نصح ورأي، بل الرأيُ رأيُه، والقولُ قولُه، وهو يرى نفسه فوق الجميع، ولا يرى لأحد عليه فضلا؛ حتى لا يشعر بالنقص.

ت- يَبْعثُ على كثرة الخصومات، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (**إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم**)[2]، كما يدعو إلى التعصُّب للرأي والاعتدادِ به، ويَنْأى بصاحبه عن التجرُّد للحق والانتصار له.

ث- الجدل في كثير من أحيانه – بدافع من التعصب والرغبة في الانتقام- يدعو إلى رمي الآخرين بالتهم الباطلة بما يُنقِص من شأنهم، ويَحُطُّ من قدْرهم.

ج- " ضياع الحقائق بين المتجادلين، و تبعثُرُ الحقائق على الأفواه، فلا يضبط قول، ولا يستقيم فكر؛ ولذلك كان العلماء الربانيون ينهون عن الجدل؛ لأن مثارات الجدل هي مثارات الشيطان ".[3]

ح- والجدل بغير علم يجعل من صاحبه أضحوكة للناس، فإنَّ همَّه أن ينتصر لنفسه، ويقرِّر قوله، فهو يخبط خبط عشواء، ويكون متردِّدا، فهو لا يدري من أين يؤتَى، وتلك علامة الجاهلين.

---

(1) فيض القدير، المناوي، (579/5).

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[البقرة:204]، (131/3)، حديث رقم 2457، الألد هو العسير الخصومة الشديد الحرب، (شرح صحيح البخاري، ابن بطَّال، 582/6).

(3) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (4547/9).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: بيان حقيقة إبراهيم عليه السلام وتنزيهه عن الشرك:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:67].

جادل اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام، فادَّعى اليهود يهوديَّته وادعى النصارى نصرانيته، فردَّ الله تعالى عليهم قولهم، وهنا يبين القرآن حقيقة دين إبراهيم عليه السلام، وأنَّه كان موحِّدا، وأثبت براءته من الشرك.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ما كان إبراهيم عليه السلام في يوم من الأيام يهوديا كما قال اليهود، ولا نصرانيا كما قال النصارى ولكنه كان حنيفا أي مائلا عن العقائد الزائفة متحريا طريق الاستقامة، وكان "مسلما" أي: مستسلما اللّه تعالى منقادا له مخلصا له العبادة وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذين يشركون مع اللّه آلهة أخرى بأن يقولوا إن اللّه ثالث ثلاثة، أو يقولوا عزير ابن اللّه أو المسيح ابن اللّه أو غير ذلك من الأقوال الباطلة والأفعال الفاسدة ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿حَنِيفًا﴾ : الحَنَفُ هو الميل، والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم[2]، " وقيل: الحنيف الذي يوجد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته، وهو أحسن الأديان وأسهلها وأحبها إلى الله عز وجل ".[3]

" وكلمة ﴿حَنِيفًا﴾تعني الدين الصافي القادم من الله، والكلمة مأخوذة من المُحَسَّات، فالحَنَفُ هو ميل في الساقين من أسفل، أي اعوجاج في الرجلين، ثم نقل الحنف إلى كل أمر غير مُسْتَوٍ ".[4]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:140]، قال الحسن البصري رحمه الله: " كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلامُ،

---

(1) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (181/2).

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (88/2).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (363/1).

(4) زبدة التفاسير، محمد متولي الشعراوي، ص76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن محمدا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهِد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك ".[1]

ففي هذه الآية " حدّد القرآن هوّية الأنبياء السابقين، وأنهم يلتقون مع خاتم النّبيّين على دعوة واحدة هي دعوة التوحيد الخالص لله ﷻ، وعبادة اللّه وحده، والعمل بالفضائل، والبعد عن الرّذائل ".[2]

2) وقد بيَّن الله تعالى حقيقة إبراهيم عليه السلام في غير ما موضع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:130، 131]، فجعل الله تعالى ملةَ إبراهيم عليه السلام أصلا، وجعل الراغبين عنها سفهاء، لا يفقهون حقيقة رسالته.

3) يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " وهنا يتساءل الإنسان، هل كان إبراهيم عليه السلام في العوج أو في الاستقامة؟ وكيف يكون حنيفا، والحَنَفُ عِوَج؟ وهنا نقول: إن إبراهيم عليه السلام كان على الاستقامة، ولكنه جاء على وثنية واعوجاج طاغ فالعالم كان مُعْوجًّا، وجاء إبراهيم ليخرج عن هذا العوج، وما دام منحرفا عن العوج فهو مستقيم ".[3]

4) دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه إلى التوحيد، وكان أبوه صانع الأصنام، فهو يصنعها ويبيعها، وكان إبراهيم عليه السلام يتهكَّم عليهم وعلى آلهتهم الباطلة، فبعْد مناقشتهم في التوحيد انتهى به الأمر إلى تحطيم أصنامهم وهم في عيدهم، فكادوا له وتآمروا عليه ليحرقوه، فنجَّاه الله تعالى منهم، ورفع ذِكرَه في العالمين، قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الأنبياء:57، 58].

5) دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد بما أوتيَ من قوة وبما وسِعتْه الحيلة، واستخدم أساليب الحوار والإقناع، فها هو في دعوته لأبيه يستخدم أسلوبا رقيقا يتناسب ودعوةَ الأب، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42]، وفي دعوته للنمرود استخدم الإقناع بالحُجَّة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:258].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (106/2).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (63/1).

(3) تفسير الشعراوي، (1525/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي دعوته للناس الذين يعبدون الكواكب استخدم معهم أسلوب الإقناع بالتدريج، ثم بيَّن لهم أنَّ الشمس والقمر والكوكب تغيب عنهم فلا تصلح أن تكون آلهة، فالإله لا يغيب عن مخلوقاته، ولما انتهى من حوارهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾[الأنعام:78-79].

المطلب الثالث: الادِّعاء الكاذب لا يزيد الحقَّ إلا وضوحاً:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:68].

كثيرا ما يقدِّم أهل الباطل خدماتٍ مجانيَّةً للحق وأهله، وهذه الخدمات توفِّر على المؤمنين عناء التجرِبة، وتعطيهم ثقة كبيرة بالحق الذي يحملوه، وتُكسِبُهم تعاطفا من الناس وربَّما من بعض المخالفين.

أولا: سبب النزول:

" قال رؤساء اليهود للنبي ﷺ: لقد علمت أنَّا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهوديًّا وما بك إلا الحسد فنزلت هذه الآية ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: أجدرهم بولايته وأحراهم بموافقته، ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في عصره وأجابوا دعوته فاهتدوا بهديه، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معه فإنهم أهل التوحيد المخلص الذي لا يشوبه اتخاذ الأولياء ولا التوسل بالوسطاء والشفعاء، وأهل الإخلاص في الأعمال الذي لا يبطله شرك ولا رياء، وهذا هو روح الإسلام والمقصود من الإيمان ".[2]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) كيد أعداء الحق يعود على الحق وأهلِه بالنفع: لمَّا ادَّعى أهل الكتاب أنَّ إبراهيم عليه السلام منهم، أكذبهم الله تعالى وردَّ عليهم قولهم، وهكذا شأن أهل الباطل دائما، يرمون أهل الحق بالتُّهَم الباطلة والإفك الصارخ، ولم يدْرِ هؤلاء أنَّ فعلهم ذلك يعود على أهل الحق بالنفع وعلى الحق كذلك، فالافتراء والتشهير ونحوهما تعمل على وضوح الحق وإن طال الزمن.
2) لقد كان المشركون يعتقدون في النبي ﷺ الأمانةَ والصدقَ، وكان اتهامُهم له بالكذب والجنون والكهانة والسحر ضَرْبٌ من التناقض، فقد كان من المشركين من لا يوافقهم على ذلك إلا

---

(1) زاد المسير، ابن الجوزي، (403/1)، أسباب النزول، الواحدي، ص108.

(2) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (330/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدافعٍ من الكِبر والغرور، رغم اقتناعهم بأمانته وصدقه وأخلاقه، وقد كشف القرآن الكريم بعض ذلك، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:33]، " عن علي ﷺ قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت هذه الآية ".[1]

3) عندما ادَّعى فرعون الربوبية والألوهية واستخفَّ قومه بذلك، كان بيانُ الحقِّ واضحا في يوم الزينة، وعندما غرق هو وجنودُه، فلو كان كما يدَّعي لأنقذ نفسه من الهلاك، ولكنه ادِّعاء كاذب لا يقوى أمام قذائف الحق، وكذلك كان النمرود عندما ادَّعى أنه يحيي ويُميت، كانت المناظرة الشهيرة التي انقلب فيها النمرود على أعقابه خاسئا، عندما حَجَّه إبراهيم عليه السلام.

4) أهل الباطل في كل زمان ومكان لا يألُون جهداً في إلحاق التُّهم الباطلة بأهل الحق، ولم يعلموا أن ادَّعاءاتهم الكاذبة تزيد أهل الحق قوةً إلى قوتهم، وتزيد التفاف الناس حولهم، وتضاعِف مستوى إيمانِ أهل الحق بحقِّهم، وكلما ضيَّقوا الخناق عليهم جاءت النتائج عكسية لما كانوا يؤمِّلون، فهم يمكرون بالليل والنهار، ويدبِّرون الدسائس والمؤامرات، ويعتقدون سرِّيَّتَها، فإذا هم مكشوفون مفضوحون، وهذا من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:38].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (26/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (69 . 71)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان ضلال أهل الكتاب واهتداء أهل الإسلام.

المطلب الثاني: تحذير أهل الإيمان من الكفر وكتمان الحق.

المطلب الثالث: دعوة المسلمين إلى نبذ الاتصاف بصفات أهل الكتاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان ضلال أهل الكتاب واهتداء أهل الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[آل عمران:69].

بيَّنت آيات كثيرة من القرآن الكريم أنَّ أهل الكتاب قد ضلُّوا السبيل وتنكَّبوا الطريق، فقد حرَّفوا كتبهم المنزَّلة من عند الله تعالى، وقام أحبارهم ورهبانهم بتغيير معالم دينهم، أما المسلمون فقد هداهم الله تعالى، فكانت شريعتهم معصومة، وتكفَّل الله تعالى بحفظ كتابهم، وقيَّض الله تعالى لهم علماء ربانيين يصحِّحون للأمة مسارها كلَّما نَأَتْ بها الآراء وتشعَّبتْ بها المذاهب.

أولا: سبب النزول:

" قال اليهود لمعاذ بن جبل وعمار بن ياسر: تركتما دينكما واتبعتما دين محمد؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس ﷺ ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" إن فريقاً من أهل الكتاب يتمنون إضلال المؤمنين وفتنهم عن دينهم، بإلقاء الشبه التي تُوهِن الاعتقاد، وهم في عملهم هذا لا يضلُّون إلا أنفسهم بإصرارهم على الضلال الذى يحيق بهم وحدهم، ولا يعلمون إنَّ عاقبة سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضُرُّ المؤمنين ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) موقف أهل الكتاب العدائي من بعثة النبي ﷺ والأمة الإسلامية: لقد امتلأت قلوب اليهود والنصارى غيظاً بعد مبعث محمد ﷺ، وما كان ذلك إلا الحسدُ، فإنه قد أنبأتهم التوراة والإنجيل بأنَّ نبيا قد أظلَّ زمانُه، فكانوا ينتظرونه على أنه مرسَل لهم على وجه الخصوص، ولم يكونوا يعلمون أنه من العرب، فلمَّا بُعث النبي ﷺ أضمروا عداوته من أول الأمر، ولم يألُوا جهدا في تأليب الناس عليه.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " إنَّ الإحْنة التي يكنُّها أهل الكتاب للجماعة المسلمة هي الإحْنَة المتعلقة بالعقيدة، إنهم يكرهون لهذه الأمة أن تهتدي، يكرهون لها أن تفيء إلى عقيدتها الخاصة في قوة وثقة ويقين، ومن ثَمَّ يرصدون كلها لإضلالها عن هذا المنهج، والإلواء بها عن هذا الطريق "، ثم يقول: " وهذه الرغبة القائمة على الهوى والحقد والشر، ضلال لا شك فيه، فما تنبعث هذه الرغبة الشريرة الآثمة عن خير ولا عن هدى،

---

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (404/1)، معالم التنزيل، البغوي، (53/2).

(2) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (98/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم يوقِعون أنفسهم في الضلالة في اللحظة التي يودون فيها إضلال المسلمين، فما يحب إضلال المهتدين إلا ضال يهيم في الضلال البهيم "، ثم يقول: " والمسلمون مَكْفِيُّون أمر أعدائهم هؤلاء ما استقاموا على إسلامهم، وما لهم عليهم من سبيل، والله سبحانه يتعهَّد لهم ألا يصيبهم كيد الكائدين، وأن يرتد عليهم كيدهم ما بقي المسلمون مسلمين ".[1]

2) تعريض القرآن بأهل الكتاب وضلالهم: لقد أكَّد القرآن الكريم هذا الشعور الخبيث عند أهل الكتاب، وهو الحسد بعد تبيُّن الحق الواضح عندهم، فقال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:109].

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء:44]، يقول ابن كثير رحمه الله: " يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ﷺ، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾أي يودون لو تكفرون بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع،﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ أي: هو يعلم بهم ويحذركم منهم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:45] أي: كفى به وليا لمن لجأ إليه ونصيرا لمن استنصره ".[2]

3) يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " إن معنى " ودَّت " هو " تمنَّت " و " أحبَّت "، ولماذا أحبوا أن يُضِلُّوا المؤمنين؟ لأن المنحرف حين يرى المستقيم، يعرف أنه كمنحرف لم ينجح في أن يضبط حركته على مقتضى التكليف الإيماني لـ " افعل " و " لا تفعل "، أما الملتزم المؤمن فقد استطاع أن يضبط نفسه، وساعة يرى غير الملتزم إنسانا آخر ملتزما، فإنه يحتقر نفسه ويقول بينه وبين نفسه حسدا للمؤمن: لماذا وكيف استطاع هذا الملتزم أن يقدر على نفسه؟ ويحاول المنحرف أن يأخذ الملتزم إلى جانب الانحراف، وعندما لا يستطيع جذب الملتزم إلى الانحراف فهو يسخر منه، ويهزأ به، ويحاول أن يحتال عليه ليأخذه إلى جانب الانحراف ".[3]

---

(1) في ظلال القرآن، (413/1، 414)، والإحنة: هي الحقد في الصدر، وجمعها إحَن وإحَنَاتٌ، (النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزري، (27/1)، تاج العروس، الزبيدي، 158/34).

(2) تفسير القرآن العظيم، (95/4).

(3) تفسير الشعراوي، (1533/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) إنَّ محاولات أهل الكتاب لإضلال المسلمين وردِّهم عن دينهم تبيِّن أنَّ الدين الخاتم هو الحق الذي تتحطَّم عليه كل آمالهم، ومحاولاتُهم هذه كثيرة، فحملات التنصير كانت مستمرة وبدون انقطاع لأجيال المسلمين، مستغلِّين فقر المسلمين وجهلهم بدينهم وحاجتَهم إلى العيش الكريم، ولكنَّ الصَّحوة الإسلامية التي طوَّفت في بلاد المسلمين، أيقظتهم من سباتهم، وراحت تبشِّرهم بالعلو والمجد في قادم الأيام، ولعبت دورا كبيرا في انحسار هذا المدِّ الهائج من حملات التنصير التي ترعاها دول الغرب.

وأعمال أهل الكتاب من تضليل وتشويه ما هو إلا دليل جهالتهم بدينهم، فدينهم في أصله يدعو إلى التوحيد، وقد بشَّر أنبياؤهم بمجيء محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف:6].

5) طبيعة الإسلام ومميزاته تقف سدا أمام إرادة الضلال والفتنة: أنزل الله تعالى القرآن للمسلمين كتابا مُحكماً، وحفظه من الاندثار والضياع، وسهَّل للعالمين ذكرَه فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:17]، وجعل شريعتهم وسطا، تلبي احتياجات الإنسان، وتحمي حقوقه، وتجيب عن تساؤلاته المتعلقة بالكون والحياة، فلا تتركه نَهْبَةً لآراء خادعة، ولا لمذاهب سقيمة، تُضْني عقلَه، وتُمرِض قلبَه.

وما دامت هذه الشريعة بهذا الكمال، وبهذا التناغم مع النفس البشرية فإنَّها ستقود البشرية إلى المجد والرِّفعة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وهذا يعني أنها تمتلك أدوات التأثير على القلوب والعقول، فهي ربانية المصدر، ووسطية لا غلوَّ فيها، ومتوازنة وثابتة لا تتغير، وهي واضحة لا غموض فيها، وتناسب الفطرة ولا تعارضها، وتحترم العقل، فهذه المزايا جعلت أهل الكتاب يشعرون بالحرج وضيق الصدر؛ لأنها تسحب من تحت أرجلهم البساط، وتكشف للناس عوارهم، وهذا ما لا يسلِّمون به أبدا، فكان أن جعلوا من أنفسهم أبواقا كاذبة، ينشرون الشبهات عن هذا الدين، ويشوِّهون رموزه، ويتعرَّضون بالأذى لأتباعه، وهم يعلمون أنَّ هذا الدين منتصرٌ لا محالة، ولكنهم يعملون على تأخير هذا النصر ما وسعتهم الحيلة، وبما أوتوا من قوة.

" إنهم لا يشعرون بالكارثة التي سوف تأتي من هذا الضلال المركب الذي سينالون عليه العقاب، ولو أنهم تعمقوا قليلا في الفهم لتوقفوا عن إضلال غيرهم، ولو بحثوا عن اليقين الحق لتوقفوا عن ضلال أنفسهم ".[1]

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1536/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6) حذَّر الله تعالى المؤمنين من طاعة أهل الكتاب، فهم لا يبغون إلا الشر والضلال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران:100،101]، وتبين الآية أنَّ المسلمين هم أهل الهدى والاستقامة، وأن الاعتصام بكتاب الله تعالى وبما جاء به الرسول ﷺ هو صمَّام الأمان لهم.

7) المسلمون مهتدون بهداية الله تعالى لهم، فعقيدتهم واضحة، وشريعتهم سمحة، تيسِّر على الناس أمور حياتهم، ويقبلها العقل، وتستريح بها النفس، وهم ذَوُو خُلُق ينهاهم عن ارتكاب ما لا ينبغي من آثام، وقد رفع الله تعالى عنهم الآصار التي كانت على أهل الكتاب، ولم يكلِّفهم الله تعالى من الأعمال ما لا يستطيعون، ووعدهم على القليل من الأعمال العظيمَ من الأجر، فذلك أدعىٰ لتمسُّكهم بدينهم واهتدائهم به، ويكفي لاهتدائهم بهذا الدين أنْ نبَّههم الله تعالى لِمَا كان عليه سابقوهم من الضلال والفساد، وإعلام الله تعالى لهم بكيد أعدائهم لهم وتربُّصهم بهم، مع بيان ما هم عليه من الحق، وما عليه أولئك من الباطل.

المطلب الثاني: تحذير أهل الإيمان من الكفر وكتمان الحق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ [آل عمران:70].

بعث الله تعالى أنبياءه للناس ليبيِّنوا لهم ما يجب أن يأتوه، وما يجب أن يدَعوه، فكان أوجبُ الواجبات الإيمان، وأظلم الظلم الكفر، ولهذا كان الصدعُ بالحق وإظهاره للناس شيمةَ الأنبياء وأتباعهم، فلا ينبغي لهم كتمانه، بل يلزمهم حمْلُ الناس عليه ما استطاعوا، فهو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ﴾ يقول: لم تجحدون، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بما في كتاب الله الذي أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم، من آيِهِ وأدلته، ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ أنه حق من عند ربكم، وإنما هذا من الله ﷻ توبيخٌ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد ﷺ وجحودهم نبوّتَه، وهم يجدونه في كتبهم، مع شَهادتهم أن ما في كتبهم حقٌّ، وأنه من عند الله ".[1]

(1) جامع البيان، الطبري، (502/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) هذا النداء الموجَّه لأهل الكتاب فيه إنكارٌ عليهم لكفرهم بآيات الله تعالى، فإن وجود الدلائل أمام أعينهم باعث لهم على الإيمان لا الكفر، وفي هذا النداء إشارة للمسلمين لِأنْ يحذروا من الكفر والارتداد إليه بعد الإيمان، فإنهم إن فعلوا ذلك استحقوا الذَّمَّ الحاصل لأهل الكتاب، فأهل الكتاب لم يرعَو لكتبهم حرمة، فلم يصونوها، وخلطوها بغيرها وحرَّفوها، فكان الذم لهم قرينا، وكان الذم لكل من سلك مسلكهم.

2) كتمان الحق والضَّنُّ به على الناس، فهو من صفات خبيثي النفوس، الذين لا يريدون للناس الهداية، ولا يريدون لكلمة الدين أن تسود، فاليهود عندهم علم من كتبهم بصفة النبي ﷺ، ورغم ذلك كتموا أمره، ولم يبثُّوا ذلك في الناس، قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:146]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:159]، قال أبو العالية[1]: " نزلت في أهل الكتاب، كتمُوا صفة محمد ﷺ ثم أخبر أنهم يلعنهم كلّ شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كلّ شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ".[2]

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)**.[3]

3) جرَتْ عادة كثير من حملة العلم في هذا العصر على اتِّباع الملوك والرؤساء، رغم علمهم بأنَّ ذلك فتنةً في الدين، وتلبيسا على عوام المسلمين، فهم لا يستطيعون أن يجهروا بكلمة الحق ولا أن يتحمَّلوا تبعاتها، وفي الوقت ذاته لا يريدون البقاء بعيدا عمَّا هم فيه، فيفقدون امتيازاتهم، وتذهب عنهم الشهرة، فاتِّباعهم لرأي الملوك والرؤساء نوع من كتمان العلم الذي تعلَّموه، وتزداد خطورة الأمر عندما تخرج فتاوى توافق السلطان وتخالف نصوص الشرع، فهذا فيه ارتكابٌ لجريمتين، الأولى في كتمان الحق، والثانية في مخالفة الحق رغم العلم به، وفي هذا افتراء على الدين بنسبة ما ليس منه إليه، وقد

---

(1) أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ، رأى أبا بكر، وقرأ القرآن على أبي وغيره، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما، مات على الأصح سنة ثلاث وتسعين رحمه الله تعالى. (تذكرة الحفاظ، الذهبي، 61/1).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (136/2).

(3) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ص404، حديث رقم 3658، قال الألباني: حسن صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نهى الله تعالى عن ذلك فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:116].

4) ويدخل في كتم الحق الامتناعُ عن شهادة الحق لمستحقيها، فإنَّ في ذلك إضاعةٌ للحق على أصحابه، وفتحُ ثغرة لأصحاب الأيمان الكاذبة للإدلاء بأيمانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:283].

5) كما يدخل في كتم الحق شهادةُ الزور، فشاهد الزور يعلم الحق ويعدل عنه؛ ليقتطع من مال غيره بغير وجه حق، وفيه ظلمٌ بيِّن لأصحاب الحق، وقد ورد التحذير الشديد من قول الزور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج:30]، فاقترن قول الزور بالشرك بالله تعالى، وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ " ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: " الإشراك بالله، وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئا فقال– ألا وقول الزور"، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت).**[1]

المطلب الثالث: دعوة المسلمين إلى نَبْذ الاتِّصاف بصفات أهل الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:71].

أولا: سبب النزول:

" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نجيء نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم، فأنزل الله تعالى فيهم:﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ".[2]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" لم تخلطون الحق الذي جاء به النبيون، ونزلت به كتبهم من عبادة اللّه وحده، والبشارة بنبيٍّ من بني إسماعيل يعلّم الناس الكتاب والحكمة بالباطل الذي لفّقه أحباركم ورؤساؤكم بتأويلاتهم الفاسدة، وتجعلون ذلك دينا يجب اتباعه، كما جاء في آية أخرى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، (172/3)، حديث رقم 2654.

(2) العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، (693/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:78]، ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: وتكتمون شأن محمد ﷺ وهو مكتوب عندكم في التوراة والإنجيل، وأنتم تعلمون أنكم إنما تفعلون ذلك عنادا وحسدا ".[1]

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿تَلۡبِسُونَ﴾: " اللَّبْس هو الخلط "[2]، " ولبس الحق بالباطل تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة ".[3]

2) ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: " كتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد ﷺ، ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوّضوها بأعمال أحبارهم وآثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعملون بها ".[4]

رابعا: المناسبة:

" لمَّا حكى الله تعالى عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل، أردف ذلك بأن حكى عنهم نوعاً واحداً من أنواع تلبيساتهم، وهو المذكور في هذه الآية ".[5]

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) اتَّصف اليهود والنصارى بصفات ذميمة كثيرة، فقد قتلوا الأنبياء والمصلحين، وحرَّفوا دينهم، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيحَ ابن مريم، وقالوا قلوبنا غلف، ونسبوا إلى الله تعالى الولد، ونسبوا إليه الفقر، ولم يكن فيهم أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، فذمَّهم الله تعالى على ذلك، وتعمَّدوا التحايل على الشرع في قصة أصحاب السبت، فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير، ولبَّسوا على الناس دينهم، وكتموا صفة محمد ﷺ، وسَعَوْا في إضلال المسلمين، وشدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، وكانت قلوبهم شتى، فهم يُضمِرون العداء فيما بينهم، ويَحسُدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون، ويتَّصفون بالبخل الشديد، فلا يؤتون الناس نقيرا، واشتُهِروا بالصَّدِّ عن سبيل الله، وكان فيهم أكل الربا وأكْل أموال الناس بالباطل، وهم أحرص الناس على حياة، فهم أجبن الناس، ولطالما كان الغدرُ شيمتَهم، والخيانةُ عادتَهم، ويمتهنون الخديعة والمكر السَّيِّء، ورفضوا اتِّباع محمدٍ ﷺ حسدا وبغيا، ولا يرجون لله وقارا.

---

(1) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (185/3).

(2) جامع البيان، الطبري، (566/1).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (279/3).

(4) المصدر السابق (279/3).

(5) التفسير الكبير، الرازي، (103/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" لقد أعلنوا الإيمان بموسى أو عيسى، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ، لقد أنكروا بشارة موسى وعيسى برسالة محمد الخاتمة، وكان ذلك قمة إلباس الحق بالباطل، لأنهم أعلنوا الإيمان برسولين ثم أنكروا الإيمان بالنبي الخاتم وذلك لأنهم كانوا يعلمون أن الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله هو الدين الحق، وكانوا إذا ما خلوا إلى أنفسهم عرفوا ذلك ولكنهم يجحدونه، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:14] ".[1]

2) في مناداة أهل الكتاب بهذا الاسم توبيخ لهم، فقد جاءهم العلم واضحا جليًّا، ورغم ذلك عملوا بما يخالفه، فكانوا كحمار يحمل أسفارا، فهو يَتْعبُ في حملها ونقلها ولا يستفيد منها شيئا، ولا ينالُه إلا التعب والإرهاق.

3) إنَّ في خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب السابقين بالتوبيخ والتقريع تنويها للمسلمين من بعدهم بعدم الوقوع في الأخطاء التي ارتكبوها والصفات التي اتَّصفوا بها، والمسلمون مطالبون بالحفاظ على القيم السامية التي ندبهم إليها دينُهم، والحفاظ على الخصائص المُميِّزة لأمة الإسلام، فهي أمة لها كينونتها الخاصة، لا تقبل بالدُّون ولا بالتبعيَّة لغيرها مهما كان وتعاظم في نفسه، فكيف بقوم كأهل الكتاب؟ الذين انتشرت فيهم أمراض المجتمعات، واستفحلت فيهم أدواء سابقيهم من الغابرين، وفوق هذا كله كان فيهم الأنبياء والمصلحون، ولكن ظلَّت صفاتهم كما هي لا تتغيَّر، ويحاولون نقلها إلى غيرهم بالعدوى الفاتكة، وفي المطلب الأول من هذا المبحث كان الحديث عن حب أهل الكتاب الشديد وحرصهم على إضلال المسلمين حسدا وبغيا، فهم لا يبغون لأحد الخير، فضلا عن تمنِّي ذلك له.

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1538/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (72 . 74)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحذير من التلاعب بالدين.

المطلب الثاني: التحذير من التعصب الأعمى.

المطلب الثالث: اختصاصُ الله تعالى بعض عباده بالفضل والخير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: التحذير من التلاعب بالدين:

قـال الله تعـالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران:72].

أولا: سبب النزول:

" كان أحبارُ قُرَى عربيةَ اثني عشر حبرًا، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا: نشهد أن محمدًا حقّ صادقٌ، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدَّثونا أن محمدًا كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكّون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أوّل النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله ﷻ رسوله ﷺ بذلك".

"قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال طائفة من اليهود لبعضهم: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخر النهار فصلُّوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهو أعلم منا لعلهم ينقلبون عن دينهم ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" قال اليهود بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعُه ارتيابٌ في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) لقد آتى الله تعالى بني إسرائيل الكتاب، وأمرهم بالتزام طاعته، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:63]، ولكنهم استمرءوا المعصية، وعُرفوا بالتَّولي والإعراض عن دين الله تعالى الذي أنزله إليهم، فكيف إذا جاءهم نبي من غير قومهم؟ فإنهم سيتخذون تدابيرهم وبما أوتوا من قوة لصدِّ الناس عنه، رغم أنهم يجدون في كتبهم صفتَه، وأنَّه النبي الخاتم، ولكنهم ضلُّوا وأضلُّوا.

2) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء:51]، فهم حريصون أشدَّ الحرص على ضلال الناس وعدم اهتدائهم للدين الحنيف، وإن كانت الطريقة تصحيحَ مذهب المشركين

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (507/6،508)، العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، (695/2).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (169/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على منهج المؤمنين، فاستحقوا بذلك اللعن والطرد من رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء:52].

3) إن اتخاذ الدين مطية لتحقيق مآرب شخصية أو منافع لأجل الدنيا أمرٌ مُنافٍ لحقيقة ما نزل الدين لأجله، فالدين نزل ليَحكُم حياة الناس ويضبط تصرفاتهم، لا أن يكون كشيء اختياري، يأخذ منه صاحبه ما يخدم مصلحته، ويتركه متى كان عليه التزام يجب الوفاء به، فيكون في ذلك مشابها لليهود في فعلهم.

4) إن الواجب على المسلمين أن يتَّسموا بالجدِّية في التعاطي مع أوامر الشرع ونواهيه، وهذا ما أمر الله تعالى به بني إسرائيل من قبل، قال تعالى: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:63]، أي: " تمسَّكوا به، واعملوا بما فيه بجد ونشاط، وتقبلوه واجتنبوا نواهيه، واعملوا ما جاء به بدون تردد ".[1]

5) إنَّ اتِّخاذ المرء دينه لعبا دليلٌ على عدم تمكُّن الإيمان في قلبه، فإنه لا تهزُّه الغيرة على محارم الدين عندما تُنتهك، ولا يجد في نفسه حرجا إذا فرَّط في أمر من أوامره، أو ارتكب نهيا من نواهيه؛ وذلك لعدم توفُّر دواعي الإيمان الحقيقي في قلبه.

6) إن التلاعب بالدين يقتل في النفس الحميةَ له، وهذا نذير شؤم على صاحبه وعلى المجتمع كذلك، فإنَّ استفحال هذا الأمر في المجتمع يهدِّد وجوده، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[محمد:38]، وإن تعاقبَ الأيام على المرء وهو في تفريطه هذا بداية للتفلُّت من تعاليم الشرع وأحكامه، فهو لا يعبأ بما أتى من أمر عظيم أو حقير، فتهون عنده المعصية، فلا يجد حرجا في اقترافها، ولا تحجزه نوازع الخير فيه عن اقتحام الحِمى، ولا يزال كذلك حتى يُختم على قلبه، ويصبح كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطفِّفين:14]، فإذا وصل به الأمر إلى ذلك الحد انقلب على أصحاب التمسُّك يلمزهم ويؤذيهم بقوله وفعله، ويصبح قلبه أسودَ مربادا كما قال رسول الله ﷺ: **(تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرْبادا كالكوز مُجَخِّيا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه).**[2]

---

(1) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (256/5).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبا وأنه يأرز بين المسجدين، (128/1)، حديث رقم 144، مربادا أي: هو أن يختلط السواد بكدرة، كالكوز مجخِّيا أي: منكوسا أو مائلا، (صحيح مسلم بشرح النووي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7) إن المتلاعب بالدين يفتح على نفسه أبواب الفتن واسعةً، ويغرق في هواه، فيفعل ما يريد بدون حاجز يحجزه، أو دين يردعه، والشيطان في هذه الحالة يتلاعب بالإنسان كالكرة في يد الصبي، يوجِّهها حيث يشاء، حتى يُرديه في نار جهنم والعياذ بالله.

8) سبب التلاعب الرئيس هو هوانُ الدين عند أصحابه، فيصبحون بلا حرمات، وتصبح أوامر الدين لا قدسية لها، وهذا ما عملت لأجله عقول قوى الشرق والغرب عبر المستشرقين وأتباعهم في هذا الزمان، ومعهم من يدَّعون الحداثة والتحضُّر والمدنية، إنها دعوة للتحلل من قيم الشرع الحنيف، واتخاذها ظهريا.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " إن لهذه القوى اليوم في أنحاء العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العملاء في صورة أساتذة وفلاسفة ودكاترة وباحثين – وأحياناً كتاب وشعراء وفنانين وصحفيين– يحملون أسماء المسلمين، لأنهم انحدروا من سلالة مسلمة، وبعضهم من "علماء" المسلمين، هذا الجيش من العملاء موجَّهٌ لخلخلة العقيدة في النفوس بشتى الأساليب، في صورة بحث وعلم وأدب وفن وصحافة، وتوهين قواعدها من الأساس، والتهوين من شأن العقيدة والشريعة سواء، وتأويلها وتحميلها ما لا تطيق، والدق المتصل على رجعيَّتها، والدعوة للتلفت منها، وإبعادها عن مجال الحياة إشفاقا عليها من الحياة أو إشفاقا على الحياة منها، وابتداع تصورات ومُثُل وقواعدَ للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها، وتزيين تلك التصورات المبتدعة بقدر تشويه التصورات والمثل الإيمانية، وإطلاق الشهوات من عقالها، وسحق القاعدة الخلقية التي تستوي عليها العقيدة النظيفة لِتَخِرَّ في الوحل الذي ينثرونه في الأرض نثراً، ويشوهون التاريخ كله ويحرفونه كما يحرفون النصوص ".[1]

المطلب الثاني: التحذير من التعصب الأعمى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:73].

إنَّ من منهج الدين الحنيف التحيُّزُ للحق، وعدم الغلو فيه، فلا تعصُّبَ إلا للدين، ولا حميةَ إلا للحق، والناس في فهم الأمور مختلفون، كلٌّ يفهمها بطريقته، ولكنَّ الضابط في هذا كله الدينُ، فهو الحَكَمُ في جميع شؤون الحياة.

محيي الدين النووي، 173/2).

(1) في ظلال القرآن، (415/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: المعنى الإجمالي:

" قال اليهود لأتباعهم: لا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم، فلا تظهروا ما عندكم للمسلمين حتى يتعلموه منكم، أو يتخذوه حجة عليكم بما في أيديكم، فتتغلب حجتهم عليكم في الدنيا والآخرة، فرد اللّه عليهم بأن اللّه هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتمِّ الإيمان، بما ينزل على رسوله من الآيات البينات، وليس إظهاركم للحق أو إخفاؤكم له دخل في الهداية، بل الهداية من اللّه وتوفيقه، والفضل بيد اللّه، يؤتيه من يشاء، ويختص برحمته من يشاء، كإعطاء النبوة لمحمد، واللّه دائما ذو الفضل العظيم ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

" ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ : فيه قولان: أحدهما: معناه لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم، والثاني: لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم ".[2]

ويجوز أن يكون " قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ كلامَ الله يثبِّت به قلوب المؤمنين لئلا يشكُّوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم، يقول لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل، ولا تصدقوا أن يحاجوكم في دينكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله ".[3]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) كان اليهود ولا زالوا أكثرَ الناس تعصبا لما يرونه من دينهم الباطل، وقد علموا من نصوص كتابهم أنَّ الإسلام هو الدين الخاتم الذي يبعث الله به محمدا ﷺ، وعملوا على إضلال المسلمين بطرق شتى، فقد تواصَوا فيما بينهم لينفذوا خدعة تفتَّقت عنها عقولهم الرديئة، وحسِبوا أنها قد تنطلي على بعض المسلمين، ولم يكن في حسابهم أنْ يُكشَفوا، فأظهر الله تعالى خبيئتهم، وكشف للمسلمين حقيقتهم.
2) بيَّنت هذه الآية مدى تعصُّب اليهود لدينهم المحرَّف، فتآمروا فيما بينهم على عدم تصديق المسلمين، وعدم الوثوق بهم، وألا يُظهروا ما بين أيديهم من كتاب فيكون حجة للمسلمين عليهم.

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (203/1).

(2) النكت والعيون، الماوردي، (401/1).

(3) معالم التنزيل، البغوي، (55/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) مساوئ التعصب:

أ- إن التعصب مذموم حين يفتقر إلى الدليل، أما إذا وُجد الدليل فلا بد من التوقف عنده، بدون مبالغة ولا مغالاة، فالدين وسط، فلا إفراط ولا تفريط، والأخذ بالدليل وعدم مجاوزته لا يُعدُّ تعصبا، بل هو التمسُّك الذي أمر الله تعالى نبيه ﷺ به فقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزُّخرُف:43].

ب- التعصب دليل على حُمق صاحبه وضعفه، كما يدل على كِبرٍ في النفس، فلا يقبل الحق رغم وضوحه، ويتحجَّر عند رأيه وإن خالف الصواب.

ت- التعصب من صفات أهل الجاهلية، فإنهم ردُّوا الإسلام لأنهم وجدوا آباءهم على طريقة ورثوها كابراً عن كابر، ولا يريدون مخالفتها، فدفعهم هذا التعصب إلى البقاء في الكفر منغمسين، قال تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزُّخرُف:22].

ث- التعصب من بقايا الجاهلية، وكان لأجله يقتتل الناس، وبه يتفاخرون، ويطعن بعضهم في بعض، واشتهر به العرب في جاهليتهم الجهلاء، فجاء الإسلام فهذَّبهم، وجعل منهم إخوة متحابين، وأذاب الفوارق التي غرسها فيهم أجدادهم، فالناس كلهم لآدم، وآدم من تراب، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: **(يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية[1] الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: بَرٌّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب)**،

قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحُجرات:13].[2]

ج- والتعصب للرأي بدون دليل مدعاةٌ للتباغض وتنافر النفوس، فهو يُعمي القلب عن إبصار الحقيقة، وينهى صاحبه عن التجرُّد، ويأمره بالاعتداد بنفسه، ويسوِّل له أنَّ الحق إلى جانبه، ولا يدري أنَّ قلبه قد غشيته الظُّلمة، وغطَّاه الكِبْر، واستحوذ عليه الشيطان.

ح- والتعصُّب مفتاح لأمراض القلوب، فهو ينمِّي الحقد على المخالف وإن كان مُحِقًّا، وهو يعمي البصيرة عن إدراك الحق، ويبعث على الحسد والبغض، ويشعل في قلب صاحبه

---

(1) عبية الجاهلية أي: نخوتها وكبرها وفخرها، تعاظمها أي: تفاخرها، (تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، 155/9).

(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحجرات، (389/5)، حديث رقم 3270، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نار الغِل والكراهية، ويدفعه إلى الانتقام، ويحمله على سوء الظن وازدراء الخصوم، ويصبغه بصبغة الغرور، ويطلق للسانه العنان للنَّيل من الخصم، ويتعاظم في نفسه، وقد نهانا الله تعالى عن كل ذلك.

4) وقد انتشر هذا البلاء بين كثير من المسلمين في القديم والحديث، وخصوصا عندما انتشرت المذاهب الفقهية، فكان بعض الأتباع يتعصبون للمذهب رغم وجود الدليل عند الآخر وبيان حُجَّته، وكذلك عند الفرق التي نبغت نابغتُها عندما ظهرت كتب الفلسفة والمنطق بين المسلمين، فأدَّى هذا إلى تفرق المسلمين شيعا، وكل هذه الفرق لا تستند إلى دليل صحيح معتدٍّ به، وإن كان دليلها صحيحا أفسدَتْه بالتأويل الخاطئ المخالف لروح الشريعة ونهجها.

5) لقد اهتم الغربيون والمعادون للإسلام وأهله بإحياء روح العصبية الجاهلية، فعمدوا إلى بث فكرة القومية، ورجوع الناس إلى أعراقهم بعدما وحَّدها الإسلام، واتِّخاذ اللغات القومية، كلغة الأكراد والأمازيغية ولغة البرابرة وغيرها مما يسهم في تفتيت الوحدة الإسلامية، وقد وجدوا من يعتنق آراءهم الخبيثة من أبناء أمة الإسلام، ويروِّج لها، فظهرت الدعوات المنتنة الجاهلية، تفرِّق بين الناس في أعراقهم وقومياتهم، وجعلوا بين الشعوب الحدود والسدود؛ ليطفئوا نور الأخوَّة الإسلامية، ويبذروا بذور الفتن والشقاق بين الشعوب الإسلامية، وحرصوا على تقوية طرف على طرف يعلمون أنَّ بينهما خلاف ما، بهدف إبقاء جذوة الصراع مشتعلة بين الفريقين، وهم ينظرون إلى مكاسبهم التي حقَّقوها.

6) " إن نتائج التعصب والتقليد جسيمة وخطيرة، من أشدها عدم قبول الحق، ورده إذا جاء من المخالف، وهذا إلى جانب كونه مؤديا إلى العداوة والبغضاء والتفرق، فهو خصلة ذميمة من خصال اليهود، والذين أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ، بمجانبة طريقهم وعدم التشبه بهم ".[1]

7) إنكار الإسلام على من ادَّعى عصبية جاهلية: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: **(ما بال دعوى الجاهلية؟** " قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: " **دعوها، فإنها منتنة** "، فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال عمر ﷺ: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: " **دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)**.[2]

---

(1) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي الصلابي، ص305.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، (1998/4)، حديث رقم 2584،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: اختصاصُ الله تعالى بعض عباده بالفضل والخير:

قال الله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:74].

إن من سُنَّة الله تعالى في خلقه أنْ يجعل بعضهم فوق بعض درجات، وإن كان هذا داخلاً في الفضل والتشريف فإنَّه في باب التكليف أَدْخَلُ، والله ﷻ عندما يختصُّ أحدا بنعمة دون غيره فإنَّ ذلك أدعى للقيام بشكر النعمة، والقيام بما تُوجِبُه هذه النعمة من أعمال وحقوق.

" إن أحداً ليس له حقٌّ على الله، فكل لحظة من لحظات الحياة هي فضلٌ من الله، وهو سبحانه يعطي رحمته بالإيمان بمنهجه لمن يشاء، وهو صاحب الفضل المطلق ".[1]

أولا: المعنى الإجمالي:

" إن فضل الله الواسع ورحمته العامة يعطيهما بحسب مشيئته، لا كما يزعم أهل الكتاب من قصرها على الشعب المختار من بنى إسرائيل، فهو يبعث من يشاء نبيا ويبعثه رسولا، ومن اختصه بهذا فإنما يختصه بمزيد فضله وعظيم إحسانه، لا بعمل قدّمه ولا لنسب شرّفه، فاللّه لا يحابى أحدا لا فردا ولا شعبا، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا ".[2]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: أي " يختص بالنبوة وما يترتب عليها من الهداية والنعم من يشاء من عباده "[3]، قال الإمام الطبري رحمه الله: " وأما رحمته في هذا الموضع، فالإسلام والقرآن، مع النبوّة ".[4]

ثالثا: اللطائف البيانية:

" ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تذييل لأن الفضل يشمل إعطاء الخير والمعاملة بالرحمة، وتنبيه على أن واجب مريد الخير التعرض لفضل الله تعالى والرغبة إليه في أن يتجلى عليه بصفة الفضل والرحمة فيتخلى عن المعاصي والخبائث ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربه ".[5]

والكَسْع هو ضَرْب الدُبُر باليَد، (النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، 173/4).

(1) زبدة التفاسير، محمد متولي الشعراوي، ص77.

(2) تفسير الشيخ المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (187/3).

(3) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (195/2).

(4) جامع البيان، الطبري، (517/6).

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (654/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أنكر اليهود أن تكون النبوة لأحد غيرهم فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:73] " زيادةُ تذكيرٍ لهم وإبطال لإحالتهم أن يكون محمد ﷺ رسولاً من الله، وتذكير لهم على طرح الحسد على نعم الله تعالى أي كما أعطى الله الرسالة موسى كذلك أعطاها محمداً ﷺ ".[1]

2) لم يخلق الله تعالى مخلوقاته على درجة واحدة من الأفضلية، بل جعلهم متفاوتين، فقد اصطفى من الملائكة جبريل عليه السلام أمينا للوحي، ومن البشر الأنبياء، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن البلاد مكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:33].

3) فضَّل الله تعالى البشر على كثير من خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:70]، ورجَّح الشيخ الشعراوي رحمه الله أن تكريم الله ﷻ لآدم أن خلقه بيده[2]، لكنَّ " الصحيح الذي يُعَوَّلُ عليه أنَّ التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عُمْدةُ التكليف وبه يُعرف اللهُ ويُفهم كلامُه ويوصِل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لمَّا لم ينهض بكل المراد من العبد بُعِثت الرسلُ وأُنْزِلَت الكتب ".[3]

4) تفضيل الأنبياء بعضِهم على بعض: قال تعالى:﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:253]، وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:55]، فالرسول أفضل من النبي، وكان من الرسل أولوا العزم، وهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب:7]، وأفضل الخلق وحبيب الحق هو محمد ﷺ، فهو مُحَمَّدٌ في الأرض والسماء أي محمود فيهما، قال ﷺ: **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع)**[4]، وقال ﷺ: **(...واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)**.[5]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (283/3).

(2) تفسير الشعراوي، (8681/14).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (126/13).

(4) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا محمد على جميع الخلائق، (1782/4)، حديث رقم 2278.

(5) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (1782/4)، حديث رقم 2276.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) خيرية هذه الأمة: اختار الله تعالى أمة الإسلام، وجعلها خير أمَّة أُخرِجت للناس، وأرسل إليها أفضل الرسل وشرع لها أفضل الشرائع، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]، وجعل الله تعالى مناط خيريَّتِها في إيمانها بالله تعالى، وقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن خيريَّة هذه الأمة أنها تشهد يوم القيامة للأنبياء بالبلاغ بما علمت من دينها أنَّ كلَّ نبي قد بلَّغ دعوة ربِه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يُجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، يا رب، فتُسْألُ أُمَّته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُجاء بكم، فتشهدون)**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ **قال: عدلا،** ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]).[1]

وفي سنة التفضيل ملْحظٌ تربوي، وهو أنْ يَتَخيَّرَ الإنسانُ لنفسه أفضل السُّبُل، وهو الإسلام، ويصطفيَ لنفسه أسمى الأخلاق، فبِها يرتقي، وينتقيَ لنفسه أفضل الأشياء فيكون له أهلا، فلا يرضى بمهنة وضيعة، رغم احترام الإسلام للعمل أيًّا كان، ويختارَ زوجة صالحة تكون في ظنه أفضل النساء، وهكذا في شأنه كلِّه، ينظر إلى معالي الأمور وأحسنها، وينأى بنفسه عن الأقل والأدنى، وهذا لا ينافي التواضع.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالقرآن والسنة، باب قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:143]، (107/9)، حديث رقم 7349.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب السادس

الآيات (75 . 92)

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (75 . 78).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (79 . 80).

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (81 . 84).

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (85 . 89).

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (90 . 92).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (75 . 78)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان أن الإسلام دين العدل والإنصاف.

المطلب الثاني: التحذير من القول على الله تعالى بغير علم.

المطلب الثالث: أهمية أداء الأمانة والوفاء بالعهد والتحلي بالتقوى.

المطلب الرابع: التحذير من اتخاذ الدين مطية لتحقيق مكاسب دنيوية.

المطلب الخامس: التحذير من التلبيس على الناس وفتنتهم في دينهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان أن الإسلام دين العدل والإنصاف:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:75].

هذا " مطلق الإنصاف الإلهي، فإذا كان الله تعالى قد كشف للرسول ﷺ بعضا من مكر أهل الكتاب فذلك لا يعني أن هناك حَمْلةً على أهل الكتاب وكأنهم كلَّهم أهلُ سوء، لا، بل منهم مَنْ يتميز بالأمانة، وهذا القول إنما يؤكد إنصاف الإله المنصف العدل ".[1]

أولا: المعنى الإجمالي:

" هذا سلوك أهل الكتاب في الاعتقاد، أما سلوكهم في المال فمنهم من إن استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أدَّاه إليك لا ينقص منه شيئاً، ومنهم من إن استأمنته على دينار واحد لا يؤديه إليك إلا إذا لازمته وأحرجته، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون، وأنهم لا ترعى لهم حقوق، ويدعون أن ذلك حكم الله، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه ﷻ ".[2]

ثانيا: المناسبة:

ادَّعى اليهود في الآية السابقة " أنهم أوتوا من المناصب الدينية ما لم يؤت غيرُهم، ثم إنه بيَّن ﷻ أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان، ولما حكى عنهم في الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان، وهو أنهم قالوا ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ حكى في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم وأخذ أموال الناس في القليل والكثير.[3]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ أهل الكتاب انقسموا في أداء الأمانة إلى فريقين، فريقٍ يؤديها بالغةً ما بلغت، وفريقٍ يجحدها وإن قلَّتْ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " إنها خطة الإنصاف والحق وعدم البخس والغبن يجري عليها القرآن الكريم في وصف حال

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1542/3).

(2) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (95/1).

(3) انظر: التفسير الكبير، الرازي، (110/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل الكتاب الذين كانوا يواجهون الجماعة المسلمة حينذاك، والتي لعلها حال أهل الكتاب في جميع الأجيال، ذلك أن خصومة أهل الكتاب للإسلام والمسلمين، ودسهم وكيدهم وتدبيرهم الماكر اللئيم، وإرادتهم الشر بالجماعة المسلمة وبهذا الدين، كل ذلك لا يجعل القرآن يبخس المحسنين منهم حقهم، حتى في معرض الجدل والمواجهة، فهو هنا يقرر أن من أهل الكتاب ناساً أمناء، لا يأكلون الحقوق مهما كانت ضخمة مغرية ".[1]

2) الخيانة جزء من الشخصية اليهودية: من نفيس كلام الإمام القرطبي رحمه الله: " أخبر تعالى أن في أهل الكتاب الخائن والأمين، والمؤمنون لا يميزون ذلك، فينبغي اجتناب جميعهم، وخُصَّ أهل الكتاب بالذكر – وإن كان المؤمنون كذلك– لأنَّ الخيانة فيهم أكثر فخرج الكلام على الغالب، والله أعلم "[2]، وكلام الإمام القرطبي رحمه الله مبنيٌّ على الاحتياط في التعامل مع هؤلاء، فالخيانة فيهم أصيلة، وهم لا يتورَّعون عن إلحاق الضرر بالمسلمين حيثما واتَتْهم الفُرَص.

3) أخبرت الآية " عن خلق عجيب فيهم، وهو استخفافهم بحقوق المخالفين لهم في الدين، واستباحةُ ظلمهم مع اعتقادهم أنّ الجاهل أو الأمّي جدير بأن يُحَض حقُّه"[3]، وهذا حال اليهود إلى يومنا هذا.

4) قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ:24] ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحِجاج... والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى، ومن خالفه في ضلال، فكذَّبهم من غير أن يصرح بالتكذيب.[4]

5) أمر الله تعالى بالعدل بين الناس في الحُكْم وغيره فقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[النحل:90]، فالعدل " يشمل ما كان في حقه تعالى وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفَّرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركَّبة منهما في حقه وحق عباده ".[5]

6) أهمية العدل وفضيلته:

أ- إنَّ العدلَ قيمةٌ عليا، يتطلَّع إليها كل الناس، فلا يجدر بإنسان سويٍّ أن يبيحَ لنفسه

---

(1) في ظلال القرآن، (417/1).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (177/5).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (288/3).

(4) معالم التنزيل، البغوي، (399/6).

(5) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (182/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتداء على حقوق الآخرين، فالله ﷻ قد حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرَّما، فعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا ...).**[1]

ب- إنَّ إنصاف المرء غيرَه من نفسه فضيلةٌ ومَنْقَبة، فهو من شِيَم أرباب النفوس الكبيرة التي تعالتْ على أدواء النفوس والقلوب، فاتِّباع الحق أَوْلى وأَحْرى أينما كان، وهذا دليل التواضع ومعرفة المرء قدْرَ نفسه، فإنَّ الإنسان لا يزال كبيرا عند الله تعالى وعند الناس ما دام ينتصف من نفسه، ويعترف للآخرين بما يجب لهم.

ت- العدل أساس الملك وعموده، فمتى استقام أمر العدل ساد الأمن، وانتظمت حياة الناس، وعمَّت البركة وانتشر الرخاء، ويصبح المجتمع أقربَ إلى المثالية والكمال، ففي خلافة الفاروق عمرِ بنِ الخطاب ﷺ عاش الناس في ديارهم آمنين، فلا مكان للظالمين بينهم، ومَنْ يَشْتمُّ فيه عمرُ ﷺ رائحة ظلم أو جَور أو غِلظة فإنه يعزله إن كان والياً، ولا يولِّيه إن كان خالياً.

المطلب الثاني: التحذير من القول على الله تعالى بغير علم:

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:75].

أنزل الله تعالى للناس شرائع محكمة، وحذَّر من التلاعب بها، فإنَّها ما أُنزلت إلا للعمل بما أوجبَتْه، واجتناب ما نَهَتْ عنه، ولم تترك لأحد مجالا للإضافة إليها أو الحذف منها، فإنَّ ذلك مؤشر خطير وعلامة شؤم في حق من ارتكبه، فقد انتحل صفة ليست له، ولا هو لأمرها مُطيق.

العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أخبرت الآية عن صفة من صفات اليهود، وهي افتراء الكذب على الله تعالى بعلم، فقد احلُّوا لأنفسهم أموال العرب، "وردَّ الله عليهم بأنهم يكذبون على الله بادعائهم أن ذلك في كتابهم، وهم يعلمون كذبهم الصريح فيه؛ لأن التوراة خالية من هذا الحكم الجائر وهو خيانة الأميين".[2]

2) إنَّ افتراءَ الكذب على الله تعالى بعلمٍ جريمةٌ كبرى، فهي نسبة قول أو حكم إلى الله تعالى لم ينزلْه الله في كتاب ولم يأمر به رسولا، واليهود بين أيديهم التوراة، ثم نزل الإنجيل، فيهما الهدى والنور، ولكنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، فحرَّفوا كتاب الله تعالى، وخلطوه بغيره من كلام الأحبار والقساوسة، واتَّخذوا ذلك دينا ومنهجا، واعتقدوا أنَّهم على الهدى، وغيرَهم على الضلال.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (1994/4)، حديث رقم 2577.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (267/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكر القرآن الكريم في عدة مواضع وجودَ هذه الصفة الرديئة في اليهود والمشركين، قال تعالى مُخبرا عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء:49، 50]، قال ابن زيد[1]: " نزلت في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:18]، وفي قولهم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة:111] ".[2]

3) كان المشركون يعتقدون توحيد الله في ربوبيته، فهم يؤمنون بالله تعالى ربا موجودا وخالقا ومحييا ومميتا ورازقا ومدبرا لشؤون الكون، لكنَّهم أشركوا به في توحيد العبادة، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر:43]، فهم بعبادتهم لهذه الأوثان قد افترَوا على الله تعالى إفكا عظيما بصرف عبادتهم لغيره، وزعمهم أنَّ هذه الأوثان تنفع وتضر، فالشرك هو أظلم الظلم، وأفرى الفِرى، وأعظم جريمة ارتكبها الإنسان.

4) نعى الله تعالى على المفترين عليه ظلمَهم، وتوعَّدهم عليه عذابا في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:18].

5) جعل الله تعالى هذا الدين في كفالته وحفظه، فمهما حاول المفترون تحريفه أو تأويله بما يخالف روح الشريعة، فإنَّ ذلك سيرتدُّ عليهم خيبة وحسرة، فلا فلاح لهم ولا بقاء لطرقهم الفاسدة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس:69]، فمَهْما طال أمدُهم، واستعانوا بكل الحِيَل والألاعيب لصَرْف الناس عن منهج الله الحق، فإنَّ ذلك إلى بوار واندحار، ومصيرهم في الآخرة عذاب النار، فلن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غَلَبَه، وإنَّ الهُدى والسَّناءَ والتمكينَ لأهل الحق ما عَضُّوا عليه بنواجذهم، وصبروا على مشاق الطريق ولأْواء السَّفَر، قال رسول الله ﷺ: **(يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدولُه، يَنْفُون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)**[3]، فالعدولُ موجودون في كل زمان، وهم العلماء الذين يبيِّنون للناس أمور دينهم، ويحفظون عقول الناس وأفهامهم من تخليط المبتدعين وتأويلات الجاهلين المبطلين.

---

(1) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي البصري: أحد الأعلام وصاحب ابن عباس ﷺ، قال ابن عباس: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله، توفي سنة 93هـ، (تذكرة الحفاظ، الذهبي، 71/1).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (111/4).

(3) مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، كتاب العلم، الفصل الثاني، (82/1)، حديث رقم 248، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: أهمية أداء الأمانة والوفاء بالعهد والتحلي بالتقوى:

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:76].

جاء الإسلام مقرِّراً للأخلاق وداعياً إليها، فقد أقرَّ كثيراً من خلالٍ اتَّصف بها العرب في جاهليَّتهم، ومنها أداء الأمانة والوفاء بالعهد، وجعلها الإسلام من أمارات الإيمان ومن لوازم التقوى.

أولا: المعنى الإجمالي:

" من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه، من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بُعث، كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك، واتقى محارم الله تعالى واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيد البشر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) إنَّ التعامل بالأخلاق الحميدة مع الناس هو تعامل مع الله تعالى بطريقٍ أَولى، فالمسلم يعامل غيره من الناس– وإن اختلفت عقائدهم– بأخلاقه هو لا بأخلاقهم هم، وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ: **(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)**[2]، فلفظة الناس عامة لا تُقصر على المسلمين، أي كل الناس، ومعاملة الناس بالخلق الحسن مرتبط بالتقوى التي يتبعها مغفرة الذنوب، فالارتباط بين التقوى والخلق الحسن قوي، والثاني ناتج عن قوة الأول وحضوره.

2) **أداء الأمانة:**

أ– " إن الأمانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل، وقد ضرب الله المثل لضخامتها، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:72] "[3]

ب– بيَّن القرآن أنَّ أداء الأمانة من صفات المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[المؤمنون:8]، وبيَّن النبي ﷺ أنَّ خيانة الأمانة من صفات المنافقين، قال ﷺ: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)**.[4]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (92/3).

(2) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، (355/4)، حديث رقم 1987، قال الألباني: حسن.

(3) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص53.

(4) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (16/1)، حديث رقم 33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) الوفاء بالعهد:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:34]، وقال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [الأنعام:152]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:1]، " إذا أبرم المسلم عقدا فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدا فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهى إليها كما ينتهى الماء عن شطآنه، فيعرف بين الناس بأن كلمته مَوثِق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطمع في اصطيادها".[1]

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:91]، وهذا يشمل جميع ما عاهد عليه العبد ربَّه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إنْ كان الوفاء بها برًّا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعدِه العبد لغيره ويؤكده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها.[2]

وقد ذكر الله تعالى أنَّ الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين أولي الألباب، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد:20]، كما ذكر أن نقض العهد من صفات الكفار والمنافقين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾[الأنفال:55، 56]، وقال رسول الله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)**.[3]

والقيام بتوفية العقود مَنوطٌ بموافقتها للشرع، وإلا فإنَّ الوفاء بها يصبح نقضاً للعهد مع الله تعالى؛ لأنَّ العقد مع الله تعالى أولى بالوفاء، قال رسول الله ﷺ: **(الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً)**.[4]

---

(1) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص54.

(2) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (183/4).

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (16/1)، حديث رقم 33.

(4) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما ذُكر في الصلح بين الناس، (634/3)، حديث رقم 1352، قال الترمذي: حسن صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) التحلي بالتقوى:

أ- التقوى حِلْية المؤمن وعنوانه بين الناس، وهي سبب النجاة في الآخرة، فقد وعد الله تعالى المتَّقين بأنَّ العاقبة لهم فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (**تقوى الله وحسن الخلق**)[1]، وقد كانت العاقبة للمتقين في الآخرة لِما عُلم من حالهم عدم اقتحام المحارم، ولزوم حدود الطاعة فلا يتجاوزونها، فالمنع باب العطاء، فإنهم لما حرموا أنفسهم الشهوات، نالوا من الله أسنى الدرجات.

ب- التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:131].

ت- اكتساب التقوى: ليست التقوى صفة ابتدائية، بل تأتي بالجِدِّ والتميُّز في الأعمال، فهي صفة مكتسبة، ولا يزال العبد يديم أعمال الخير حتى تصير سجيَّته، لا تفارقه أبداً، فاكتساب التقوى يكون بالقيام بأعمالٍ لا يستطيع معظم الناس القيام بها؛ لثقلها على النفس، قال تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[الذاريات:15- 19]، فكلَّما اشتدَّت مقاومة المؤمن لنفسه وشهواته ارتفع منسوب التقوى في قلبه، فآتتْ أُكُلَها وحاز المؤمن بها شرف الدنيا والآخرة.

ث- من آثار التقوى: للتقوى آثار طيبة، فهي صمَّام أمان للمجتمع، فإذا استشعر كل واحد أنه مُراقَب ومحاسَب، فلن يُقدِم على عمل يغضب الله تعالى، وبذلك تستقيم الأمور، ويصبح المجتمع أقرب إلى المثالية كمجتمع الصحابة ﷺ، فتختفي الجرائم، ويَعُمُّ الأمن، وتكثر الخيرات، وتزداد البركات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96]، ويقترب النصر، وتعلو راية التوحيد.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، (363/4)، حديث رقم 2004، قال الترمذي: حديث صحيح غريب، وقال الألباني: حسن الإسناد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: التحذير من اتخاذ الدين مطية لتحقيق مكاسب دنيوية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:77].

ما كان الدين في يوم من الأيام أداة لتحقيق المكاسب الدنيوية الباطلة، فالشريعة وإن جاءت لتمكين الناس من تحقيق مصالحهم بِوجهٍ مشروع، فإنَّ اتِّخاذها وسيلة لكسب الدنيا بالباطل أمرٌ له خطرُه، فهو يودي بصاحبه إلى المهالك في الآخرة كما أخبرت الآية الكريمة.

أولا: سبب النزول:

عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من حلف على يمين، وهو فيها فاجر، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان**، قال: فقال الأشعث: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: " **ألك بينة ؟** " ، قلت: لا، قال: فقال لليهودي: " **احلف** "، قال: قلت: يا رسول الله، إذاً يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾إلى آخر الآية).[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" إنّ الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه، باتباع محمد وتصديقه والإقرار به وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها، ﴿ثَمَنٗا﴾ يعني عوضًا وبدلا خسيسًا من عرض الدنيا وحُطامها، ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يقول: فإن الذين يفعلون ذلك لا حَظَّ لهم في خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعدّ الله لأهلها فيها دون غيرهم ".[2]

ثالثا: معاني المفردات:

﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: الخَلاق هو " النصيب الوافر من الخير "[3]، فالمعنى: " لا حَظَّ ولا نصيب لهم في نعيم الدار الآخرة ".[4]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، (121/3)، حديث رقم 2416.

(2) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (100/1).

(3) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (434/1).

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، (335/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) خُسْران من يشتري بعهد الله ثمنا قليلا: يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " إن الحق يوضح لنا أن الأثمان لا تكون مشتراة أبدا، إنها مُشترى بها، ولذلك تكون أول خيبة في صفقة الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا، إنهم اشتروا الثمن، بينما الثمن لا يُشترى، فالذي يشتري هو السلعة، ويا ليت الثمن الذي اشتروه ثمن له قيمة، لكنه ثمن قليل، ومن هنا جاء تحريم الربا لأن المرابي يعطي الشخص مائة، ويريد أن يسترده مائة وعشرة، ويكون المرابي في هذه المسألة قد جعل النقود سلعة، وهكذا تكون الصفقة خائبة من بدايتها، إذن فأول خيبة في نفوس الناس الذين يستبدلون الهدى ويأخذون بدلا منه الضلالة، إنهم خاسرون،﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:16]".[1]

2) اتخاذ الدين وسيلة لتحقيق مصالح دنيوية كجلب المال أو الحصول على الجاه صفة ذميمة اتَّصف بها أهل الكتاب، فأحبار اليهود ورهبان النصارى وقساوستهم فعلوا ذلك بشكل صارخ عندما كتموا ما أنزل الله تعالى عليهم، فإنَّ كتْمَ العلم فيه تضييع للحقوق، وطمس لمعالم الدين، فيصبح الناس كقطيع هائم يوجِّههم الأحبار والقساوسة كيفما شاءوا، ونتيجة لجهل الناس المُطْبق بدينهم بسبب تعمية علمائهم لهم، رسخ في أذهانهم أنَّ كلَّ ما يقوم به رجال الدين حقٌّ، واستغلَّ هؤلاء فرصتهم، فلبَّسوا على بني قومهم ليسودوا، فسادوا، وصار الأمر لهم، فكان الملوك والأباطرة لا يخرجون عن قول الكنيسة، وإلا قُتلوا أو أُسقِطت عروشهم، فكانوا يسوسون شعوبهم برأي الكنيسة، وقد توعَّد الله تعالى هؤلاء ومن قبلَهم على فعلهم هذا فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[آل عمران:187].

وابتدع قساوسة النصارى ما سمَّوه صكوك الغفران، وذلك بأن يأتي المذنب فيقعد أمام القس، ويعترف بما اقترف، ويدفع مبلغا من المال لقاء صك غفران يؤتاه، فهذا من أكل أموال الناس بالباطل، وكذلك ما كان من أمرهم حينما أقطعوا الإقطاعيات، وملكوا رقاب الناس، وزادت ثرواتهم على نحوٍ فاحش، والناس يحسبونهم أهل الدين والورع، وهؤلاء يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:174].

---

(1) تفسير الشعراوي، (1553/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) إنَّ هذه الصفة من صفات المنافقين، فهم يَحُثُّون الخطى طلبا لمصالحهم، وإرضاء لرغباتهم الدنيئة، فعندما يكون الانتصار والفتح للمسلمين انتسبوا لهم، وإذا كان من ذلك للكفار نصيب مالوا إليهم، لعلَّ ذلك يعود عليهم بشيء من حطام الدنيا قليلٍ، فهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141].

4) خطورة تبنِّي حملة العلم هذا المسلك: واليوم قد اتَّخذ بعض من انتسب للعلم الشرعي الدِّينَ سُلَّما يصعد به على حساب الدين، فهم في مؤسَّساتهم الدينية الرسمية يأمرون الناس بطاعة الحاكم، رغم علمهم بفساده ومخالفته للشرع متأوِّلين في ذلك النصوص أو أنهم نأَوا بأنفسهم عن دائرة الأحداث، ويتزلَّفون له بصورة فَجَّة، ويزيِّنون له ما يفعل، ولا يقومون بواجب النصيحة، وينالون من العلماء الربانيين، والعاملين للإسلام، قاصدين في ذلك رضا رؤسائهم، ولو كان في ذلك غَمْطٌ لحقوق الغير، فلم يَرْعَوا حقَّ العلم ولا حرمتَه، وتراهم يُضْفون على أنفسهم هالاتٍ ضخمةً من الألقاب ذات الوزن الثقيل، فهم بطانة السوء، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وآفة رجال الدين حين يفسدون، أن يصبحوا أداةً طيعةً لتزييف الحقائق باسم أنهم رجال الدين، فهم يستغلون ثقةَ الناس بهم، وغايتُهم في ذلك الوصول إلى مقررات معينة ترضي زعماءهم، حتى لو كانت هذه المقررات تخالف الشرع وتصادمه، وهذا النوع من حملة العلم معروفون في لُحون قولهم، ومعروفون في مصالحهم التي يكتسبونها بالدين بأي وسيلة، ولا يراعون في ذلك حق العلم وأمانته.[1]

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (418/1، 419)، مختصرا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: التحذير من التلبيس على الناس وفتنتهم في دينهم:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:78].

أولا: المعنى الإجمالي:

" يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللَّي والتحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضا وإما تصريحا، فالتعريض في قوله ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وهذا أعظم جرماً ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾: " لَيُّ الألسنة: قيل تحريف اللسان عمّا في القلب، وهو الكذب، وقيل: هو التنطُّع والتجمُّل بالكلام لتشبيهه بغيره، وقيل: لَيُّهم بألسنتهم: تحريفهم بالتأويل الباطل ".[2]

" ولَيُّ اللسان معناه، فَتْلُه عند النطق لتوجيه الكلام نحو معنى لَا يُقصد من ظاهر اللفظ، وهذا يشمل معاني كثيرة، فيشمل إخفاء بعض الحروف عند النطق بكلمة، فيتغير المعنى... ومن اللَّي أن يغير لفظا بلفظ آخر، ويومئ اللفظ الثاني إلى معنى غير المقصود من الأول... ومن ليِّ اللسان أن تقرأ عبارات في الكتاب بنغمته، وهي ليست منه، ومِنَ اللَّي المعنوي، تحريف المعاني بتوجيهها إلى غير المراد منها ".[3]

ثالثا: اللطائف البيانية:

﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ " فيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح أمرهم وكمال جراءتهم، وإظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما أقدموا عليه من القول ".[4]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص136.

(2) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، (665/2).

(3) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1286،1287/3).

(4) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (52/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) ذكرت الآية أنَّ فريقاً من أهل الكتاب يتلاعبون بنصوص كتبهم؛ ليموِّهوا على الناس الحقيقة، وتكونَ هذه النصوص فتنة لهم، وهم في ذلك يفترون على الله الكذب رغم علمهم بأنهم مفترون.

وقد كان الحديث سابقاً عن مجادلة اليهود في شأن إبراهيم عليه السلام، وعن كفرهم بمحمد ﷺ وآيات الله المنزَّلة عليه، وإرادة اليهود إضلال المسلمين وفتنتهم عن دينهم، وخيانة بعضهم للأمانة، وافتراء الكذب على الله تعالى في سبيل تحقيق مآربهم، وطلبهم الدنيا بعمل الآخرة.

وهنا يذكر القرآن الكريم صفةً قبيحةً فيهم، تجمع عدة صفات فيها، وهي تحريف النصوص وصرفها إلى غير وجوهها المحتملة، ويتبع ذلك إلباسها ثوب الباطل؛ لتَمُرَّ على الناس وكأنها من الدين، وقد كشف الله تعالى صنيعهم هذا في أكثر من موضع من كتابه العزيز.

2) إنَّ لَيَّ أعناق النصوص وإلحاق المعاني الباطلة بها أمرٌ خطيرٌ، وشرٌّ مستطيرٌ، فهو أعظم أبواب الفتن على الناس في دينهم، إذ به تتغير معالم الدين، وتذهب هيبته وحُرمته، ويصبح هينا رخيصا، يلتصق به كل أفاك أثيم.

3) ظهور الفرق الضالة المنسوبة للإسلام: وقد أصاب أمة الإسلام ما أصاب أهل الكتاب، فظهرت فِرق كثيرة كالروافض والباطنية والخوارج وغيرهم، وكلُّهم على غير السنة، وهذه الفِرق تؤول آيات القرآن الكريم، وتطعن في كثير من أحاديث النبي ﷺ، وتعتمد تأويلها لآيات القرآن دينا يدينون الله تعالى به، وليس عندهم على تأويلاتهم دليل ولا برهان، إنما هو الهوى والحقد على الإسلام وأهله.

4) وقد أمرنا الله تعالى بلزوم طريق الحق، وحذَّرنا من سلوك طرق هؤلاء المبتدعة، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:153]، وقال جَّل شأنه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:109].

5) على المسلم أن يكون فَطِناً متيقِّظاً، لا يأخذ الكلام على عواهنه، بل يتثبَّت منه، حتى إذا وجده موافقا لما في القرآن من آيات وما في السنة من نصوص أخذ به ولا ضير عليه، وأي كلام منسوب لأيِّ إنسان يجب عرضه على القرآن والسنة، فإن وافق فَبِها ونعمت، وإن خالف رُدَّ على صاحبه.

6) إنَّ من ينشرون الافتراءات على الدين يركنون إلى جهل العامة، فهم لا اطِّلاع لهم حتى يتبيَّن لهم الحق في المسائل، وواجب أهل العلم أن يقفوا سدًّا منيعا لكل من يحاول النيل من حرمة الدين وتعاليمه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الباحث أنه يدخل في التحذير من التلبيس على الناس التحذيرُ من مخاطبتهم بغير ما يفهمون، أو بما هو فوق عقولهم، قال علي ﷺ: " حدثوا الناس بما يعرفون، أتُحِبُّون أن يُكَذَّب اللهُ ورسولُه؟ ".[1]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: " ما أنت بِمُحَدِّثٍ قوما حديثاً لا تبلغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة "[2]، فالقول ذو المعنى المركَّب عندما يدخل عقل من لا يحسن توجيهه يفتتن به، وكذلك الشبهات، فإنها تغزو القلب وتأتيه في مقتل، فلا يستطيع منها فكاكاً.

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، (37/1)، حديث رقم 127.

(2) صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (9/1)، حديث رقم 14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (79 . 80)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حث المسلمين على أن يكونوا ربانيين.

المطلب الثاني: تنزيه الأنبياء عن الشرك وعن الدعوة إلى ما ينافي التوحيد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: حث المسلمين على أن يكونوا ربانيين:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:79].

إنَّ الإسلام لا يرضى لأتباعه بأن يقبلوا بالحد الأدنى من التديُّن، بل يريد منهم الارتقاء دوما لينالوا أعلى الدرجات، وما من درجة أسمى للمؤمن من الربانية، فهي درجة عالية الذُّرى، بعيدة المنال، وهي يسيرة على من يسَّرها الله تعالى له.

أولا: سبب النزول:

" قال ابن عباس رضي الله عنهما: " قال أبو رافع القُرَظِي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدكَ كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوَ ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعوننا؟ أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: (**مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أو أَنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، ولا بِذَلِكَ أَمَرَنِي**)، أو كما قال ﷺ، فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:80] ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" لا يصح لبشر آتاه الله ما آتاه من النعم أن يقول للناس اعبدوني من دون الله، ولكن الذى يعقل أن يصدر منه هو أن يقول لهم: كونوا ﴿رَبَّانِيِّينَ﴾ أي: منقلبين على طاعة الله تعالى وعبادته وحده بجد ونشاط وإخلاص، بسبب كونكم تعلمون غيركم الكتاب الذى أنزله الله لهداية الناس وبسبب كونكم دارسين له، أي قارئين له بتمهل وتدبر ".[2]

ثالثا: معاني المفردات:

﴿رَبَّانِيِّينَ﴾: الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته، وقيل: علماء فقهاء، وقيل: علماء معلِّمين، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، الربانيون أرباب العلم والياء للنسب، وقيل: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العالم بأنباء الأمة ما كان وما يكون، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس.[3]

---

(1) جامع البيان، الطبري، (539/6)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (98/3).

(2) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (212/2).

(3) انظر: الكشاف، الزمخشري، (574/1)، معالم التنزيل، البغوي، (60/1)، فتح القدير، الشوكاني، (479/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) عندما يُقال: إن فلانا ربَّانيٌّ، فإنَّ ذلك له معنى كبير، فالربانية تعني في مفهومها البسيط: قيام المرء بما أوجب عليه دينُه ابتداء، والغوصُ في العلم غَوْصَ من أراد معرفة الأسرار، والعملُ بما علم، وتعليمُ ذلك للناس، ويُحَلَّى كلٌّ ذلك بصفات الأنبياء من الحلم والصبر والصفح وغير ذلك.

2) من الربَّاني؟ الرباني هو " الجامع إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم "[1]، وكلمة ربَّاني هي انتساب إلى الله تعالى، " وتؤدي إلى معان: منها أنَّ كلَّ ما عنده من حصيلة البلاغ لا بد أن يكون صادرا ومنسوبا إلى الرب؛ لأنه لم يأت بشيء من عنده، أي أنه يأخذ من الله ولا يأخذ من أحد آخر أبدا، فهو رباني الأخذ، وتؤدي الكلمة إلى معنى آخر: إنه حين يقول ويتكلم فإنه يكون متصفاً بخلق أنزله رب يربي الناس ليبلغوا الغاية المقصودة منهم، فهو عندما ينقل ما عنده للناس يكون مربيا، ويدبر الأمر للفلاح والصلاح ".[2]

سئل ابن الأعرابي[3] عن الرباني فقال: " إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلِّماً قيل له هذا رباني، فإن خَرَمَ عن خصلة منها لم نَقُلْ له رباني ".[4]

3) مكانة الربانية، وواجب من نالها: إن الربانية درجة سامية عالية الذُّرى، لا يستطيعها إلا أرباب الهمم العالية والعزائم المتوقِّدة، فإنها درجة تستحق أنْ يُتعِب المسلم نفسه لبلوغها.

4) إنَّ وصول المرء إلى درجة الربانية يسجِّل عليه استحقاقاً كبيراً، لا يجدُرُ به التنصُّلُ منه، ولا الحَيدةَ عنه، فالرباني قد أخذ قسطاً كبيراً وحظا عظيما من العلم الذي يؤهله لِأن يتبوَّأ أسمى المقامات، فهو عالم في نفسه، معلِّمٌ لغيره، نافع للناس، وهذا المعنى يشهد له قول الرسول ﷺ: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ:(**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليُصَلُّون على معلم الناس الخير**).[5]

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (479/1)، في الحاشية.

(2) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1566/3).

(3) محمد بن زياد، أبو عبد الله بن الأعرابي، من موالي بني هاشم، نحوي عالم باللغة والشعر، ولد سنة 150هـ، وتوفي بسامراء سنة 231هـ أو 233هـ، (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، 106/1).

(4) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم، (195/1).

(5) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، (50/5)، حديث رقم 2585، قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) الربانية تأتي بالمجاهدة: وليست الربانية جائزة أو هبة تأتي للإنسان غَفَلاً بدون سابق جهد، بل هي صفةٌ يستوجبها الإنسان بعد إفراغ الوسع واستنفاذ الطاقة، وفيها ما فيها من حمل النفس على المكاره واحتمال المشاق، فالنفس والشيطان والهوى والدنيا أعداء تَحيق بالإنسان، وتَصرِفُه عن معالي الأمور وعظائمها، وهي العقبات الكأداء التي تعيق المرء عن كل خير.

6) ولكي يصل المسلم إلى مقام الربانية لابُدَّ له من تحقيق صفات كثيرة، منها صفة التقوى فيما بينه وبين الله ﷻ، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين النفس، وهي صفات الراسخين في العلم[1]، بالإضافة إلى مكارم الأخلاق بوجه عام، والعمل بما يعلم قدر الإمكان، وتعليم الناس، والصبر على ذلك، والجهر بكلمة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك كثير كثير، ولا تعني كثرةُ الصفات صعوبةَ التطبيق، بل الأمر يكون بتوفيق الله تعالى لعبده وإعانته له، وإلا فالعبد لا حول له ولا قوة إلا بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:282].

7) وقد بيَّن الله ﷻ كيف تتربى الربانية في نفس المؤمن، فذكر أنها عِلْمُ الكتاب المنزَّل والعكوف على دراسته فقال: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي أنَّ الذي يربِّي الربانيةَ هو الاستمرارُ والدُّؤوبُ على أمرين اثنين:

الأول: دراسة الكتاب المنزَّل، وتجاوز كل العقبات التي تحول دون هذه الدراسة، وذلك بسلامة مصدر التَّلَقِّي.

الثاني: استيعاب علم الكتاب وتعليمه من البعض ليتمكن الدارسون من أن يعرفوا حقيقة كتاب الله، والاهتداء بهديه.[2]

المطلب الثاني: تنزيه الأنبياء عن الشرك وعن الدعوة إلى ما ينافي التوحيد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 80].

من المستحيل عقلاً أن يدعوَ المرء إلى شيء وضدِّه، فالأنبياء عليهم السلام قد بعثهم الله تعالى لهداية الناس، وبيان طريق الحق لهم، فدعوتهم هي التوحيد، وما كان لأحد منهم أن يدعو إلى كفر أو معصية.

---

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (227/1).

(2) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1290/3، 1291).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" إن من يهبه الله الحكمة في الدعوة لمنهج الله وتطبيق هذا المنهج، لن يضيف للمنهج شيئا، وبحكم صدقة مع الله فهو لن يدعي أنه مبعوث من الله للناس، إنه يكتفي بالدعوة لله وبأن يكون أسوة حسنة ".[1]

أولا: المعنى الإجمالي:

" لا يصح لبشر امتَنَّ اللّه عليه بإنزال الكتاب، والهداية إلى الحكمة والصواب في فهم ما أنزل اللّه عليه، وإيتائه النبوة والرسالة، ثم يطلب من الناس أن يعبدوه وحده، أو يعبدوه مع اللّه، فهذا هو الشرك بعينه، ولكن يقول: كونوا أيها الناس ربانيين، أي متمسكين بالدين، مطيعين لله أتم طاعة، بسبب كونكم تعلِّمون الكتاب لغيركم، وبسبب كونكم تدرسونه وتتعلمونه، ولا يعقل أن يأمر نبي باتخاذ الملائكة والأنبياء آلهةً تُعبد من دون اللّه، فكل هذا كفر وفسوق وعصيان، لا يتَّفق مع الإسلام، والانقياد لله بالطبيعة والفطرة التي فُطِرَ الناسُ عليها ".[2]

ثانيا: المناسبة:

" لما ذُكِر لَيُّ اليهودِ ألسنتَهم بالتوراة، وهو ضَرْبٌ من التحريف، استطرد بذكر التحريف الذي عند النصارى لمناسبة التشابه في التحريف إذ تقَوّل النصارى على المسيح أنه أمرهم بعبادته فالمراد بالبشر عيسى عليه السلام، والمقصود تنزيه عيسى عن أن يكون قال ذلك، ردًّا على النصارى، فيكون رجوعاً إلى الغرض الذي في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ إلى قوله: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64] ".[3]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآيات:

1) دَعَا الأنبياء جميعاً إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]، فلا يُتصوَّر أبداً أن يدعوَ نبيٌّ أو مَلَكٌ أو عبدٌ صالح الناسَ إلى عبادة نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:29].

2) قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: " لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده

---

(1) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (1562/3).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (207/1).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (293/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شريك له "[1]، ودعاؤهم إلى الكفر خيانة للأمانة المنوطة بهم، وهي الدعوة إلى التوحيد.

3) قال ابن عاشور رحمه الله: " ولعلّ المقصود من قوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ أنهم لما بالغوا في تعظيم بعض الأنبياء والملائكة، فصوّروا صور النبيئين، مثل يحيى ومريم، وعبدوهما، وصوّروا صور الملائكة، واقتران التصوير مع الغلوّ في تعظيم الصورة والتعبد عندها ضربٌ من الوثنية ".[2]

4) " من المستبعد أن يأتمن اللّه تعالى رسولاً أو نبياً على وحيه، ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه، فإن الأمين يقوم عادة بما كلفه به المؤتمن له، وإنما تكون دعوة الأنبياء موجّهةً نحو عبادة اللّه وحده لا شريك له، والعبادة تتطلب الإخلاص... ودلّت الآية على أن العلم الصحيح والفقه وفهم أسرار الشريعة يستدعي العمل والطاعة والتزام التكاليف الشرعية لأن من عرف اللّه هابه، ومن هابه امتثل أمره، ومن آتاه اللّه الكتاب والحكم والنبوة يكون أعلم الناس باللّه، ".[3]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (99/3).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (296/3).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (276/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (81 ـ 84)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب نصرة النبي ﷺ والمؤمنين.

المطلب الثاني: الإنكار على من يُعرض عن دين الإسلام.

المطلب الثالث: الإيمان بجميع الكتب والرسل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: وجوب نصرة النبي ﷺ والمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: 81، 82].

إنَّ بَعْثَ اللهِ تعالى لرسول من الرسل يستوجب الإيمانَ به ابتداء، ويلزم لإثبات صدق هذا الإيمان النصرُ والتأييد، فلابُدَّ للرسول من أنصار يذودون عنه ويحملون على عواتقهم هموم الدعوة من بعده، وهذ الأمر على سبيل الوجوب لا الاستحباب.

أولا: المعنى الإجمالي:

" واذكر لهم أيها النبي أنَّ الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع أنه إذا جاءه رسول توافق دعوتُه دعوتَهم ليؤْمِنُنَّ به وينصرنَّه، وأخذ الإقرار من كل نبي بذلك العهد، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم، وبلغوه لأممهم أن ذلك العهد يوجب عليهم الإيمان والنصرة إن أدركوه وإن لم يدركوه، فحقٌّ على أممهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعاً لما التزم به أنبياؤهم، فمن أعرض عن الإيمان بالنبي بعد هذا الميثاق المؤكد فهو الفاسق الخارج عن شرع الله، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿إِصْرِي﴾ : الإصر والأصر لغتان، وهو العهد. والإصر في اللغة الثقل، فسمي العهد إصرا لأنه منع وتشديد.[2]

2) " ﴿فَاشْهَدُوا﴾ إن كان شهادة على أنفسهم فهي بمعنى التوثق والتحقيق، وكذلك قوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:18]، وإن كانت شهادة على أممهم بتبليغ ذلك الميثاق فالمعنى فاشهدوا على أممكم بذلك ، والله شاهد على الجميع كما شهد النبيون على الأمم ".[3]

ثالثا: المناسبة:

" ذكر تعالى في الآيات المتقدمة خيانة أهل الكتاب، بتحريفهم كلام الله عن مواضعه، وتغييرهم أوصاف رسول الله ﷺ الموجودة في كتبهم حتى لا يؤمن به الناس، وقد ذكر هنا ما

---

(1) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (101/1).

(2) معاني القرآن، النحاس، (432/1)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (191/5).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (300/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقوم به الحجة عليهم، وهي أن الله قد أخذ العهود والمواثيق على الأنبياء، أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إن أدركوا حياته، وأن يكونوا من أتباعه وأنصاره، فإذا كان الأنبياء قد أُخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بخاتم الرسل محمد ﷺ ويبشروا بمبعثه، فكيف يصح لأتباعهم من أهل الكتاب أن يكذِّبوا بدعوته ورسالته؟ ".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآيتين:

1) لقد أخذ الله تعالى العهدَ والميثاق على كل نبيٍّ أنَّه إنْ أدرك نبياً بعده فعليه اتِّباعُه، وكذلك الأتْباع، فلا يجوز في حقهم التَّخلُّف والتراخي عن هذا الواجب، ويلحق ذلك نصرةُ هذا النبي، والغدُوُّ والرَّواح معه على المَنْشَط والمَكْرَه وعلى أَثَرَة على النفس، قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمدٌ ﷺ وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه ".[2]

2) من المقرَّر شرعا الولاءُ للمؤمنين، وهذا يقتضي محبَّتَهم ونصرتهم والنصح لهم، فقد قال رسول الله ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة).**[3]

3) نصرة الله تعالى تكون بتحقيق التوحيد وإقامة الشرع: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:7]، يقول سيد قطب رحمه الله: " وكيف ينصر المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شَرَط لهم من النصر والتثبيت؟ إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس، وإن لله شريعة ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصورٍ خاصٍّ للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة ".[4]

---

(1) قبس من نور القرآن الكريم، الصابوني، (140/1).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (100/3).

(3) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه، (128/3)، حديث رقم 2442.

(4) في ظلال القرآن، (3288/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) نصرة الله تعالى وحمايتُه لنبيه ﷺ:

أمر الله تعالى نبيَّنا محمداً ﷺ بالصَّدْع بالدعوة فقال سبحانه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحجر:94]، ووعده بالنصرة والكفاية فقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر:95]، كما وعده بالعِصمة والمنعة والحفظ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:67] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: **(يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)**.[1]

وقد أيَّد الله تعالى نبيَّه ﷺ في الهجرة قال تعالى:﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:40].

5) نصرة الصحابة للنبي ﷺ:

قيَّض الله تعالى لنبيِّه ﷺ صحابة بررة، ذادُوا عن الدين، وحملوه على أكتافهم، وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس، وكانوا على أُهبة الاستعداد دوما لنصرة الله ورسوله، وكانوا يَستعْذِبون ما يلاقونه من الأذى حِسبةً لله ﷻ، فمدحهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[الأنفال:74]، وحوادث نصرة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ كثيرة ومعلومة، فقد نصروه باتِّباعهم دينَه وطاعتهم له، وبذلوا له أرواحهم ودماءهم وأموالهم وأولادهم وكلَّ ما يملكون، وجادوا بذلك راضيةً به نفوسُهم، إعلاء لكلمة الله تعالى في الأرض.

6) نصرة الملائكة للنبي ﷺ:

لم تكن نُصرة النبي ﷺ مقصورة على البشر، فقد كان جبريل عليه السلام ومعه الملائكة يؤمرون بهذا النَّور فيقومون به، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، أو لأعفِّرَنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً

---

(1) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المائدة، (251/5)، حديث رقم 3046، قال الألباني: حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: **(لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضْواً عُضْواً)**.[1]

وقد شاركت الملائكة في قتال المشركين في بدر مشاركة فاعلة، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: **(هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب)**.[2]

7) نصرة النبي ﷺ بنصرة دينه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:14]، أمر الله تعالى المؤمنين بنُصرة أنبيائه عليهم السلام، فإنَّه لا معنى للإيمان بدون نصرة حقيقية للنبي ودينه، فالحق لابد له من قوة تحميه لتكون له الهيبة والمَنَعَة، وحتى لا يُغرِي ضَعْفُ الحق أعداءَه فلا يجدون من يردُّهم ويدفع غوائلهم.

المطلب الثاني: الإنكار على من يعرض عن دين الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:83].

لقد خلق الله تعالى الخلق، وهو غير محتاج إليهم، وأنزل لهم الكتب، وشرع لهم الشرائع لتنظيم حياتهم، وهو سبحانه غني عنهم، وهو سبحانه يعلم أنَّ مصلحة عباده تكمن في منهج ربَّاني منزَّل، فليس لهم أن يحيدوا عنه، أو يضعوا لأنفسهم قوانين تخالف هذا المنهج.

" إن دين الله واحد، جاءت به الرسل جميعا، وتعاقدت عليه الرسل جميعا، وعهد الله واحد، أخذه على كل رسول، والإيمان بالدين الجديد واتباع رسوله، ونصرة منهجه على كل منهج، هو الوفاء بهذا العهد، فمن تولى عن الإسلام فقد تولى عن دين الله كله، وقد خاس بعهد الله كله ".[3]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ۝٧﴾ [العلق:7]، (2154/4)، حديث رقم 2797.

(2) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، (1468/4)، حديث رقم 3773.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، (421//1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه، فقال النبي ﷺ: **(كلا الفريقين برئ من دين إبراهيم)**، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن دينا من دين الله، ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائر الخلق، حتى الكافرون مستسلمون لقضائه وقدره لا خروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلائق كلها، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل ".[2]

ثالثا: معاني المفردات:

1) ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾: " أي استسلم وانقاد وخضع وذل، وكل مخلوق فهو منقاد مستسلم؛ لأنه مجبول عل ما لا يقدر أن يخرج عنه ".[3]

2) ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: " الطَّوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكَرْهُ: ما كان بمشقة وإباء من النفس "، وجاء في معناهما أقوال عدة، وهي: قال قتادة : " أسلم المؤمن طوعاً والكافر عند موته كرهاً ولا ينفعه ذلك "، وقال مجاهد: " إسلام الكافر كرها بسجوده لغير الله وسجود ظله لله "، وقال عكرمة[4]: " ﴿طَوْعًا﴾ من أسلم من غير محاجة، ﴿وَكَرْهًا﴾ من اضطرته الحجة إلى التوحيد "[5]، وقيل: الذين أسلموا طوعاً هم الملائكة والنبيون والمؤمنون، والذين أسلموا كرهاً هم الذين آمنوا بالتوحيد، وأشركوا عن علم.[6]

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، (63/2)، أسباب النزول، الواحدي، ص116.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص137.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (193/5).

(4) عكرمة بن عبد الله الحبر العالم أبو عبد الله البربريّ ثم المدني الهاشميّ، مولى ابن عباس، مات رحمه الله سنة 104هـ بالمدينة، وقيل بعد ذلك، (طبقات المفسرين، الداوودي، 387/1).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (193/5).

(6) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (1064/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الدينُ كاملٌ وموافق للفطرة، فقد بيَّن الله تعالى دينَه وأتمَّه، وجعله على الناس حجة وبرهانا، فهو الدين الحق الذي لا يقبل المِراء فيه أو الانتقاص منه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

2) إنَّ إكمالَ الله تعالى الدينَ يدعو إلى تعظيمه، فليس لأيٍّ واحد أن يحيد عنه، أو يتَّخذ غيره منهاجاً؛ لأنَّ المناهج الأرضية مليئةٌ بالثغرات، فحينئذٍ لا مَحيصَ من الالتجاء إلى منهج قيِّمٍ لا يعتريه العِوج، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]، " أي: مائلاً إليه مستقيماً عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة "[1]، وإن من يعرض عن الإسلام بأي صورة من صور الإعراض يخالف الفطرة التي فَطَرَه الله عليها، فالنفس البشرية مائلةٌ بطبعها إلى التَّديُّن، مفطورةٌ على أن تكون محكومةً لنظام يَنْتَظِمُ حياتَها ويوجِّهُها الوِجْهةَ الصحيحة نحو الأمان والفوز بخير الدنيا والآخرة.

3) بيَّن الله تعالى مزايا القرآن وصفاته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلت:41، 42]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّخرُف:43، 44]، أي: " وإن هذا القرآن الذي أُوْحيَ إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش "[2]، وهو كتاب عزيز " جامع لأوصاف الكمال، و﴿عَزِيزٌ﴾ أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء... لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظةٌ ألفاظُه ومعانيه، قد تكفَّل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر:9] ".[3]

4) من صور الإعراض عن الإسلام:

أ- ترْكُ الإسلام بالكُلِّية: كالكفر والشرك، فالكفار والمشركون هم الأكثرون إعراضاً عمَّا جاء به محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء:5]،

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (269/4).

(2) جامع البيان، الطبري، (610/21).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص750.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمشركون " اكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالاً، وهذه شبهة لرد الحق واهيةٌ، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم ".[1]

ب- هجر التحاكم إليه: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:44]، فمن لم يحكم به إعراضا عنه، واعتقادا بعدم صلاحيَّته لذلك فهو كافر بنصِّ هذه الآية.

ت- الصَّدُّ عن سبيل الله: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:61]، " أي: يعرضون عنك إعراضا كالمستكبرين عن ذلك "[2]، وهذا دأب المنافقين في كل زمان ومكان، واليوم قد توفَّرت لهم وسائل الإعلام التي تُعيْنُهم على نشر أفكارهم الآسِنَةِ الرَّديئة، التي تنال من الإسلام، وتُشَوِّه صورته الناصعة.

ث- إحداث البدع وإلصاقها بالإسلام: فالذي يستحدِث البدعة ويعمل على نشرها وجلب الأنصار لها، إنما هو صادٌّ عن سبيل الله تعالى ومنهجِه الحق، ويحسب أنه يُحسِن صُنعاً، وقد قال النبي ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)**.[3]

5) من دوافع الإعراض عن دين الله تعالى:

أ- الهوى: قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:23]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه ".[4]

ب- تلبيس الشيطان: لمَّا أيِسَ من رجوع المسلمين عن دينهم، شرع في بثِّ الشبهات في نفوسهم حول الإسلام، وكان له في ذلك أتباع كُثُر، وهم أهل البدع والشبهات.

ت- الحسد: فاليهود ما أعرضوا عن الإسلام إلا لمجرَّد الحسد، فقد أعرضوا عن دينهم الأول ابتداءً عندما حرَّفوه، فلمَّا جاء الإسلام أعرضوا عنه ما وسِعَتْهم الحيلة، وفي كل المواطن، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:105]، وكان المسلمون إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص81.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (138/4).

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (184/3)، حديث رقم 2697.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (158/19، 159).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷺ، قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه، ولوددْنا لو كان خيرا، فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم.[1]

المطلب الثالث: الإيمان بجميع الكتب والرسل:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:84].

للإيمان عندنا أركان ستة[2]، منها الإيمان بالكتب والرسل، فمن خالف في ذلك فقد اتخذ الإسلام وراءه ظِهْرِيًّا، وليس بمسلم، وإن ادَّعى الإسلام.

أولا: المعنى الإجمالي:

" قل يا محمد أنت وأمتك: نحن آمنا بالله الواحد الأحد، وما أنزل علينا في القرآن الذي هو مصدر المعرفة الثابت الشامل لجميع الشرائع والأحكام، وآمنا بما أنزل على الأنبياء السابقين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط، وما أوتي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أوتي النبيون الآخرون كداود وسليمان عليهم السلام، مما لا يعلمهم إلا اللّه ﷻ... ونؤمن بكل الأنبياء إيمانا لا نفرق فيه بين أحد منهم، بل نؤمن بالكل على أن كل واحد نبي مرسل من اللّه لأمته، يهديها إلى سواء السبيل، ولا نفعل كما يفعل غير المسلمين من الإيمان ببعض الرسل والكفر بالبعض الآخر، ونحن له مسلمون منقادون ".[3]

ثانيا: معاني المفردات:

﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ " هم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل –هو يعقوب–الاثني عشر ".[4]

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، (133/1).

(2) هي جزء من حديث جبريل عليه السلام الطويل، وفيه: قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "، قَالَ: صَدَقْتَ "، سنن النَّسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام، (97/8)، حديث رقم 4990، قال الألباني: صحيح.

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، (210/1).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (103/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: المناسبة:

" ذكر فيما سبق ميثاق النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه، وهنا أمر لمحمد وأمته أن يؤمنوا بجميع الأنبياء المتقدمين وبكتبهم وبالإسلام الذي هو دين الأنبياء قاطبة".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

❖ **الإيمان بالرسل:**

أ- وجوب الإيمان بجميع الرسل: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء:150، 151]، " نصَّ سبحانه على أنَّ التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفراً لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردُّوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر ".[2]

ب- أهمية الإيمان بالرسل: تنبُع هذه الأهمية من كون الإيمان بالرسل أصلاً من أصول الإيمان، فهو يتوقَّف عليها، فمن كذَّب بعْثَ الرسل فإنَّما هو مُكذِّب لكلام الله تعالى إلى عباده، فالرسل هم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، ومن لم يؤمن بالرسل فقد حكم على نفسه بالبوار، وهو في الآخرة من أصحاب النار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:136].

ت- " إنَّ الأنبياء عليهم السلام على كثرة عددهم واختلاف أعصارهم وتباين أنسابهم وتباعد مساكنهم قد اتفقوا جميعا على الدعاء إلى الله ﷻ، وصار الآخر منهم يُقِرُّ بنبوة من تقدمه وبصحة ما جاء به، وإذا خالفه في تحليل بعض ما حرمه الله على لسان الأول أو تحريم ما أحله الله له ولأمته فهو مُقِرٌّ بأن الحكم الأول تحليلا أو تحريما هو حق وهو حكم الله ﷻ، وأنه الذي تعبَّد الله به أهل تلك الملة السابقة واختاره لهم كما اختار للملة اللاحقة ما يخالفه، والكل من عند الله ﷻ، وذلك جائز عقلا وشرعا في ملة واحدة فضلا عن الملل المختلفة ".[3]

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (284/3).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (206/7).

(3) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الإمام الشوكاني، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5) وظائف الرسل: للرسل عدة وظائف، هي:

أ- البلاغ عن الله تعالى، ودعوة الناس إلى الحق ، قال تعالى:﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:35].

ب- تطبيق الشرع الذي أُرسِلوا به، قال تعالى:﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:49]، وقال تعالى:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:26].

ت- تبشير الناس وإنذارهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام:48]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان:56].

6) الواجب نحو الرسل:

أ- الإيمان بهم جميعا بدون تفريق، قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:285]، "يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى ".[1]

ب- طاعتُهم واتباعُهم وتوقيرُهم ونُصرتُهم والاقتداءُ بهم، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:90].

ت- عدم الغُلُوِّ فيهم، فالأنبياء لهم خصائص البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:38]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء:8]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر:30].

❖ **الإيمان بالرسالات والكتب:**

1) الإيمانُ بالرسالات والكتب السماوية من أصول الإيمان، وجاحدها كافر، ويدخل تحته التصديق بأنَّ الأنبياء قد بلَّغوها للناس كاملة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:39]، ويجب الإيمان بالوحي المنزَّل كلِّه، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى:15].

2) يتحقَّق الإيمان بالكتب السماوية بأنْ نؤمن بأنَّها يصدِّق بعضها بعضا، ولا يكذِّب بعضُها بعضا، وبالتصديق بنسْخ الشريعة اللاحقة للشريعة السابقة كليا أو جزئيا، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:50].[2]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (492/4).

(2) انظر: الرسل والرسالات، أ.د عمر الأشقر، ص227.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) مصدر الرسالات واحد وهو الله ﷻ: يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: " والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقَّت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد، يملك السلطان على الضمائر والسرائر، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك... فأما حين تتوزع السلطة، وتتعدد مصادر التلقي ... تفسد الحياة البشرية ".[1]

4) الاتفاق والاختلاف في الرسالات السماوية:

أ- مواطن الاتفاق: اتفقت الرسالات على ثلاثة أمور، وهي:

- الدين الواحد: وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:19]، فهو دين كل الأنبياء، وهو وصية الأنبياء لمن يأتي بعدهم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:132].
- مسائل العقيدة، كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والملائكة والقدر وغير ذلك.
- أصول العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وأصول الأخلاق كالعدل والعمل الصالح والكسب الحلال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- مواطن الاختلاف: كل شريعة نزلت جاءت موافقةً لحاجة الناس في ذلك الزمان، والاختلاف في بعض التفاصيل، كأعداد الصلوات ومقادير الزكاة ومواضع النسك، وقد يُحِلُّ الله تعالى أمرا في شريعة لحكمة، ويحرِّمه في شريعة أخرى لحكمة.[2]

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (895/2).

(2) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ص241 وما بعدها، باختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (85 . 89)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى.

المطلب الثاني: الله تعالى يهدي إليه من يشاء ويُضِل من يشاء.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المطلب الأول: الإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85].

سبق الحديث في مطلب سابق عن تعريف الإسلام والهدف منه، ومعنى إكماله، وطبيعته، ومدى حاجة الناس إليه، وسأقْصُر الحديث هنا عن أهمية الدين في حياة الناس، ومزايا هذا الدين وخصائصه؛ منعا الإطالة والتكرار.

أولا: سبب النزول:

" نزلت هذه الآية في الحارث بن سويد أخو الجلَّاس بن سويد، وكان من الأنصار، ارتد عن الإسلام هو واثنا عشر معه ولحقوا بمكة كفارا، فنزلت هذه الآية، ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة... وأسلم بعد نزول الآيات ".[1]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

قال الإمام الطبري رحمه الله: " من يطلب دينا غيرَ دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ يقول: من الباخسين أنفسَهم حظوظَها من رحمة الله ﷻ ".[2]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أهمية الدين في حياة الناس:

أ- لقد خلق الله تعالى الإنسان، كائنا ذا حاجات، حاجاتٍ للجسد، وحاجاتٍ للروح والعقل والقلب، فحاجات الجسد متوفِّرةٌ في الأرض، وبالتجربة صار الإنسان يعلم كيف يوفِّر هذه اللوازم لضمان بقائه حيا، أما الروح فلأنها عُلْويَّة المصدر، فغذاؤها عُلويٌّ كذلك، لا يَسَعُها الاستغناءُ عنه طرفةَ عين، وغذاء الروح سماويٌّ صِرْفٌ، لا يَدَ لمخلوق فيه، وهو منهجٌ سامٍ راقٍ، يعلو بالإنسان إلى أعلى المراتب، ويرتقي به في الكمال؛ لأنه مُحِبٌّ للكمال.

ب- والإنسان قاصرُ العقل، محدودُ الفِكر، قد يفعل ما يضرُّه، ولا يستطيع دفع غوائل عقله وشهواته إن ترك لها العنان، فكان لابُدَّ من عِقال، يعقِلُه عن كل مُحَرَّم، ويبيح له ما هو مُباح، هذا العِقال هو الدين.

ت- ولما كان الإنسان اجتماعيا بفطرته، كان لابد من تشريع ينظِّم هذا الاجتماع، فلا يعيش كوحْش في غابة، لا يعرف إلا نفسه، ولا يكترث بغيره.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (194/5).

(2) جامع البيان، الطبري، (570/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث- وجوف الإنسان خالٍ، يحتاج إلى مَلْئه بما يُغْنيه، فكانت نصوص الاعتقاد تسعفُه بما يحتاج، ولا تترك شيئا بعدها للتساؤل، فهي تجيب كلَّ التساؤلات، وتقطع الشكَّ باليقين.

فالعقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء؛ إذ هو بدون هذه العقيدة ضائع تائه، يفقد ذاته ووجوده، فهي تعلِّمه سبب خلْقه، وأصل خلقه، وما هو مصيره، وفرقٌ بين من يدري ومن لا يدري، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:22].[1]

ويوضِّح هذا الأستاذ سيد قطب رحمه الله بقوله: " إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير، خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها، حقيقة الإيمان، وخواء حياتها من المنهج الإلهي، هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه، إنها تعاني من الهجير المحرق الذي تعيش فيه بعيداً عن ذلك الظل الوارف الندي، ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق، ومن ثم تجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب، وتحس الخواء والجوع والحرمان".[2]

2) من خصائص الإسلام ومزاياه:

أ- الربَّانية، فالإسلام منهج ربَّاني، أي متَّصفٌ بالكمال، سالمٌ من العيب، مبرَّأٌ من النقص، بعيدٌ عن الحيف والظلم، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].[3]

ب- موافق للفطرة، الفطرة هي الإسلام، هكذا خلقها الله تعالى، ففي الحديث: **(... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً).**[4]

ت- لا يعارضُه العقل، فقد جاء الإسلام ليحرر العقل من رواسب الجاهلية، ودعاه إلى التأمل في آيات الله الكونية والشرعية والاعتبار بالسابقين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ

---

(1) انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، ص15.

(2) في ظلال القرآن، (422/1).

(3) انظر: العقيدة في الله ﷻ، د. صالح الرقب، د. محمد بخيت، ص13.

(4) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (158/8)، حديث رقم 7386.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:24]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:6].

ث- السماحة واليسر، وهي من سمات الإسلام البارزة، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:286]، وسماحة الإسلام طالت غير المسلمين، فنهَتْ عن الظلم والبغي، ودعتْ إلى حفظ الحقوق والعهود، وحثَّت على مكارم الأخلاق.

ج- المرونة والقدرة على حل المشكلات، فعقيدة الإسلام مَرِنَة، يتَّسع العقل لفَهْمها، وكذلك أحكام الإسلام، فقد وصلت من المرونة إلى ما لم تصلْ إليه الشرائع الأخرى.

ح- مواكبة العصر والتطوُّر العلمي، فالإسلام فيه موسوعة فقهية وقانونية كاملة تفي بحاجات الناس جميعا، وفيه نظام الحكم وأسسه، وفيه السياسة الشرعية، واحتوى الإسلام على منظومة متكاملة من الأخلاق، والتاريخ خير شاهد على ما شيَّد المسلمون الأوائل من أمجاد، وما كان هذا إلا بعد أن اتَّخذوا الإسلام منهج حياة.

المطلب الثاني: الله تعالى يهدي إليه من يشاء ويُضِلُّ من يشاء:

قال الله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [آل عمران:86- 89].

دين الله تعالى واضح، لا لبْسَ فيه ولا عِوَجَ، وهو بَيِّنُ المحاسن، ظاهر المزايا، جعله الله تعالى حُجَّة على العالمين، فأرسل به رسلَه، يبيِّنوه للناس ويَدْعونهم إليه، وجعل الله تعالى للإنسان حرية الاختيار، ووعد المستجيبين له الجنةَ، وأوْعَدَ المُعْرِضين عنه النارَ، فَحَرِيٌّ بالعاقل أن ينظر في شأنه نظر المشفق على نفسه أن تَبوْءَ بالخُسران، وأن يدرك ما فاته من التقصير والحرمان بِوُلُوج مَنَازل السعداء، ومجافاةِ مَهَاوي الأشقياء.

أولا: سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم تندم، فأرسل إلى قومه سلوا لي رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانا قد ندم وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة، فنزلت: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِيمَٰنِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، فأرسل إليه فأسلم ".[1]

وقال الحسن البصري رحمه الله: " هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رأوا نعتَ محمد ﷺ في كتابهم وأقرّوا به، وشهدوا أنه حقٌّ، فلما بُعث من غيرهم حَسدوا العربَ على ذلك فأنكروه، وكفروا بعد إقرارهم، حسدًا للعرب، حين بُعثَ من غيرهم "، قال الإمام الطبري: " وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن: منْ أنّ هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال، غيرَ أنّ الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن، وجائزٌ أن يكون الله ﷻ أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذُكر أنهم كانوا ارتدّوا عن الإسلام، فجمع قصّتهم وقصة من كان سبيلُه سبيلَهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد ﷺ في هذه الآيات، ثم عرّف عباده سُنته فيهم، فيكون داخلا في ذلك كلّ من كان مؤمنًا بمحمد ﷺ قبل أنْ يبعث، ثم كفر به بعد أن بُعث، وكلّ من كان كافرًا ثم أسلم على عهده ﷺ، ثم ارتد وهو حيٌّ عن إسلامه، فيكون معنيًّا بالآية جميعُ هذين الصنفين وغيرُهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله ".[2]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" إن الله لا يوافق قوماً شهدوا بأن الرسول حق، وجاءتهم الأدلة على ذلك، ثم بعد ذلك كفروا به وبمعجزاته، فكان ذلك ظلماً منهم، والله لا يوفق الظالمين، فأولئك عقوبتهم عند الله استحقاق غضبه عليهم، ولعنته، ولعنة صفوة الخلق جميعاً من ملائكة وبشر، ولا تفارقهم اللعنة، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يمهلون، لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا، فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية ".[3]

ثالثا: اللطائف البيانية:

1) ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾: " كيف: سؤال عن الأحوال، وهي هنا للتعجيب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان، أي: كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدّة الجرائم ".[4]

2) تذييل الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ " للإشارة إلى أنهم ظالمون، فهم ظلموا أنفسهم، وظلموا الرسول، وظلموا الحقائق وطمسوا على بصائرهم، فلا يمكن أن تدخل الهداية إلى قلوبهم، وفي النص الكريم إشارة إلى أن الظلم يُحْدِث في نفس الظالم ظُلمةً شديدة لَا ينفع

---

(1) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد، (107/7)، حديث رقم 4068، قال الألباني: صحيح الإسناد.

(2) جامع البيان، الطبري، (575/6).

(3) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (102/1).

(4) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (541/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معها ضوء، فتغلق كل الأبواب التي ينفذُ منها النور إلى موضع الإدراك، إذ إن أساس الظلم هو تسلُّط الهوى والغرض الفاسد والحقد والحسد على النفس ".[1]

رابعا: العبر والدلالات المستفادة من الآيات:

1) ذكرت الآية الأولى أربعة عناصر أوجبت على أهل الكتاب نفيَ الهداية وهي: " إيمان في الابتداء، وشهادة بأن الرسول حق، وكون البينات قد جاءتهم موضِّحةً لهذا الحق، ثم بعد ذلك يكفرون، فلو كان حالهم حال ضلال عن غير علم لأثار الله أبصارهم، ولو كانوا مخلصين وجهلوا الحقيقة وطلبوها لكانت هداية الله لهم ثابتة، ولكنهم غير ذلك، فهم قد كانوا مؤمنين، ويشهدون بالحق، وذلك عن بينة وعن أدلة يقينية ملزمة، ومع ذلك استولى عليهم التعصبُ بالباطل، فكان العمى الذي أرادوه، فلا هداية إلى الحق من بعد، وذلك لأن الله تعالى يهدي إلى الحق مَنْ أخلصَ وطلبه، فإن الإخلاص يقذف في القلب بالنور فيكون الإشراق الروحي، وتكون الهداية الربانية، أما من قَصَدَ إلى الباطل، ولم يخلص وعُكِّرَتْ بصيرتُه بالهَوَى، فإنه يكون محروما من هداية الله، حتى يغير من حاله بأن يتوب عن غيه، ويخلص وينيب ".[2]

2) بيان معنى هداية الدلالة وهداية المعونة: يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: " إن الهداية نوعان: هداية الدلالة المطلقة والتي تكون لجميع الخلق المؤمن والكافر، فقد دَلَّ الله المؤمن والكافر على الطريق المستقيم وبيَّنه لهم وأرشدهم إليه، والأخرى: هداية التوفيق والمعونة للقيام بمطلوبات المنهج الذي آمنوا به، وهذه خاصّة بالمؤمن، فبعد أنْ دَلَّه الله آمن وصدَّق واعترف لله تعالى بالفضل والجميل بأن أنزل له منهجاً ينظم حياته، فأتحفه الله تعالى بهداية التوفيق والمعونة "[3]، ومصداق هذا القول قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:17].

ومما سبق من الراجح في سبب النزول، فإنَّ أهل الكتاب كانوا أعلمَ الناس بصفة محمد ﷺ، لكنَّه لما بُعث كذَّبوه وناصبوه العداء، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:5].

3) الإنسان مُخيَّرٌ بين الهداية والضلال: قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:3]، " أي: بيَّنَّا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فآمن او كفر كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد:10] ".[4]

---

(1) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (1306/3).

(2) المصدر السابق، (1304/3).

(3) تفسير الشعراوي، (8754/14).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (449/21).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4) مُوجِباتُ الهداية: لقد أكْمَلَ اللهَ تعالى للإنسان أسبابَ الهداية، فجعل عقلَه راجحا يُميِّز به بين الحق والباطل، والصحيح والسقيم، وأوجد فيه فطرة سويَّةً توافق مقصدَ وجوده في هذه الحياة، وهيَّأ له الأرض وسخَّر له ما فيها؛ حتى لا تشغله ضروريات الحياةِ والمعاشِ عن اتِّباع الحق، وأرسل له الرسل مبشِّرين ومُنْذِرين، وأنزل إليه الكتب فيها النُّورُ والهدى، وكل ذلك حتى لا يكون له حجَّةً على الله تعالى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء:174، 175].

5) التهديد والوعيد لمن يعلم طريق الهدى ويبتغي غيره: بعد أن اجتمعتْ للإنسان أسبابُ الهداية، وقامت عليه الحُجَّة بذلك، ما كان له أنْ يتَّخذَ غير دين الله تعالى شرعة ومنهاجا، فلا يجدر بالعاقل أن يَرُدَّ هديةً أُهْديتْ إليه، وإلا اتُّهِم بالجنون، فالذي يرُدَّ دين الله عن نفسه ولا يتَّبعَه فهو مجنون مكابر، يخالف فطرته، ويخالف كلَّ المخلوقات حوله التي دانتْ لربِّها العظيم ﷻ.

ولكنَّ الله تعالى لم يغلق باب التوبة لمن أراد الرجوع بعد الإعراض، واشتُرِط الإصلاح في التوبة؛ لأن التوبة بلا إصلاح فليست بتوبة معتدٍّ بها شرعا، قال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:89]، " وفي هذا إيماء إلى أن التوبة التي لا أثر لها في العمل لا يعتدّ بها في نظر الدين، إذ كثير من الناس يظهرون التوبة بالندم والاستغفار والرجوع عن الذنب، ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى مثل ما كانوا قد اجترحوا من السيئات، لأن التوبة لم يكن لها أثر في نفوسهم ينبههم إذا غفلوا، ويهديهم إلى اتخاذ الطرق الموصلة لإصلاح شئونهم، وتقويم المعوجّ من أمورهم، فإذا هم فعلوا ذلك نالهم من مغفرة ربهم ما يؤهلهم لدخول جنته، والفوز برحمته ".[1]

(1) تفسير الشيخ المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (207/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (90 . 92)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدم التمادي في الباطل.

المطلب الثاني: الحث على المسارعة في التوبة قبل بلوغ الأجل.

المطلب الثالث: فضل النفقة في سبيل الله تعالى.

المطلب الرابع: صلاح النية شرط لقبول العمل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: عدم التمادي في الباطل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:90].

من سمات المؤمن الحق الإذعانُ للحق، ولقد كان من ثقافة السابقين أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وتلك قاعدة شرعية ينبغي على المسلم مراعاتها، ولا يَجْمُل به إغفالُها أو إهمالها.

أولا: سبب النزول:

" عن ابن عباس أن قوما أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ ".[1]

وقال قتادة والحسن: " نزلت في اليهود، كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن "، وقال أبو العالية: نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ لما رأوه بعد إيمانهم بنعته وصفته في كتبهم ".[2]

ثانيا: المعنى الإجمالي:

" إن الذين كفروا من اليهود بمحمد ﷺ عند مَبعثه، بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرًا بما أصَابوا من الذنوب في كفرهم ومُقامهم على ضلالتهم، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد ﷺ، ويراجعوا التوبة منه بتصديقه بما جاء به من عند الله ".[3]

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) لقد علَّم الإسلام أبناءه أن يكونوا عند حدود الله وقَّافين، فلا يركبون متْن الشَّطط، ولا يستخفُّهم عَرَضٌ زائل من متاع الدنيا، فهم على مبادئهم ثابتون، لا يتجاوزونها إلى غيرها، ولا يسمحون لأنفسهم باعتناق ما يخالفها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:135]،

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (106/3).

(2) معالم التنزيل، البغوي، (65/2)، جامع البيان، الطبري، (579/6).

(3) جامع البيان، الطبري، (581/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقيام بالقسط واجب شرعي، وهو في الوقت ذاته يدل على شجاعة صاحبه وسلامته من أمراض النفس، فالتمادي في الباطل يدل على خُبْث الطَّويَّة وسوء المَخْبَر، واتِّباعُ الهوى في أي مَنْزِلٍ علامةٌ دالَّةٌ على مجافاة الحق والتنكُّر له، وهذا ليس من صفة المؤمنين في شيء.

2) التمادي في الباطل من علامات الكِبْر: عندما يَنفُخ الشيطان في جوف ابن آدم نفخةَ الكِبْر، فإنه لا يرى إلا ذاته فقط، وتتربَّى في نفسه غريزة الانتفاش، ويتعاظم في نفسه، فلا يَقْبل نصحا، ولا يرفع لأحد قدْرا، ولا يعرف لأحد فضلا، وقد حذر النبي ﷺ من الكِبر في قوله: (... **الكِبْر بَطْرُ الحق، وغَمْطُ الناس**).[1]

ومن كان يقبل الحق من أي وِجْهَةٍ كانت، كان متواضعا، فهو يَهْتَمُّ للحق طلبا وإذعانا، وهذا مما يَحْجُز صاحبَه عن رؤية نفسه فوق الناس، ويجعله متبصِّرا بحقيقة نفسه.

3) من دوافع التمادي في الباطل:

أ- عدم الخوف من الله ﷻ وعقابه: وبيان ذلك أنَّ العبد عندما لا يرجو لله وقارا فإنه لا يتورَّع من الوقوع فيما حرَّمه الله تعالى من مخالفات للشرع، ولو كان الخوف من الله تعالى عنده حاضرا لكان قلبه حياًّ، ولكانت التوبة سبيله إلى الحق المبين.

ب- النفس الأمارة بالسوء: النفس تدعو إلى ما فيه هلاكُه، ومن طبيعة الإنسان ذو النفس الأمَّارة بالسوء أن يُرْضِيَ نفسَه في جميع ما تطلب، فهي تطلب المزيد دوما ولا تشبع.

ت- كيد الشيطان: فلا يزال الشيطان بالإنسان حتى يُغرقَه في الموبقات، وهو في ذلك يَؤزُّه على المعصية أزاًّ، ويزيِّنها له، حتى يألفَها ولا يجد في نفسه غضاضة عند ارتكابها، فهو عدو الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:6].

ث- كثرة الجدل بغير حق: فهذا الفعل يُورِث عمى القلب، ويحُوْلُ دون إدراك الحق، ويدفع صاحبه للانتصار لنفسه وحسب، فيعتقل عقلَه، ويُديرَ له ظهر المِجَنّ، ويأخذ الهوى وحظُّ النفس مَجْراهُما، فيتمادى في باطله، ويَهْذي ويفتري بلا زاجر يزجره ولا رادع يردعه.

ج- بُغْض الحق وأهله: إن من يبغض الحقَّ وحامليه يحمله حقده على اتِّباع الباطل، وهذه صفة اليهود، حيث تجلَّت عند مبعث نبينا محمد ﷺ، رُغم علمهم بنبوَّته وصدقه،

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (93/1)، حديث رقم 91، وبطر الحق هو التكبر عليه والامتناع من قبوله كبرا إذا خالف هواه، وغمص أو غمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم، (جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص223).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأضمروا له البغض والحقد كونَه عربي، وكذلك فعل المشركون، وجاء من بعدهم المنافقون، وقادهم هذا البغض إلى أذى المسلمين والكيد لهم، وهذا مستمر إلى يومنا هذا.

4) من صفات اليهود: لقد ظهر تمادي أهل الكتاب في باطلهم عندما ردُّوا رسالة محمد ﷺ، وهذا التمادي مستمر إلى قيام الساعة، فاليهود موجودون، وكذلك النصارى، ولا زالوا ينشرون أباطيل دينهم المُحرَّف، ويناضلون لأجلها، وهذه صفة اليهود خاصة، فقد مردوا على هذا التصرف، ومن صور تماديهم في باطلهم نسبتُهم الولدَ إلى الله ﷻ، ادِّعاؤهم بأنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه، وقتل الأنبياء والمصلحين، وعبادة العجل من دون الله تعالى، والمجادلة في شأن إبراهيم عليه السلام، وافتراؤهم على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾[الجاثية:16، 17]، فهاتان الآيتان توضِّحان الكرامة التي أكرم الله تعالى بها بني إسرائيل، فقد أوتوا الكتاب والحُكم والنبوة، وفُضِّلوا على العالمين، وبرغم هذا كلِّه اختلفت كلمتهم، وتناعت بهم الأهواء، تماديا في الباطل وبغيا وحسدا، وما أقبح التمادي في الباطل ممَّن جاءهم العلم، فهم في الحقيقة لم يَرْعَوا حقَّ العلم الذي حملوه.

واليوم يَدَّعون أن أرض فلسطين لهم، وأنهم ورثوها كابرا عن كابر، والحقائق التاريخية تثبت نقيض اعتقادهم، لكنهم يقفون على أرض صلبة من دعم الغرب والشرق والعرب كذلك.

5) الرجوع إلى الحق من صفات المؤمنين:

أوصى عمر ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ بوصية ذهبية رائقة، جاء فيها: " ولا يمنعنَّك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهُديت فيه لرشدك أن تُراجِع فيه الحق، فإنّ الحق قديم لا يُبطِلُه شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ".[1]

والمؤمنون من خصائصهم أنَّهم لا يَسْتنكفون عن الحق وسُلُوك سبيله، ولا يَجِدون في نفوسهم غضاضة من الرجوع إليه بعد تَوَهُّم غيره، فمنهجهم هو السمع والطاعة والإنابة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:51]، وهذا على نقيض ما عليه أهل الكفر والنفاق من البغي والمُمَاراة

---

(1) سنن الدارقطني، كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك، كتاب عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ، (367/5)، حديث رقم 4471، السنن الكبرى، البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب من اجتهد ثم رأى أن اجتهاده خالف نصا أو إجماعا أو ما في معناه ردَّه على نفسه وغيره، (119/10)، حديث رقم 20871.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الحق، فهم الذين تأخذهم الحَمِيَّةُ لأنفسهم والأنَفَةُ من قَبول الحق.

6) عاقبة التمادي في الباطل:

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطلاق:8- 10]، هذا عقاب كل عاتٍ مستكبر، عذابٌ شديد وخسارة الدنيا والآخرة.

وقد بيَّن لنا القرآن العزيز ما حَلَّ بقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم من الخزي والنَّكال، وفي ذلك عبرة لمن يأتي بعدهم أن يتَّعظ بحالهم.

المطلب الثاني: الحث على المسارعة في التوبة قبل بلوغ الأجل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:91].

عمر الإنسان المحدود لا يسمح له بأنْ يتباطأ عن استدراك ما فاته من الخير، والواجب عليه أن يكون على أُهبة الاستعداد للرحيل عن هذه الدنيا خَلِياً من الذنوب، مُتَخفِّفا منها، وهذا ما يتأتَّى بالتوبة الصادقة النَّصوح.

أولا: المعنى الإجمالي:

" إن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى وهم جاحدون، لن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله ﷻ شيئاً، ولو كان الذى يقدمه فدية له ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام ".[1]

ثانيا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) أهمية التوبة: خلق الله تعالى الإنسان، وركَّب فيه الجنوحَ إلى الخطأ، فشرع له التوبة؛ لتتحقَّق معاني أسماء الله الحسنى كالتواب والغفور والرحيم والعفو، وجُعِل عمُرُ الإنسان محدودا؛ لتنهض هِمَّتُه إلى التوبة والإنابة، وقد أخفى الله تعالى عن الإنسان أجلَه لتتحقَّق المسارعة في التوبة قبل مُوافاة الأجل، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل باب التوبة مفتوحا على مصراعيه في كل وقت؛ حتى لا يَيْأس عاصٍ من رحمة الرحيم ﷻ،

(1) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، (102/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي الحديث أنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**).[1]

وتأتي التوبة استجابة لحاجة الإنسان إلى النقاء والطهارة من الذنوب، فهي تُثقِل كاهلَه، وتقعد به عن معالي الأمور، وتهبِط به إلى الأرض، فإذا تاب انْجَلتْ عن قلبه الغشاوة، وانطلق في طاعة الله تعالى يتفيَّأ ظلالها بلا قيودَ تحبِسه، ولا أثقالَ تُضْنِيْه.

2) وجوب التوبة: التوبة واجبة في جميع الأحوال؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:8].

3) التوبة رحمة من الله تعالى: كان تشريع التوبة رحمة بهذه الأمة، وحيثية ذلك أن العاصي عندما يشعر بوجود فرصة للرجوع إلى رُشده فإنَّه لا يزال آملاً في رحمة الله تعالى، وأما إذا علم أنه لا مجال في الرجوع والتوبة، فإنه يمعِنُ في المعاصي ويتمادى بها، ويصبح مصدر رُعْبٍ للمجتمع بأسره، فقد يرتكب الجرائم، ويَعيْثُ في الأرض فسادا.

4) التوبة صمَّام أمان من نزول العذاب: جعل الله تعالى لهذه الأمة أمانَيْن من نزول العذاب، وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فلم يَبْقَ إلا الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:33].

5) المسارعة في التوبة: ندب الله تعالى المسلمين إلى الإسراع والمسابقة في التوبة والمغفرة فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]، وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:21].

6) شروط التوبة: إنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ، الثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا، الثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ، ويضاف إليها شرط رابع إنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيٍّ، وهو أنْ يَبْرَأ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه،

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب في التوبة، (1420/2)، حديث رقم 4253، قال الألباني: حسن، " مَا لَمْ يُغَرْغِرْ "، أَيْ: مَا لَمْ تَبْلُغْ رُوحُهُ حُلْقُومَهُ. (شرح السنة، البغوي، 91/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وإنْ كَانَت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا.[1]

7) في توبة العبد إلى ربه عليه أن يكون حَسَنَ الظن بالله تعالى، عظيمَ الرجاء في رحمته، ولا يَيْأس من كثرة ذنوبه، فعفوُ الله أعظم، واستحضارُ غنى الله ﷻ عن العبد وتوبتِه دافعٌ له للافتقار إلى الله تعالى، وهذا سبيلٌ لتجديد التوبة في كل يوم، وقد قال النبي ﷺ: (**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**).[2]

8) البِدار إلى التوبة مطلوب من المسلم والكافر، فالمسلم يتخفَّف من ذنوبه أولا بأوَّل، والكافر يخرج من ضلاله إلى نور الإسلام، ومتى لم يُدرك ذلك الكافر توبةً، فإنَّ مصيرَه النارُ خالدا فيها، مهما قدَّم من صدقات، وأطعم الجائع وكسى العاري، وأعان المحتاج، فهذا كلُّه لا يعود عليه بالنفع والفائدة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: (**لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**)[3]، فدلَّ هذا الحديث على أن التوحيدَ هو السبب الرئيس في قَبول الأعمال.

المطلب الثالث: فضل النفقة في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:92].

الإنسان بطبعه مائل إلى الحرص والطمع والإقتار، فأوجب الله تعالى عليه الزكاة طهارة له من البخل، وصيانة لماله من الدَّخَن، وندبَ الله تعالى عباده إلى أعمالٍ تبيِّن صدقهم وطهارتهم، ومنها الإنفاق في وجوه الخير والبِر، وأخبر النبي ﷺ أنَّ الصدقة دليل وعلامة على صدق الإيمان وتمكُّنه في النفس فقال: (**والصدقة برهان**)[4]، فالمتصدِّق يؤمن أنَّ ما عند الله تعالى خير وأبقى، فهو يدَّخر من دنياه الفانية في حياته الباقية.

أولا: المعنى الإجمالي:

" لن تنالوا حقيقة البر، ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذى يوصلكم إلى رضا الله، وإلى جنته التي أعدها لعباده الصالحين، إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله،

---

(1) رياض الصالحين، الإمام النووي، ص14.

(2) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، (67/8)، حديث رقم 6307.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، (196/1)، حديث رقم 214.

(4) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (203/1)، حديث رقم 223.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما تنفقوا من شيء – ولو قليلا – فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه بأكثر مما أنفقتم وبذلتم ".[1]

ثانيا: معاني المفردات:

1) ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ : تنالوا أي تدركوا، والبِرُّ هنا الجنة، فالمعنى: " لن تدركوا أيها المؤمنون البرَّ وهو "البر" من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل "البر" الجنة، لأن بر الربّ بعبده في الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة ".[2]

2) ﴿تُنفِقُواْ﴾ : " (نفق) النون والفاء والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه... والنَّفَقة تمضي لوجهها "[3]، فهي تنقطع من مال صاحبها إلى المُنفَق عليه، وقد تكون مخفيَّة لا يراها أحد.

ثالثا: المناسبة:

لمّا بينت الآية السّابقة " أنّ الذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظمُ ما ينفقُه، بيّنت هذه الآية ما ينفع أهل الإيمان من بذل المال، وأنّه يبلغ بصاحبه إلى مرتبة البرّ، فبيْن الطرفيْن مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة، والخطاب للمؤمنين لأنَّهم المقصود من كُلّ خطاب لم يتقدّم قبله ما يعيِّن المقصود منه ".[4]

رابعا: اللطائف البيانية:

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾ : لـ(حتّى) "هنا موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها؛ لأنَّه لو قيل: إلاّ أن تنفقوا مِمَّا تحبّون، لتوهمّ السامع أنّ الإنفاق من المُحَبِّ وحده يُوجِب نَوالَ البِرّ، وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات الَّتي أشعرت بها (حتَّى) الغائية... ومقتضى الغاية أنّ نوال البرّ لا يحصل بدونها، وهو مُشْعِرٌ بأنّ قبْل الإنفاق مسافاتٍ معنويةً في الطريق الموصلة إلى البرّ، وتلك هي خصال البرّ كلّها بقيتْ غير مسلوكة، وأنّ البرّ لا يحصل إلاّ بنِهايتها وهو الإنفاق من المحبوب ".[5]

خامسا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) الترغيب في الإنفاق: بيَّنت هذه الآية وغيرها فضلَ الإنفاق في سبيل الله تعالى، وأنه مضمون النتيجة، وهي جنة عرضها السموات والأرض، فالمتصدِّقون والمتصدِّقات موعودون بالأجر

---

(1) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (238/2).

(2) جامع البيان، الطبري، (587/6).

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (364/5).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (5/4).

(5) المصدر السابق، (6/4)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العظيم ومضاعفته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:18]، وحتى يتمكَّن الإيمان بالغيب من القلوب وعدَ الله تعالى المنفقينَ بجزيل الأجر وعظيم الثواب فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:20]، وجاء في السنة الترغيب الشديد على الصدقة، قال رسول الله ﷺ: **(من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبَّلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها، كما يربِّي أحدُكم فُلُوَّه، حتى تكونَ مثلَ الجبل)**.[1]

2) الأمر بالإنفاق والتحريض عليه وذمُّ البخل والشُّح: قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، فسمَّى ترك الإنفاق إلقاءً بالنفس إلى التهلُكة، " وفي هذه الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله، وهو الجهاد... واللفظ يتناول غيره مما يصدق عليه أنه من سبيل الله، والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا ".[2]

3) وقد نهى الله تعالى عن الشُّحِّ والبخل، فهما مُهلِكان للعبد، وهما داءٌ عُضال يصعُب الخلاص منهما، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:9]، وبمفهوم المخالفة فإنَّ من وقع في الشُّح فليس بمُفلِح، بل هو خاسر، فهو يعيش في الدنيا حياة الفقراء ويحاسَب في الآخرة حساب الأغنياء، وما حمله على شُحِّه إلا الطمع وحب الدنيا، وهذا من علامات ضعف الإيمان، وهو – الشُّح – من صفات اليهود كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:53]، أما المؤمنون فكُرماء يواسون الناس، ولا يضنُّون على محتاج بمال، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:8]، وعن جابر ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **(... وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)**.[3]

4) الإنفاق سبب لحصول البركة في المال: وقد قال النبي ﷺ: **(ما نقصت صدقة من مال)**[4]، ووُجِّه عدم النقص بثلاثة معان، " الأول: أنه يُبارَك له فيه ويدفع عنه الآفات، فيُجْبَر نقصُ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، (108/2)، حديث رقم 1410، والفُلُوُّ: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، أو بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ المُهْرُ. (رياض الصالحين، النووي، ص254).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (222/1).

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (1996/4)، حديث رقم 2578.

(4) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (2001/4)، حديث رقم 2588.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورة بالبركة الخفية، والثاني: أنه يحصل بالثواب الحاصل عن الصدقة جبران نقص عينها، فكأنَّ الصدقة لم تُنْقِص المال لِما يكتب الله من مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة... والثالث أنه تعالى يَخلُفُها بِعِوَضٍ يَظهَرُ به عدمُ نقصِ المال بل ربَّما زادتْه ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ:39]، وهو مجرَّبٌ محسوس ".[1]

5) من آثار الإنفاق: تزكية النّفس من بقية ما فيها من الشحّ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:9]، " وفي ذلك صلاح عظيم للأمّة إذ تجود أغنياؤها على فقرائها بما تطمح إليه نفوسهم من نفائس الأموال فتشتدّ بذلك أواصر الأخوّة، ويهنأ عيش الجميع "[2]، وتختفي السَّرقات، وتسود الرحمة والتآخي والصِّلة، وتملؤ القناعة على أصحابها نفوسَهم، فلا يطمع الفقير في مال الغني، ويندثر الحسد والحقد، ويصبح عيش الناس حميدا.

6) الصدقة وقاية للعبد من السوء في الدنيا والآخرة: قال رسول الله ﷺ: **(صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء)**[3]، فمن رام صيانة نفسه من سوءٍ في الدنيا كالأمراض والأسقام وضنك العيش وهموم الحياة فعليه بالصدقة، فهي من المعروف المذكور في الحديث، وكانت صدقة السر مُذْهِبةً لغضب الرب لكونها تمخَّضت عن إخلاص عميق، ومصارعُ السوء – كالحاجة إلى الناس وسوء الخاتمة والفضيحة في الآخرة – مدفوعةٌ بصنائع المعروف، وهي كثيرة، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضَى بين الناس)**[4]، ويومُ القيامة كثيرُ الأهوال والمَخاوِف، ويأتي صاحب الصدقة آمنا ويمكث في ظل صدقته حتى ينتهي القضاء بين الناس، وهذا من تفريج الله تعالى للكُرَب، فكما أنَّ هذا العبد فرَّج عن أخيه كربة كان الجزاء من جنس عمله.

7) حريٌّ بأغنياء المسلمين أن يؤدُّوا زكاة أموالهم وصدقاتٍ تجود بها نفوسهم، فلن يبقى فقير واحد بينهم؛ حتى يتحقق التكافل الاجتماعي في أبهى صوره، ولا يحتاج مسلم إلى أن يسألَ الناس، ويريق ماء وجهه لتحصيل لقمة عَيشه.

---

(1) سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، كتاب الجامع، باب الترغيب في مكارم الأخلاق، (4/588، 589).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (4/6).

(3) شعب الإيمان، البيهقي، كتاب في الزكاة، فصل في الاختيار في صدقة التطوع، (3/245)، حديث رقم 3442، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، (1/361).

(4) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن بلبان، كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، (8/104)، حديث رقم 3310، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8) لو راعى المسلمون ذلك لما امتدَّت أيدي حكوماتهم إلى الشرق والغرب يستجدون المساعدات والإعانات، ولما اتَّخذ دعاة النصرانية ذلك وسيلة لنشر دينهم المحرَّف، فلمَّا ضنُّوا على أنفسهم بالعطاء، ذهبت أموالهم إلى غير وجوهها، فذهبت بركتها، واستغلَّها أعداؤهم ضدَّهم بابتزازهم وإذلالهم بأموالهم.

المطلب الرابع: صلاح النية شرط لقبول العمل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران:92].

أعمال الجسد تنقسم إلى قسمين اثنين: أعمال القلب، وأعمال الجوارح، فأعمال الجوارح هي العبادات التي يُباشرها الإنسان بجسده كالصلاة والصيام والحج والجهاد وغيرها، أما أعمال القلب فهي التي تختص بالقلب دون سواه، كالنية والحب وسلامة الصدر من الأحقاد وغيرها مما ليس للجوارح فيها كسب، ومعلومٌ أنَّ عملَ القلب أعظمُ من عمل الجوارح، إذ إنَّ عملَ الجوارح مبنيٌّ على عمل القلب، وهو النية.

أولا: المعنى الإجمالي:

" ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ أي: أيُّ شيء تنفقون من الأشياء، أو أي شيء تنفقوا طيبٍ تحبونه أو خبيثٍ تكرهونه... ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ أي: فيجازيكم بحسبه، فإنه تعالى عليم بكل ما تنفقونه، والمراد أن الله تعالى يعلمه موجودا على الحد الذي تفعلونه من حسن النية وقبحها... وفي الآية إشارة إلى الحث على إخفاء الصدقة ".[1]

ثانيا: اللطائف البيانية:

" قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ تَذْييل قُصد به تعميم أنواع الإنفاق، وتبيين أنّ الله لا يخفى عليه شيء من مقاصد المنفقين، وقد يكون الشيء القليل نفيساً بحسب حال صاحبه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة:79] ".[2]

وفي هذا القول دليل على أهمية النية وأنَّها منشأ العمل، وبها تتحدَّد وِجهة العمل إلى القَبول أو الرَّد، وبها تتبيَّن ثمرته.

---

(1) روح المعاني، الألوسي، (223/3).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (7/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: العبر والدلالات المستفادة من الآية:

1) شرطا قَبول العمل: العمل لا يكون صالحا إلا إذا تحقَّق فيه شرطان اثنان: أولهما الإخلاص، وهو: من عمل القلب الذي يُراد به وجهُ الله تعالى لا غيرَه، وهو شرط قَبول الأعمال[1]، وثانيهما: متابعة النبي ﷺ، أي أنْ يكون العمل موافقا للشرع، وقد بيَّنت نصوص كثيرة أنَّه لا يُقبل من العمل إلا ما كان خالصا لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:5]، وقال ﷺ: **(الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)**.[2]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا شَيْءَ لَهُ)**، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا شَيْءَ لَهُ)**، ثُمَّ قَالَ: **(إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)**.[3]

2) الثواب على النية الصالحة: إن من الناس من لا يستطيع أن يباشر بعض الأعمال المُجهِدة والشاقة، كالجهاد والإنفاق والسعي في مصالح المسلمين وغير ذلك، ولكنه يتمنَّى أنْ لو استطاع أن يفعل كفِعْلِهم، فهذا يُكتب له الأجر كالذي فعل، عن جابر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: **(إن بالمدينة لَرِجالاً ما سِرْتُم مَسِيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض)**[4]، وأفاد الحديث أنَّ من حبسه العذر عن الجهاد كان له أجر المجاهدين إذا صحَّت نيَّته وقصده في الرغبة في الجهاد[5]، وكذلك غيره من الأعمال.

---

(1) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن، د. مصطفى البغا، محيي الدين مستو، على الشربجي، محمد أمين لطفي، (19/1).

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، (20/1)، حديث رقم 54.

(3) السنن الكبرى، النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، (286/4)، حديث رقم 4333، قال الألباني: حسن صحيح.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، (1518/3)، حديث رقم 1911.

(5) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، تأليف: د. مصطفى سعيد الخن، د. مصطفى البغا، محيي الدين مستو، على الشربجي، محمد أمين لطفي، (22/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3) الإخلاص من صفات المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:60]، " أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط ".[1]

4) تعدد النوايا الصالحة في العمل الواحد تجارة الفقهاء: على المؤمن أن يكون فطِنا نابهاً، فما من ضَيرٍ أن يعزم في قلبه عدة نوايا في عمل واحد، ويأخذ أجورها جميعا.

أما إذا اجتمع في القلب نيَّتان فأكثر فالقول فيها مفصَّل، وحاصلُه " أنّه إذا استوى الباعثان الأجْرُ والذِّكْرُ مثلا بَطَلَ الأجر، ولعل بطلانَه هنا لخصوصية طلب الذِّكْر لأنه انقلب عمله للرياء، والرياء مُبْطِل لما يشاركه، بخلاف طلب المغنم فإنه لا ينافي الجهاد، بل إذا قصد بأخذ المغنم إغاظة المشركين والانتفاع به على الطاعة كان له أجر، فإنه تعالى يقول: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة:120]، والمراد: النَّيل المأذون فيه شرعا ".[2]

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (129/10).

(2) سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، (205/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة والتوصيات

وتشتمل على:

- **أولا: أهم النتائج.**
- **ثانيا: أهم التوصيات والمقترحات.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، مؤتيا ثمارَه، نافعا قارئه، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصَّل إليها الباحث.

أولا: نتائج البحث:

1. علم مقاصد السور علم جديد، يحتاج إلى دراسة شاملة ومعمَّقة للآيات والسور، وهو علم شريف لتعلُّقه بالقرآن الكريم.
2. البحث في علم مقاصد السور يسفِر عن إمكانية استخراج نظريات قابلة للتطبيق في حياة الناس، فيكون بذلك منهجا قرآنيا سديدا.
3. العلم بمقصد السورة الأكبر يساهم في توضيح مناسبات الآيات لبعضها وكذلك مقاطع السورة.
4. القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، فهداياته جمَّة لا تنقطع، وهي متنوِّعة تعالج جميع شؤون الحياة، وتضع الحلول لمشكلاتها، وبيان مقاصد الآيات جزء من هذه الحلول.
5. سورة آل عمران تعالج القضية الكبرى في هذا الوجود، وهي قضية التوحيد وما يتبعها من أركان الإيمان، وبينت أن الدين المقبول عند الله تعالى هو الإسلام.
6. تبين السورة حقيقة أهل الكتاب، وكيف كان موقفهم من رسالة الإسلام والمسلمين، وهذا التبيان فيه دلالة المسلمين وتنبيههم على أن السلامة في مخالفة أهل الكتاب.
7. تناقش بداية السورة قول النصارى في عيسى عليه السلام، وتردُّ عليهم وتدحض حججهم، وتبين الصحيح في الاعتقاد، وتفنِّد السورة مزاعم اليهود كذلك.
8. ما في هذه السورة من مقاصد يعنى بتوجيه المسلم الوِجْهة الصحيحة الخالية من الشوائب، وذلك عبر مجموعة من القيم والمبادئ التي متى رسخت في نفس صاحبها فاز بخير الدنيا والآخرة.
9. تؤكد السورة على عقيدة الولاء والبراء، وهي جوهر عقيدة التوحيد، وهذا مفهوم من بيان حال اليهود والنصارى مع أنبيائهم ونبينا محمد ﷺ، وحالهم مع المسلمين.
10. حقق البحث مجموعة طيبة من وجوه المناسبات بين الآيات بما يساعد على ربط موضوعاتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11. جاء في البحث كمٌّ ليس بالقليل من اللطائف البيانية التي تبيِّن بلاغة القرآن الكريم وروعة نظمه.
12. احتوى البحث على معاني المفردات والمعاني الإجمالية للآيات ما يجعله واضح المعنى للعامة والخاصة.
13. توشَّح البحث بالكثير من العبر والدلالات والعظات المستفادة من الآيات بما يشكِّل مادة علمية للقارئين.

ثانيا: التوصيات والمقترحات:

1. أول وصية هي ما وصَّى الله تعالى به أنبياءه، وهي التقوى، فهي مصداق الإيمان، وأمارة الفوز في الدنيا والآخرة.
2. الإقبال على القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ والتدبر والفهم الدقيق، فإن في ذلك الخير العميم.
3. توجيه حملة العلم الشرعي إلى دراسة مقاصد السور والآيات، والخروج بأحكام واقعية تقرِّب الإسلام وتظهر سماحته، وكذلك الخروج بما يعين المسلم على القيام بأمر دينه خير قيام.
4. استخدام المقاصد المستنبطة في بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه، وأن تكون هذه المقاصد منطلقا في الدعوة إلى الله تعالى.
5. اقترح أن تخضع هذه السلسلة – عند إتمامها إن شاء الله– لعملية اختصار ومراجعة وترتيب وفهرسة وترجمة، يقوم عليها المقتدرون؛ ليَعُمَّ نفعُها في الأمة.

وختاما:

فما كان من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطأ أو سهو أو لغو أو نسيان فمن نفسي والشيطان، فالله تعالى أبى إلا أن يُحكِم كتابَه، وأسأله سبحانه العفو والمغفرة وأن يجعل عملي هذا لوجهه خالصاً، وأن أجِده ذخيرةً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: فهرس الآيات القرآنية:

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الفاتحة		
.1	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	5	5
	سورة البقرة		
.2	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾	16	183
.3	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾	63	165 ،164
.4	﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾	80	51
.5	﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	105	201
.6	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	109	156
.7	﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾	111	178 ،51
.8	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾	131-130	151
.9	﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾	132	205
.10	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾	140	151
.11	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	143	172
.12	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾	146	159
.13	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾	159	159
.14	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾	174	183
.15	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	186	127
.16	﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾	193	41
.17	﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	195	221
.18	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾	235	73
.19	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	253	171
.20	﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	255	28
.21	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾	258	151
.22	﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾	272	39
.23	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾	282	191
.24	﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾	283	160
.25	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	285	204

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.26	﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	286	209
	سورة آل عمران		
.27	﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	3-1	12
.28	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	5	117
.29	﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾	6	12، 117
.30	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾	10	68
.31	﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	14	19
.32	﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ﴾	17	9
.33	﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	18	12، 196
.34	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	19	205
.35	﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾	20	48
.36	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾	33	8، 171
.37	﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ﴾	35	8
.38	﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾	36	98
.39	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾	37	94
.40	﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾	42	8
.41	﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾	44	95
.42	﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾	46 ،45	114
.43	﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾	50	204
.44	﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾	62	12
.45	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾	64	192
.46	﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	73	171
.47	﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾	78	161
.48	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	80 ،79	189
.49	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	85	32، 33
.50	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾	89	212
.51	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا﴾	100	158
.52	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾	101	158

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.53	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	102	78
.54	﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾	103	36
.55	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	172
.56	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾	123	134
.57	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	132	86
.58	﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	133	218
.59	﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾	181	13
.60	﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	186	13
.61	﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾	187	183
.62	﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾	197-196	13
.63	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	200	13
	سورة النساء		
.64	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	1	73
.65	﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾	13	87
.66	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	28	78
.67	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	40	56
.68	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	44	156
.69	﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾	45	156
.70	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	48	204
.71	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾	50 ،49	178
.72	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	52 ،51	165 ،164
.73	﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾	53	221
.74	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾	54	59 ،58
.75	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	61	201
.76	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	64	85
.77	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65	87
.78	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	69	87
.79	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾	77	20

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.80	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾	82	208
.81	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾	113	119
.82	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	131	181
.83	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾	135	214
.84	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	136	203
.85	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	141	184
.86	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	151، 150	203
.87	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾	157	132
.88	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	175، 174	212
	سورة المائدة		
.89	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾	1	180
.90	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	3	200 ،32
.91	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾	18	178 ،51
.92	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾	44	201
.93	﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	49	204
.94	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾	51	71
.95	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾	66	49
.96	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	67	197
.97	﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	75	116 ،99
.98	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	98	80
	سورة الأنعام		
.99	﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ﴾	11	79
.100	﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	15	78
.101	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾	33	153
.102	﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	48	204
.103	﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾	79 ،78	152
.104	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾	90	204 ،92
.105	﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾	101	96

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.106	﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾	152	180
.107	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾	153	186
	سورة الأعراف		
.108	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	54	63، 86
.109	﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	55	126
.110	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾	96	49، 181
.111	﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	99	74، 80
	سورة الأنفال		
.112	﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾	12	198
.113	﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	26	132
.114	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾	33	218
.115	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾	45	105
.116	﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	55، 56	180
.117	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	74	196
	سورة التوبة		
.118	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	32، 33	132
.119	﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾	40	196
.120	﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	71	71
.121	﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	79	222
.122	﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	105	76
.123	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾	120	225
.124	﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾	122	31
	سورة يونس		
.125	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾	15	78
.126	﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾	69	178
.127	﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	109	186
	سورة هود		
.128	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾	18	178
	سورة يوسف		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.129	﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	87	102
سورة الرعد			
.130	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾	17	140
.131	﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾	20	180
.132	﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾	35	18
.133	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾	38	204
سورة إبراهيم			
.134	﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾	7	101
.135	﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	42	45
سورة الحِجْر			
.136	﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	9	200
.137	﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾	26	138
.138	﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	94	41، 197
.139	﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾	95	197
سورة النحل			
.140	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ﴾	35	204
.141	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	90	176
.142	﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾	91	180
.143	﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾	116	160
.144	﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	123	84
.145	﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾	125	148
سورة الإسراء			
.146	﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾	1	111
.147	﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	34	180
.148	﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	55	171
.149	﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾	70	171
.150	﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾	81	141
.151	﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾	85	60، 120
سورة الكهف			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.152	﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ ﴾	6	38
سورة مريم			
.153	﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾	30 -33	116، 122
.154	﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾	42	151
.155	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾	98	123
سورة طه			
.156	﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾	122	92
.157	﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾	124	21
سورة الأنبياء			
.158	﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾	8	204
.159	﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾	18	115، 140
.160	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ ﴾	25	192
.161	﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾	29	192
.162	﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾	47	56
.163	﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾	57، 58	151
.164	﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾	91	99
سورة الحج			
.165	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾	5	138
.166	﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾	30	160
.167	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾	38	153
.168	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	41	84
.169	﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	75	92
سورة المؤمنون			
.170	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾	8	179
.171	﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾	12	138
.172	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾	57 -61	78، 79، 225
.173	﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ ﴾	91	117
.174	﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾	115	76
سورة النور			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.175	﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	31	218
.176	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	51	216 ،48
.177	﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾	54	86 ،84
.178	﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾	63	86
سورة الفرقان			
.179	﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾	23	45
.180	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	56	204
.181	﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾	63	111
سورة الشعراء			
.182	﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾	5	200
سورة النمل			
.183	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	14	162
سورة القصص			
.184	﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	83	181
سورة العنكبوت			
.185	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	3 ،2	140
.186	﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	45	105
.187	﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	46	148
.188	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾	61	64
سورة الروم			
.189	﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾	17	104
.190	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	30	200
.191	﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾	42	79
.192	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	54	78
سورة الأحزاب			
.193	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾	7	171
.194	﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	21	53
.195	﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾	39	204
.196	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	42 ،41	105

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.197	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	46 ،45	38
.198	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾	56	29
.199	﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾	71	87
.200	﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	72	179
سورة سبأ			
.201	﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	24	176
.202	﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾	39	222
سورة فاطر			
.203	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾	5	80 ،18
.204	﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾	6	215
.205	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	15	79
.206	﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	28	120
.207	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾	30 ،29	112
سورة يس			
.208	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ ﴾	12	77
سورة الصافات			
.209	﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ ﴾	11	138
.210	﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	132	111
سورة ص			
.211	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	26	204
سورة الزمر			
.212	﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	9	30
.213	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	30	204
.214	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾	43	178
.215	﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾	53	102
سورة غافر			
.216	﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾	19	72
.217	﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾	43 ،41	78
.218	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾	60	126

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة فصلت			
.219	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾	41، 42	200
سورة الشورى			
.220	﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾	15	204
سورة الزخرف			
.221	﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾	22	168
.222	﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾	43	85، 168، 200
.223	﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	44	200
.224	﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾	58	148
.225	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	87	64
سورة الدخان			
.226	﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾	24-29	61
سورة الجاثية			
.227	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	13	100
.228	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	16، 17	216
.229	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾	23	201
سورة محمد ﷺ			
.230	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾	7	196
.231	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾	17	211
.232	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	24	208 ح،
.233	﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾	38	165
سورة الحجرات			
.234	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾	13	168
سورة ق			
.235	﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾	6	209
.236	﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾	41-45	135
.237	﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	45	55
سورة الذاريات			
.238	﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	15-19	181

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.239	﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	23 ،22	65
.240	﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	55	135 ،55
.241	﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	56	143 ،111
سورة النجم			
.242	﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾	5	119
سورة القمر			
.243	﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	17	157
سورة الرحمن			
.244	﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾	46	78
سورة الحديد			
.245	﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾	4	73
.246	﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾	18	221
.247	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾	20	20
.248	﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾	21	218
.249	﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾	25	87
سورة المجادلة			
.250	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾	11	30
سورة الحشر			
.251	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾	9	222 ،221
سورة الصف			
.252	﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾	5	211
.253	﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾	6	157 ،49
.254	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾	10	19
.255	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾	14	198 ،124
سورة الجمعة			
.256	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾	5	52
.257	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	10	105
سورة الطلاق			
.258	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾	10-8	217

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة التحريم			
.259	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾	8	218
.260	﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾	12	99، 117
سورة الملك			
.261	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾	2	76
.262	﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	14	72
.263	﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾	15	100
.264	﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا﴾	22	208
سورة الجن			
.265	﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾	16	49
سورة المزمل			
.266	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾	20	221
سورة الإنسان			
.267	﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾	3	211
.268	﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	8	221
سورة المطففين			
.269	﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	14	165
سورة البلد			
.270	﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	10	87، 211
سورة الغاشية			
.271	﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾	21	135
سورة البينة			
.272	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	5	224
سورة العلق			
.273	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾	6، 7	198
سورة الزلزلة			
.274	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾	7، 8	56، 76

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: فهرس الأحاديث الشريفة:

م	طرف الحديث	راوي الحديث	درجة الحديث	الصفحة
.1	اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها	الترمذي	حسن	179
.2	ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ	ابن ماجه	صحيح	21
.3	افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً	ابن ماجه	صحيح	36
.4	الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى	البخاري	صحيح	224
.5	الدين النصيحة، قلنـــا: لمن؟	مسلم	صحيح	31
.6	الصلح جائز بين المسلمين	الترمذي	صحيح	180
.7	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه	البخاري	صحيح	196
.8	إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ	ابن ماجه	حسن	218
.9	إنَّ الله سَيُخَلِّصَ رجُلا مِنْ أُمتي	ابن ماجه	صحيح	29
.10	إن الدنيا حلوة خضرة	مسلم	صحيح	80
.11	إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة	البخاري	صحيح	20
.12	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل	الترمذي	صحيح	92
.13	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها	أبو داود	صحيح	139
.14	إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مشارقها	مسلم	صحيح	133
.15	إن الله قال: من عادى لي وليا	البخاري	صحيح	43
.16	إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين	الترمذي	صحيح	190
.17	إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم	البخاري	صحيح	149
.18	إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم	أبو داود	صحيح	127
.19	إنه من لم يسأل الله يغضب عليه	الترمذي	حسن	126
.20	أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه	مسلم	صحيح	111
.21	ألا إن آل أبي- يعنى فلانا- ليسوا لي	مسلم	صحيح	71

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.22	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟	البخاري	صحيح	160
.23	ألا أنبئكم بخير أعمالكم	الترمذي	صحيح	106
.24	أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له	مسلم	صحيح	78
.25	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا	البخاري	صحيح	28
.26	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	مسلم	صحيح	171
.27	أي الكلام أفضل؟	مسلم	صحيح	105
.28	أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب	ابن ماجه	صحيح	100
.29	آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب	البخاري	صحيح	179، 180
.30	بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالتَّمْكِينِ	أحمد	صحيح	103
.31	تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحصير	مسلم	صحيح	165
.32	تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾	مسلم	صحيح	52
.33	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا	النسائي(الكبرى)	حسن صحيح	224
.34	سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل	الترمذي	حسن الإسناد	181
.35	صدقة السر تطفئ غضب الرب	البيهقي	صحيح	222
.36	فضل عائشة على النساء كفضل الثريد	البخاري	صحيح	99
.37	قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه	مسلم	صحيح	198
.38	كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية	الترمذي	حسن	197
.39	كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد	النسائي	صحيح الإسناد	210
.40	كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضَى	ابن حبان	صحيح	222
.41	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	البخاري	صحيح	86
.42	كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: إن بالمدينة	مسلم	صحيح	224
.43	كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل	مسلم	صحيح	169
.44	لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود	مسلم	صحيح	141

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.45	لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا	ابن ماجه	حسن	134
.46	لقيت إبراهيم ليلة أسري بي	الترمذي	حسن	106
.47	لو أنكم كنتم توكلون على الله	الترمذي	صحيح	65
.48	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ	البخاري	صحيح	52، 201
.49	مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ	ابن ماجه	حسن	106
.50	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما	الترمذي	صحيح	21
.51	ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل	الترمذي	حسن	148
.52	ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة	الترمذي	حسن صحيح	127
.53	ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه	البخاري	صحيح	98
.54	ما نقصت صدقة من مال	مسلم	صحيح	221
.55	مرَّ رسولُ الله ﷺ على رهط	ابن حبان	صحيح	103
.56	من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله	أبو داود	صحيح	70
.57	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	البخاري	صحيح	221
.58	من حجَّ لله فلم يرفث، ولم يفسق	البخاري	صحيح	112
.59	من حلف على يمين، وهو فيها فاجر	البخاري	صحيح	182
.60	من دعا إلى هدى كان له من الأجر	الترمذي	صحيح	52
.61	من سلك طريقا يطلب فيه علما	أبو داود	صحيح	31
.62	من سئل عن علم فكتمه	أبو داود	حسن صحيح	159
.63	من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم	البخاري	صحيح	145
.64	هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه	البخاري	صحيح	198
.65	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه	البخاري	صحيح	219
.66	يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟	البخاري	صحيح	52
.67	يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ	الترمذي	صحيح	106

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.68	يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية	الترمذي	صحيح	168
.69	يا رسول الله، ابن جدعان كان	مسلم	صحيح	219
.70	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	مسلم	صحيح	177
.71	يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدولُه	الخطيب التبريزي	صحيح	178
.72	يخرج من النار من كان في قلبه	الترمذي	صحيح	56
.73	يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا	البخاري	صحيح	103

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم:

م	اسم العلم	الصفحة
.1	**ابن الأعرابي**	190
.2	**ابن جريج**	43
.3	**ابن عاشور**	19
.4	**أبو العالية**	159
.5	**أبو بكر بن أبي داود**	54
.6	**أبو حيان**	8
.7	**أبو عمرو الداني**	10
.8	**الأصمعي**	127
.9	**الألوسي**	8
.10	**الأوزاعي**	53
.11	**البقاعي**	4
.12	**جابر بن زيد**	178
.13	**الجنيد**	53
.14	**الجوزجاني**	84
.15	**الحسن البصري**	82
.16	**الحرالي**	51
.17	**سعيد بن جبير**	122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.18	**سهل التستري**	84
.19	**عكرمة**	199
.20	**قتادة**	91
.21	**قتيبة بن مسلم**	128
.22	**مجاهد**	51
.23	**محمد بن واسع**	128
.24	**مكي بن أبي طالب**	95
.25	**الواحدي**	10

رابعا: فهرس المصادر والمراجع:

1. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، توفي بعد سنة 320هـ، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، ط1 1397هـ.
2. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الإمام الشوكاني(ت:1250هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1984م.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان.
4. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: 468هـ)، تحقيق ودراسة: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1 1411هـ–1991م.
5. الاعتصام، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت: 790هـ)، ضبطه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، بدون طبعة.
6. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار النشر: دار الإرشاد – سورية.
7. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت:911هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم، ط1، 1410هـ–1990م.
8. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،ط1 1399 هـ – 1979 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط15، مايو 2002 م.
10. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،المملكةالعربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.
11. الإيمان، (أركانه، حقيقته، نواقضه)، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة السنة–القاهرة، ط1، 1412هـ–1991م.
12. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت: 393هـ) ، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر– بيروت.
13. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية – لبنان– بيروت، ط1 1413 هـ – 1993 م.
14. بدائع التفسير الجامع لما فسَّره الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، جَمَعَه: يسري السيد محمد، راجعه: صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط1 1427هـ.
15. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ط3، 1416هـ–1996م.
16. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر– صيدا، ط2، 1399هـ–1979م.
17. البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار النشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط1، 1414 هـ– 1994 م.
18. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ط2، 1407هـ–1987م.
19. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، دار الكتب العلمية–بيروت، بدون طبعة.
20. تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي الصلابي، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة– الإمارات، مكتبة التابعين، مصر– القاهرة، ط1، 1422هـ–2001 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

21. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت:1353هـ)، راجعه: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
22. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: 748هـ)، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.
23. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415 هـ.
24. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، ط1، 1424 هـ - 2003 م
25. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، راجعه وخرج أحاديثه: أ.د أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، بدون طبعة.
26. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (ت:1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990هـ، (249/3).
27. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت: 399هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة، محمد مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1423هـ- 2002م.
28. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم الرازي (ت:327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز – الرياض، ط1، 1417هـ-1997م.
29. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ط1، 1421هـ-2000م.
30. تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، دار ومكتبة الهلال- بيروت، التحقيق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، سنة الطبع 1410هـ.
31. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر-سورة آل عمران، رسالة ماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية، إعداد: عبد الله الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس، 1423هـ-2002م.
32. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت:489هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن- الرياض 1418هـ- 1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

33. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي،(ت: 604هـ)، دار الفكر- بيروت، ط1، 1401هـ-1981م.
34. تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، دار النشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بدون طبعة.
35. تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-القاهرة، 1431هـ-2010م.
36. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر-دمشق، ط2، 1418هـ
37. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف: أ. د مصطفى مسلم، ط1، 1431هـ-2010م.
38. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بدون طبعة.
39. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط2، 1407هـ-1987م.
40. التفسير الوسيط، الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط1، 1422 هـ
41. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ.
42. تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1233هـ)، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي، ط1، 1428هـ-2007م.
43. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:1376هـ)، تحقيق ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ-2002م.
44. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط1، 1389هـ- 1969م.
45. جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجعه وخرَّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط2، 1420هـ-2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

46. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، ط1، 1408هـ.
47. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م.
48. الجامع لأسماء الله الحسنى، دراسة وإعداد: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث-القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م.
49. حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت: 1195هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
50. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، (ت: 926هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر-بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
51. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني(ت: 430هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1409هـ-1988م.
52. خلق المسلم، محمد الغزالي، دار الريان للتراث- القاهرة، ط1، 1408هـ-1987م.
53. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت: 756هـ)، تحقيق: د.أحمد الخراط، دار القلم- دمشق.
54. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت:911هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م.
55. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم(دراسة تحليلية)، د. محمود منير المسيري، مكتبة وهبة-القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.
56. رجال صحيح البخاري المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد الكلاباذي (ت: 398هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة-بيروت، ط1، 1407هـ.
57. الرسل والرسالات، أ. د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس- الأردن، 1429هـ-2008م.
58. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي (ت: 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

59. الروح، ابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث–القاهرة، سنة الطبع 1424هـ–2003م.
60. رياض الصالحين، الإمام محيي الدين بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– بيروت، ط1، 1428هـ– 2007
61. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت:597هـ)، المكتب الإسلامي–بيروت، ط3، 1404هـ– 1984م.
62. زبدة التفاسير، محمد متولي الشعراوي، إعداد وتقديم: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية–القاهرة.
63. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي.
64. سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت: 1183هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427هـ– 2006م.
65. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.
66. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
67. سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت: 385هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط1، 1424هـ–2004م.
68. سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي (ت: 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع–السعودية، ط1، 1421هـ–2000م.
69. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط3، 1424هـ–2003م.
70. سنن النسائي، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(ت:303هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ–1986م.
71. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي (ت: 516هـ)، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش دار النشر : المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ – 1983م.
72. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ–1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

73. شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، (ت: 792هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
74. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.
75. الشريعة، محمد بن الحسين الآجُرِّي (ت: 360هـ)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع 1426هـ-2005م.
76. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط1، 1423هـ-2003م.
77. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الأمير علاء الدين ابن بلبان الفارسي (ت:739هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1414هـ-1993م.
78. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
79. صحيح الجامع، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، المكتب الإسلامي.
80. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
81. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1347هـ-1929م.
82. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، خرجه وعلق عليه: د. محمد روّاس قلعة جي، دار المعرفة-بيروت، ط3، 1405هـ-1985م.
83. طبقات الأولياء، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي ابن الملقن (ت: 804هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط2، 1415هـ-1995م.
84. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي(ت: 945هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
85. العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني(ت: 852هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، ط1، 1418هـ-1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

86. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: علي محمد عمر مكتبة وهبة–القاهرة، ط1، 1396هـ.
87. العقائد الإسلامية، سيد سابق (ت: 1420هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت
88. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
89. العقيدة في الله ﷻ، د. صالح الرقب، د. محمد بخيت، مكتبة الطالب، الجامعة الإسلامية، غزة– فلسطين، ط1، 1426هـ–2006م.
90. العقيدة في الله، أ.د عمر الأشقر، دار النفائس– الأردن، 1429هـ–2008م.
91. علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله الربيعة، الرياض، ط1، 1432هـ–2011م.
92. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمِّي النيسابوري (ت: 728هـ)، دار الصفوة– القاهرة، ط1، 1416هـ–1995م.
93. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان القنوجي، (ت: 1307هـ) المكتبة العصرية لبنان، 1412هـ–1992م.
94. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث–القاهرة، سنة الطبع 1427هـ–2007م.
95. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة.
96. في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، دار الشروق–القاهرة، ط8، 1422هـ–2001م.
97. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق–القاهرة، ط32، 1423هـ–2003م.
98. في رحاب التفسير، الشيخ عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث–القاهرة.
99. فيض القدير، المناوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1415 هـ– 1994 م.
100. قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، دار القلم–دمشق، ط2، 1408هـ–1988م.
101. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي معوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ–1998م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

102. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1422هـ-2002م.
103. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (توفي بعد880هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419 هـ -1998 م.
104. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الإفريقي (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ.
105. لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري (ت:465هـ)، تحقيق: إبراهيم بسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، ط3.
106. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ-2005م.
107. محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، (ت: 1332هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
108. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، (ت: 546هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
109. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، حقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420هـ-1999م.
110. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط2، 1393هـ-1973م.
111. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: 701هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس- بيروت، بدون طبعة.
112. المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: 241هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.
113. مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1399هـ- 1979م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

114. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: 885هـ)، حققه: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف–الرياض، ط1، 1408هـ–1987م.
115. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: 770هـ)، ط5، المطبعة الأميرية – القاهرة 1922م.
116. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود، الناشر : دار ابن القيم– الدمام، ط1، 1410هـ–1990م.
117. معالم التنزيل، البغوي، (ت: 516هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرشدار، الناشر: طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ– 1997م.
118. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، ط6، 1399هـ–1979م.
119. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب–بيروت، ط1، 1408هـ–1988م.
120. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
121. المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ–2004م.
122. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(ت:395هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر:اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: 1423 هـ– 2002م
123. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، ابن القيم (ت:751هـ)، حققه: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية– القاهرة.
124. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، دار القلم–دمشق، ط1، 1412هـ.
125. المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بغزة، إعداد الطالب: عمر حسين الدويك، إشراف د. محمود هاشم عنبر، 1429هـ–2008م.
126. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، تأليف: د. مصطفى سعيد الخن، د. مصطفى البغا، محيي الدين مستو، على الشربجي، محمد أمين لطفي، مؤسسة الرسالة، ط13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

127. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، دار الكتب العلمية–بيروت.
128. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: 885هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتاب الإسلامي–القاهرة.
129. النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.
130. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير(ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.
131. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (ت: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ – 2008 م.
132. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت:681هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر– بيروت، ط1.
133. الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، الفتح للإعلام العربي–القاهرة، ط7، 1417هـ.

مراجع من الشبكة العنكبوتية:

134. هدايات سورة آل عمران، د. محمد ولد محمد ذو النورين، مجلة البيان، العدد 194، والرابط هو: http://albayan.co.uk/article.aspx?ID=914

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسا: فهرس الموضوعات:

م	الموضوع	رقم الصفحة
أ	**الإهداء**	ت
ب	**الشكر والتقدير**	ث
ج	**المقدمة**	ج
	التمهيد	
.1	**المبحث الأول:** التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف	2
.2	**المطلب الأول:** التعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها	3
.3	**المطلب الثاني:** تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها	4
.4	**المبحث الثاني:** تعريف عام بسورة آل عمران	7
.5	**المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها	8
.6	**المطلب الثاني:** مكان وزمان نزول السورة	10
.7	**المطلب الثالث:** فضائل السورة وجو نزولها	11
.8	**المطلب الرابع:** محور السورة وخطوطها الرئيسة	12
.9	**المطلب الخامس:** موضوعات السورة وأغراضها ومقاصدها العامة	14
	الفصل الأول	
.10	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران من الآية (15 . 17)**	17
.11	**المطلب الأول:** ربط الناس بالنعيم الأخروي وتزهيدهم في متاع الدنيا.	18
.12	**المطلب الثاني:** حث المسلمين على الاتصاف بصفات المؤمنين.	22
.13	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (18 . 20)**	25
.14	**المطلب الأول:** فضيلة التوحيد ومكانته والدعوة إليه.	26
.15	**المطلب الثاني:** التنويه على مكانة أهل العلم.	30
.16	**المطلب الثالث:** التأكيد على أن لا دين مقبول عند الله تعالى إلا الإسلام	32

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.17	**المطلب الرابع:** تحذير المسلمين من الاختلاف الذي كان بين أهل الكتاب	35
.18	**المطلب الخامس:** الثبات على المبدأ والدفاع عنه وتبليغه للناس	37
.19	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (21 . 22)**	40
.20	**المطلب الأول:** عاقبة الكفر وقتل الأنبياء والمصلحين.	41
.21	**المطلب الثاني:** أهمية قول الحق وإن كان مرا .	42
.22	**المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (23 . 25)**	46
.23	**المطلب الأول:** دعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم	47
.24	**المطلب الثاني:** تحذير المسلمين من الابتداع في الدين	50
.25	**المطلب الثالث:** التذكير بيوم القيامة	54
.26	**المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (26 . 27)**	57
.27	**المطلب الأول:** بيان دلائل قدرة الله تعالى في خلقه وملكه	58
.28	**المطلب الثاني:** الإيمان بقدرة الله تعالى	62
.29	**المطلب الثالث:** الإيمان بأن الرازق هو الله تعالى وحده	65
.30	**المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (28 . 30)**	67
.31	**المطلب الأول:** النهي عن موالاة الكفار	68
.32	**المطلب الثاني:** مراقبة الله تعالى في السر والعلانية	72
.33	**المطلب الثالث:** التذكير بيوم القيامة وجزاء الأعمال	74
.34	**المطلب الرابع:** تنبيه المؤمنين إلى الخوف من الله تعالى وعقابه	77
.35	**المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (31 . 32)**	81
.36	**المطلب الأول:** محبة الله تعالى باتِّباع النبي ﷺ	82
.37	**المطلب الثاني:** وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ	85
	الفصل الثاني	
.38	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (33 . 41)**	89
.39	**المطلب الأول:** حكمة الله تعالى في اصطفاء بعض عباده	90

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.40	**المطلب الثاني:** الخيرة فيما اختاره الله تعالى	93
.41	**المطلب الثالث:** مظاهر عناية الله تعالى بمريم عليها السلام ومستقبلها	95
.42	**المطلب الرابع:** الإيمان بأن الرزق بيد الله تعالى وحده	99
.43	**المطلب الخامس:** عدم اليأس من رحمة الله تعالى	101
.44	**المطلب السادس:** التنبيه على أهمية الذكر والتسبيح	103
.45	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (42 ـ 47)**	107
.46	**المطلب الأول:** التنبيه إلى مكانة مريم عليها السلام	108
.47	**المطلب الثاني:** التنبيه إلى أهمية العبادة ومكانتها	109
.48	**المطلب الثالث:** بيان معجزة خلق عيسى عليه السلام	112
.49	**المطلب الرابع:** الرد على النصارى	115
.50	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (48 ـ 54)**	118
.51	**المطلب الأول:** بيان أهمية العلم وأن الفضل في ذلك لله تعالى وحده	119
.52	**المطلب الثاني:** بيان معجزات عيسى عليه السلام والهدف من رسالته	120
.53	**المطلب الثالث:** نصرة الحق من صفات المؤمنين	123
.54	**المطلب الرابع:** أهمية الدعاء والتضرع والافتقار إلى الله تعالى	125
	الفصل الثالث	
.55	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (55 ـ 58)**	130
.56	**المطلب الأول:** التبشير بعلو كلمة الإسلام على أصحاب الأديان الأخرى	131
.57	**المطلب الثاني:** التذكير بيوم الجزاء	134
.58	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (59 ـ 64)**	136
.59	**المطلب الأول:** الرد على النصارى وبيان أصل الإنسان	137
.60	**المطلب الثاني:** المفاصلة حتمية بين الحق والباطل	139
.61	**المطلب الثالث:** التأكيد على عقيدة التوحيد	143
.62	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (65 ـ 68)**	146

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.63	**المطلب الأول:** ذم الجدال بغير علم	147
.64	**المطلب الثاني:** بيان حقيقة إبراهيم عليه السلام وتنزيهه عن الشرك	150
.65	**المطلب الثالث:** الادِّعاء الكاذب لا يزيد الحق إلا وضوحا	152
.66	**المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (69 . 71)**	154
.67	**المطلب الأول:** بيان ضلال أهل الكتاب واهتداء أهل الإسلام	155
.68	**المطلب الثاني:** تحذير أهل الإيمان من الكفر وكتمان الحق	158
.69	**المطلب الثالث:** دعوة المسلمين إلى نبذ الاتصاف بصفات أهل الكتاب	160
.70	**المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (72 . 74)**	163
.71	**المطلب الأول:** التحذير من التلاعب بالدين	164
.72	**المطلب الثاني:** التحذير من التعصب الأعمى	166
.73	**المطلب الثالث:** اختصاصُ الله تعالى بعض عباده بالفضل والخير	170
	الفصل الرابع	
.74	**المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (75 . 78)**	174
.75	**المطلب الأول:** بيان أن الإسلام دين العدل والإنصاف	175
.76	**المطلب الثاني:** التحذير من القول على الله تعالى بغير علم	177
.77	**المطلب الثالث:** أهمية أداء الأمانة والوفاء بالعهد والتحلي بالتقوى	179
.78	**المطلب الرابع:** التحذير من اتخاذ الدين مطية لتحقيق مكاسب دنيوية	182
.79	**المطلب الخامس:** التحذير من التلبيس على الناس وفتنتهم في دينهم	185
.80	**المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيتان (79 . 80)**	188
.81	**المطلب الأول:** حث المسلمين على أن يكونوا ربانيين	189
.82	**المطلب الثاني:** تنزيه الأنبياء عن الشرك وعن الدعوة إلى ما ينافي التوحيد	191
.83	**المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (81 . 84)**	194
.84	**المطلب الأول:** وجوب نصرة النبي ﷺ والمؤمنين	195
.85	**المطلب الثاني:** الإنكار على من يُعرض عن دين الإسلام	198

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.86	**المطلب الثالث:** الإيمان بجميع الكتب والرسل	202
.87	**المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (85 . 89)**	206
.88	**المطلب الأول:** الإسلام هو الدين المقبول عند الله تعالى.	207
.89	**المطلب الثاني:** الله تعالى يهدي إليه من يشاء ويُضِل من يشاء.	209
.90	**المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة آل عمران الآيات (90 . 92)**	213
.91	**المطلب الأول:** عدم التمادي في الباطل	214
.92	**المطلب الثاني:** الحث على المسارعة في التوبة قبل بلوغ الأجل	217
.93	**المطلب الثالث:** فضل النفقة في سبيل الله تعالى	219
.94	**المطلب الرابع:** صلاح النية شرط لقبول العمل	223
	الخاتمة	
.95	أولا: النتائج	227
.96	ثانيا: التوصيات	228
	الفهارس	
.97	أولا: فهرس الآيات القرآنية	230
.98	ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	242
.99	ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم	245
.100	رابعا: فهرس المصادر والمراجع	246
.101	خامسا: فهرس الموضوعات	257
.102	ملخص الرسالة باللغة العربية	262
.103	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	263

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة باللغة العربية

[الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس من القرآن الكريم
لسورة آل عمران الآيات (15- 92)]

تناول الباحث فيها مقاصد الحزب السادس من سورة آل عمران، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: بيَّن الدراسة التحليلية ومتطلباتها، ومقاصد السور وأهميتها، وطرق معرفتها، والمصنفات فيها، وفيه تعريف عام بسورة آل عمران، وبيان لمقصودها وجو نزولها وخطوطها الرئيسة.

الفصل الأول: اشتمل على سبعة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (15-32).

الفصل الثاني: اشتمل على ثلاثة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (33-54).

الفصل الثالث: اشتمل على خمسة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (55-74).

الفصل الرابع: اشتمل على خمسة مباحث، وتناول فيها مقاصد الآيات (75-92).

وتمت دراسة هذه المقاصد دراسة تحليلية موضوعية.

الخاتمة: تضمنت النتائج والتوصيات، وأخصُّ بالذكر هنا توصيتين:

1. أن يقوم المتخصصون في التفسير وعلومه بتقريب المعلومة إلى الناس بأسهل طريق وأوجز عبارة؛ حتى تعُمَّ الفائدة.
2. ربط التفسير التحليلي للآيات بالواقع قدر الإمكان؛ لكي لا يظلَّ علم التفسير حبيس الكتب وعقول المختصين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

Objective of Surat AL EMRAN Analytical study of the purposes and the Verses from (15-92).

Researcher mention the purposes and objectives of the Sixth Party of Koranic AL EMRAN, this research came in (Introduction , smoothing, and four chapters, and a conclusion) , as follows:

Introduction: This includes the reasons for choosing of the subject, and the importance of the topic, and the method of known, and the books which talk of it, and research goals and objectives , and research methodology, and previous studies.

Boot: was the talk of the analytical study definition and requirements, as well as the purposes and objectives of the fence and signs and their significance.

Chapter 1: This includes seven sections, which talked of the objectives verses (15-32).

Chapter 2: This includes three sections, which talked of the objectives verses (33-54).

Chapter 3: This includes five sections, which talked of the objectives verses (55-74).

Chapter 4: This includes five sections, which talked of the objectives verses (75-92).

And this objectives was studying analytical studied objectively.

Conclusion: guaranteed the most important findings and recommendations.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com